جدلية اللغة والفكر

دكتور

محمد محمد داود

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

جدلية اللغة والفكر

جدلية اللغة والفكر

تأليف

محمد محمد داود

الكتـــــاب: جدلية اللغة والفكر

المـؤلـــف: محمد محمد داود

تاريخ النشر: ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ١٥٧٦

الترقيم الدولي: I.S.B.N.978- 977-463-028-6

الناشـــر:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والمطابع:

١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

تليفون: ٠٠٢٠٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس: ٠٠٢٠٢٧٩٥٤٣٢٤

التوزيـــع:

٣ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠٢٥٩١٧٩٥٩

www.darghareeb.com

جدليّة اللغة والفكر

د. محمد محمد داود

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

اللُّغة والفكر موضوع شغلنى منذ بواكير حياتى البحثيَّة فى علم اللُّغة، وقد عرضته موضوعًا للماجستير على أستاذنا الدكتور "محمود فهمى حجازى"، فصرفنى عنه؛ حيث رأى أن الموضوع وما يتصل به من قضايا أكبر من قدراتى البحثيَّة آنذاك.

وأخذتنى دواعى الطلب لموضوعات فى العربيَّة المعاصرة جاءت توجيهًا ذكيًّا من أستاذنا الدكتور "عبد الصبور شاهين". وعلى الرغم من استيعاب بحوث العربيَّة المعاصرة لجهدى ووقتى على مدى خمسة عشرـ عامًا، إلَّا أنَّ موضوع اللُّغة والفكر لم يسقط من ذاكرة طموحاتى البحثيَّة، حتَّى كانت مهمَّتى العلميَّة فى إنجلترا بجامعة "ليدز" عام ٢٠٠٥م، وهناك نشطت همَّتى لإحياء هذا الطموح، فتوفَّرْتُ له، وحفزنى لذلك وفرة المراجع التى تُحيط بهذا الموضوع بآفاقه الرحبة.

ومن طريف الأقدار أن أوَّل كتاب امتدَّت إليه يدى فى مكتبة جامعة "ليدز" هو كتاب: "اللُّغة والفكر والواقع" ***Language, thought and reality*** لمؤلفه: "بنيامين لى وورف" ***Benjamin Lee Whorf*** (١٨٩٧ ـ ١٩٤١).

وظهر لى فيما بعد أن هذا الكتاب ـ على صِغَرِ حجمه ـ عُمْدة فى هذا

الموضوع، كما أنه يُمثِّل البذرة الأساسيَّة والشرارة الأولى التى أشعلت همَّة الباحثين لتناول قضاياه وتوسيع مداه، فكان لهذا الكتاب أثرٌ بالغٌ فى عشرات الكتب التى أُلِّفَت بعده فى ذات الموضوع؛ وهذا ما دعانى لأن أُفْرِد مَبْحَثًا تحت عنوان: "قصة كتاب".

وكم سهرتُ الليالى الطوال على مدى سنوات عديدة مُتحيِّرًا بين نفى وإثبات لأسئلة حائرة حول هذه القضيَّة الجدليَّة: «العلاقة بين اللُّغة والفكر»، إلى أن جاءت رحلتى لأمريكا فى أواخر صيف عام ٢٠٠٨م، فاستكملت ما بالذهن من تساؤلات، وتأكَّدت من كثير من النتائج والآراء التى توصَّلتُ إليها، وبذلك تمَّت لى رؤية واضحة وعميقة بقضايا الموضوع، وانطلق القلم سيَّالًا يكتب دون تردُّد أو تحيُّر أو توَقُّف، وهذا من فضل ربى علىَّ.

قد يُثير هذا الكتاب تساؤلات قويَّة، ويطرح استفهامات جادَّة أكثر مما يُقدِّم إجابات؛ فإن طبيعة الموضوع "العلاقة الجدليَّة بين اللُّغة والفكر" تَفْرِض نفسها فى أسلوب التناول والمُعالجَة لموضوعات الكتاب. قد نتَّفق أحيانًا لكننا سنختلف كثيرًا، اختلافًا أرجو أن يكون إيجابيًّا يُضيف إلى العمل رؤًى جديدةً وآفاقًا رَحْبَة لإثراء الموضوع؛ كى تكتمل رحلة المعرفة.

إنَّ هذه الدراسة محاولة لسبر أغوار تلك العلاقة العضويَّة بين اللُّغة والفكر، آمل من ورائها ألَّا يأتى الكلام مُكرَّرًا أو ترديدًا لِما ذكرته المراجع المختلفة عربيَّة وأجنبيَّة، وإنْ كنَّا نحتاج إلى كلِّ ذلك كأساسٍ نبنى عليه، ولكنَّنا

نحاول تقديم إضافة جديدة، سواء اتفقنا عليها أم اختلفنا، فالموضوع جدلىٌّ بطبعه، ورحلتنا نحوه رحلة غير تقليديَّة، بل إن الجِدَّة فيه تصل إلى حَدِّ المغامرة، وأرجو أن نصل إلى بَرِّ الأمان أو قريبًا منه.

وقد يكون من نافلة القول أن التواصل البشرى ببعديه الزمانى والمكانى مدين للغة والفكر، حيث يقوى التواصل البشرى بقوة اللغة ونضوج الفكر، هذا من جانب، ومن جانب آخر قد يمثل التواصل إحدى إشكاليات العلاقة بين اللغة والفكر، بمعنى هل تعبر اللغة عن الأفكار بشكل واضح ودقيق، أم أن اللغة وسيلة للكتمان والتمويه والخداع ؟!!

وتقع هذه الدراسة فى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول:

يتناول **الفصل الأول** منها تعريف الفكر من خلال الإجابة عن عدة تساؤلات: ما الفكر؟ ما وظائف التفكير وأهدافه، ولماذا نُفكِّر؟ومتى نُفكِّر؟ وما خصائص التفكير ومُتَطلَّباته ؟وما الوحدات الأساسيَّة أو البِنَى العقليَّة للتفكير؟وما دوافع التفكير عند الإنسان؟ وكيف نُفكِّر؟ وما أنواع التفكير؟ وهل يفكِّر الحيوان والطير؟ وكيف يختلف تفكيرهما عن تفكير الإنسان ؟ وهل يفكِّر الطفل حديث الولادة، أو الجنين فى رَحِم أُمِّه؟ وهل تختلف اللُّغة والفكر عند النساء عنهما عند الرجال؟

أما **الفصل الثانى** فيحاول الإجابة عن سؤال مهم: هل للفكر لغة خاصة؟ هل نفكر بلغة عقلية فطرية كما ذهب أصحاب هذه النظرية، أم أننا

نفكر باللغة الطبيعية؟

ويتصدى **الفصل الثالث** لبحث العلاقة بين اللغة والفكر من خلال جملة من التساؤلات فى محاولة للإجابة عنها:

١. **ما العلاقة بين اللُّغة والفكر؟**

- وما ضرورة كل من اللُّغة للفكر والفكر للغة؟
- وهل يمكن أن تكون بِنْيَة اللُّغة هى المُوَجِّهة لعمليَّة التفكير؟
- وهل اللُّغة هى الأداة الوحيدة للتعبير عن الفكر؟

٢. **ما طبيعة العلاقة بين اللُّغة والفكر؟**

- وهل هى علاقة اتصال أم انفصال؟
- ولأى منهما الأسبقيَّة فى الوجود: للغة أم للفكر؟
- وهل يمكن التفكير دون لغة؟

٣. **ما العلاقة بين الفكر أو الفكرة من ناحية، والكلام أو الكلمات المُسْتخدَمَة للتعبير عن هذا الفكر أو هذه الفكرة من ناحية أخرى؟**

- هل يؤدى غموض الفكر إلى غموض اللُّغة التى تعبير عنه؟
- هل ثمة علاقة بين ثراء اللُّغة وعمق التفكير؟

٤. **هل حدود الفكر هى حدود اللُّغة؟ وأنه حيث تتوقف هذه يتوقف ذاك؟**

- متى تعجز الكلمات عن التعبير عن المشاعر والأفكار؟

أما **الفصل الرابع** فيناقش مدى تأثير اللغة على الفكـر، ويجيـب عـن جملـة من التساؤلات:

1. **هل للغة تأثير على الفكر؟**
   - هل تؤثِّر اللُّغة فى تشكيل الفكر؟
   - هل المُتحدِّثون بلغات مختلفة يرون العالَمَ بطرق مختلفة؟
2. **هل تَعْكِس اللغات المختلفة ثقافات وأفكارًا ومُعتقدات مختلفة؟**
3. **هل يُمْكِن استخدام اللُّغـة فى التـأثير عـلى عقـول البَشَرـ وأفكـارهم ومُعتقداتهم وتوجُّهاتهم؟**
4. **هل اللُّغة الأم هى لغة التفكير الوحيدة؟**

ثم ذُيِّلت الدراسة بقائمة للمصادر.

هذا وأرجو أن ينال الكتاب اهتمام القـارئ العربـى، وأن يتـوفر لمباحثـه، وأن يكون الكتاب خطوة جادة فى طريق المعرفة.

وما يعقلها إلَّا العالِـمون

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٠٠٩/١/١

د.محمد محمد داود

قصَّة كتـاب

"اللُّغة والفكر والواقع": عُنْـوانٌ لكتـاب طالمـا حلـم اللغـوى الأمريكـى "بنيـامين لى وورف" ***Benjamin Lee Whorf*** (١٨٩٧ - ١٩٤١) بكتابتـه، إلَّا أن القَدَرَ لم يُمْهِله طويلًا ليحقِّق حُلمَه. وعلى الرغم من ذلك لم يَمُت الحلـم؛ ففى الثامن والعشرين من ديسمبر من عـام (١٩٥٦) بَـزَغَ فى سـماء علـم اللُّغـة كتاب يَحْمِل هذا العنوان نفسه، ولكن مَنْ الـذى اسـتطاع أن يحقـق الحلـم بعـد مرور خمسة عشر عامًا على رحيل "وورف"؟! إنه "جون بيسيل كـارول" ***John Bissell Carroll*** (١٩١٦ - ٢٠٠٣) عالِمِ النَّفْس الأمريكى الشـهير وصـديق "وورف" الحميم، والمعروف بإسهاماته الكبيرة فى تطوير علم اللُّغة النفسى.

ولكن كيف بدأت القصة؟

ترجع هذه القصة إلى عام (١٩٢٩) عندما حَضَرَ "جون كـارول" محـاضرة لـ "وورف"، وكان يَبْلُغ من العُمْرِ وقتهـا ثلاثـة عشر عامًـا، حيـث كـان مهـتمًّا بدراسة اللغات، وبخاصة اللغات الأمريكيَّة الأصـليَّة. كانـت هـذه المحـاضرة حول تجربـة "وورف" فى دراسـة لغـات الشـعوب الهنديَّـة الأزتيكيَّـة (نسـبة إلى الشعب الأزتيكى، وهو شعب متمدِّن حكم المكسيك قبل أن يفتحهـا الأسـبان عام ١٥١٩) والمايانيَّـة (نسـبة إلى شـعب المايـا وهـو شـعب يقطـن هنـدوراس البريطانيَّة وجواتيمالا الشماليَّة) بالمكسيك وأمريكا الوسـطى. أُعْجِـبَ "كـارول"

بهذه المحاضرة غاية الإعجاب، وكان لها أثر بالغ فى نفسه، مما دفعه إلى أن يتقرَّب إلى "وورف" ليَنْهَل المزيد من علمه، فنشأت بينهما صداقة قويَّة، لدرجة أنَّ "وورف" سمح له بأن يساعده فى دراساته وأن يشاركه أفكاره وكتاباته حول العلاقة بين اللُّغة والثقافة، وقد عَمِلا معًا ـ لسنوات عديدة ـ فى ترجمة الوثائق الأزتيكيَّة الغامضة المعنى وفكِّ رموزها.

تعلَّم "كارول" من "وورف" فى تلك الفترة كثيرًا عن علم الأصوات والتحليل الفونيمى إلى جانب عِلْم النحو؛ مما زاد اهتمامه بعِلْم اللُّغة أكثر وأكثر.

مَضَى "كارول" بعد ذلك فى دراسته الجامعيَّة، ومضى "وورف" فى أبحاثه ودراساته حول النسبيَّة اللغويَّة، إلى أن حان وقت الرحيل وتُوفِّى "وورف" فى عام (١٩٤١).

لقد أمضى "وورف" حياته العلميَّة وهو يحاول الإجابة عن سؤالٍ مهم: إلى أيِّ مَدًى يمكن أن تؤثِّر اللُّغة فى الفكر، ومِنْ ثَمَّ فى رؤية الواقع، ومِنْ ثَمَّ فى السلوك؟ وكانت له كتابات كثيرة حول هذه القضيَّة، إلَّا أنَّه لم يتمكَّن من نشر معظمها، فكان يحلم بأن يكون له كتاب يناقش مثل هذه القضيَّة، وأن يكون عنوانه: "اللُّغة والفكر والواقع"، وقد عَبَّرَ عن رغبته هذه فى أوراق عُثِرَ عليها بعد رحيله.

وهنا جاء دور "جون كارول" ليَرُدَّ الفَضْلَ لصاحبِ الفَضْل، وليُقدِّم خدمة جليلة للعلماء فى كلِّ زمان ومكان، فجَمَعَ نُخْبَة متميِّزة من كتابات

"وورف" ومقالاته ـ سواء تلك التى نُشِرَت أم تلك التى لم تُنْشَر ـ حول العلاقة بين اللُّغة والفكر والثقافة، ووضعها فى كتاب يحمل العنوان نفسه الذى اختاره "وورف".

لم يكن "جون كارول" ـ فى أثناء إعداده لهذا الكتاب ـ يعلم أنه سيثير اهتمام المتخصصِّين وغير المتخصصين بمجرَّد نشره. ولِمَ لا؟ وقد وجد القُرَّاء فى طيَّاته أفكار "وورف" وآراءه حول جدليَّة من أقدم الجدليَّات اللغويَّة الحيَّة، تلك الجدليَّة التى طالما أثارت هَوَس الباحثين وفضول المستكشفين، ألا وهى: العلاقة بين اللُّغة والتفكير.

لقد أثار هذا الكتاب جدلًا وخلافًا واسعًا لم يهدأ حتى الآن، وجذبت أفكاره عن النسبيَّة اللغويَّة جيلًا من الأدباء والفلاسفة وعلماء اللُّغة وعلماء النفس والأنثروبولوجيا، فضلًا عن غير المتخصصين، ونتج عنه أبحاث ودراسات فى شتى فروع المعرفة، ولم يأتِ كلُّ هذا الجدل والخلاف الذى أثاره الكتاب إلَّا نتيجةً للتساؤلات الجادَّة التى طرحها حول العلاقة بين اللُّغة والتفكير:

هل يوجد تفكير دون لغة؟ هل تُحدِّد بِنْيَةُ اللُّغة التى نتحدثها الطريقة التى نفكِّر بها؟ أو بعبارة أخرى: هل تُحدِّد اللُّغة طريقة رؤيتنا للعالم من حولنا؟ وما علاقة القدرات اللغويَّة التى يتمتَّع بها الإنسان بذكائه العام؟ والعلاقة بين اللُّغة والواقع: هل تُعَدُّ اللُّغة مرآةً للواقع؟ وكذلك العلاقة بين اللُّغة والثقافة: هل

تُعَدُّ اللُّغة نتاجًا ثقافيًّا وتاريخيًّا؟

لا شكَّ أنَّ كثيرًا من المفكِّرين قبل "وورف"، من أمثال "فلهلم فون همبولت" و "فرانز بواس" و "إدوارد سابير"، قد تأمَّلوا كثيرًا في ماهية العلاقة بين اللُّغة والفكر، إلَّا أنَّ ظهور هذا الكتاب كان بمنزلة الشرارة التى أشعلت اهتمام العلماء والباحثين بمثل هذه العلاقة. ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الكتاب هو الدليل الذى يتَّخذه العلماء والباحثون مرشدًا لهم فى رحلتهم البحثيَّة حول هذه الإشكاليَّة. لقد كان بمنزلة اللَّبِنة الأولى التى شيَّدوا عليها أبحاثهم ودراساتهم، بغضِّ النظر عن اتفاقهم مع أفكاره أو اختلافهم معها. وما زال الكتاب حتى الآن ـ على الرغم من مرور ما يزيد على الخمسين عامًا ـ منبعًا للإلهام؛ فالفكرة الواحدة فيه تستثير سلسلة من الأفكار؛ لذلك غاص العلماء فى أعماقه لاستكشاف الأفكار الوورفيَّة، تلك الأفكار التى كانت شرارة البدء فى دراسة هذه القضيَّة الجدليَّة، فأنتجوا لنا كَمًّا هائلًا من الكتب والدراسات الجادة. لقد كانت كتابات "وورف" ـ بحق ـ هى البذرة التى أثمرت كُتُبًا كاملة:

- إذ أصدر "موريس لويس" ***Morris Lewis*** كتابه: "***Language, Thought and Personality in Children***" عام (١٩٥٧).
- ولحق به "تشستر لاوسون" ***Chester Lawson*** فى العام التالى بكتابه: "***Language, Thought and the Human Mind***".
- وتبعهما "جان بياجيه" ***Jean Piaget*** بكتابه:

"*The Language and Thought of the Child*" عام (١٩٥٩).

- ولم يتـأخر "هاياكـاوا" ***S. I. Hayakawa*** طـويلًا فأصـدر كتابـه: "***Language in Thought and Action***" فى عام (١٩٦٣).

إلى آخر تلك القائمة الطويلة التى تزخر بالكتب والمراجع الجادة القيِّمة.

الأكثر من ذلك أن كتاب "وورف" دائمًا ما نجده فى مقدِّمـة الكتـب التـى يُنْصَح الطلَّاب والباحثون بالاستعانة بها فى أبحاثهم اللغويَّة حول العلاقـة بـين اللُّغـة والفكـر، ففـى كتـاب: ***"Projects in Linguistics: A Practical Guide to Researching Language"*** مـثلًا (وهـو مرجـع قـيِّم يقـدِّم للطلاب والباحثين فكرة عامَّة عن الموضوعات الرئيسة فى علم اللُّغة التى يكون من بينها موضوعات بحوثهم، كما يقدِّم لهم قائمة بكـل الكتـب والمراجـع التـى مـن شـأنها أن تسـاعدهم فى هـذه الأبحـاث)، كـان كتـاب "وورف" هـو أوَّل الاقتراحات العمليَّـة التـى قـدَّمها مؤلِّفـوه: ***Alison Wray, Kate Trott & Aileen Bloomer*** لكل مَنْ يرغب فى إجراء بحث لغوى حول هذه القضيَّة.

لم يتوقَّف تأثير أفكار "وورف" عند هذا الحدِّ، بل تغلغل تأثيرهـا فى الأدب القَصَصى الأمريكى؛ حيـث صـدرت الكثـير مـن القصـص وروايـات الخيـال العلمىِّ التى جعلت من هذه الأفكار محورًا لأحداثها، ومنها على سبيل المثال:

- ***"The Languages of Pao"*** (١٩٥٨).

للكاتب الأمريكى ***Jack Vance***.

- "***Stranger in a Strange Land***" (١٩٦١).

للكاتب الأمريكى ***Robert A. Heinlein***.

- "***Dune***" (١٩٦٥).

للكاتب الأمريكى ***Frank Herbert***.

- "***Babel – 17***" (١٩٦٦).

للكاتب الأمريكى***Samuel R. Delany***.

- "***Native Tongue***" (١٩٨٤).

للُّغويَّة الأمريكيَّة ***Ursula K. Le Guin***.

- "***Story of your Life***" (١٩٩٩).

وهى مجموعة قصص قصيرة للروائى الأمريكى ***Ted Chiang***.

- "***Inheritance Trilogy***" (٢٠٠٢).

للكاتب الأمريكى ***Christopher Paolini***.

... وغير ذلك الكثير والكثير.

وقد وصل كتاب وورف حتى الآن إلى طبعته الثانية والعشرين، ومعنى ذلك أنَّ النَّبع لم يجفَّ بعد، بل ما زال يفيض، وسيظلُّ يفيض؛ لينهل منه العلماء والباحثون. إنَّه الإلهام الذى يستفزُّ العقل فيُبْدِع المزيد والمزيد.

❁❁❁

الفصـــل الأول

فصل تمهيدى

المبحث الأول : ما الفكر؟

المبحث الثانى : ما اللغة؟

المبحث الأول: الفكر

تساؤلات مطروحة:

- ما الفكر؟ (ماهيته اللغويَّة والاصطلاحيَّة).
- ما وظائف التفكير؟
  - ما أهداف التفكير؟
  - لماذا نُفكِّر؟
  - متى نُفكِّر؟
- ما خصائص التفكير؟
- ما مُتَطلَّبات التفكير؟
- ما الوحدات الأساسيَّة أو البِنَى العقليَّة للتفكير؟
- ما دوافع التفكير عند الإنسان؟ وكيف نُفكِّر؟
- ما أنواع التفكير؟
- هل يفكِّر الحيوان والطير؟ وهل يختلف تفكيرهما عن تفكير الإنسان؟ وكيف؟
- هل يفكِّر الطفل حديث الولادة، أو الجنين فى رَحِم أُمِّه؟
- هل تختلف اللُّغة والفكر عند النساء عنهما عند الرجال؟

أولا: ما الفكر؟

١. الفكر والتفكير لغةً:

- جاء في اللسان: **الفكر**: إعمال الخاطر في الشيء. **والتفكير**: التأمُّل.
- وجاء في الوسيط: **الفكر**: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول. ويقال: لي في الأمر فكر، أي: نظر ورَوِيَّة. **والتفكير**: إعمال العقل في مشكلة للتوصُّل إلى حلِّها.

ونلحظ من تعريف الوسيط لـ"الفكر" و"التفكير": أنَّ "الفكر" أعمُّ وأوسع في المعنى من "التفكير".

- وفي "الكليَّات" لأبي البقاء: **الفكر**: حركة النفس نحو المبادئ، والرجوع عنها إلى المطالب. ولم يذكر كلمة **التفكير**، ولكن نلحظ في تعريفه للفكر ملمح العموم والشمول.

ولعلَّنا نخلُص من ذلك إلى أنَّ "الفكر" عمل عقلي مجرَّد، يتَّسم بطابع الشمول والعموم.

- وفي القرآن الكريم وردت مشتقات مادة (ف ك ر) ثماني عشرة مرة، على هذا النحو:
  - **فَكَّرَ**: مرة واحدة، في: المدثر/ ١٨.
  - **تَتَفَكَّروا**: مرة واحدة، في: سبأ/ ٤٦.

- o **تَتَفَكَّـــرُون**: ثـــلاث مـــرات، فى: البقـــرة/ ٢١٩،٢٦٦، وفى الأنعام/ ٥٠.
- o **يَتَفَكَّرُوا**: مرتين، فى: الأعراف/ ١٨٤، والروم/ ٨.
- o **يَتَفَكَّـــرُون**: إحـــدى عشرـــة مـــرة، فى: آل عمـــران/ ١٩١، الأعـــراف/ ١٧٦، يـــونس/ ٢٤، الرعـــد/ ٣، النحـــل/ ١١، ٤٤، ٦٩ الروم/ ٢١، الزمر/ ٤٢، الجاثية/ ١٣، الحشر/ ٢١.

وكلُّها بمعنى التدبُّر والتأمُّل وإعمال العقل.

- وفى قاموس "دريفر": **التفكير** عبارة عن: "سلسلة متتابعة من الأفكـار تكون المشكلة على الأَخَصِّ سببًا فى حدوثه".
- ويُعرِّف "روس" **التفكير** بأنـه: "نشـاط عقـلىٌّ فى صـورته المعرفيَّـة، أو نشاط عقلىٌّ بالنسبة إلى الأشياء النفسيَّة".
- ويرى قاموس "لونجمان" أن **التفكير** هو: "فِعْل اسـتخدام المـرء لعقلـه لإنتاج الأفكار"[١].
- وتُعرِّف "الموسوعة البريطانيَّة" **التفكير** بأنه: "الاستجابة الرمزيَّة الخفيَّـة للمثيرات".
- ويُعرِّفه قاموس "اللُّغة الإنجليزيَّة" بأنه: " القيام بأيَّة عمليَّة عقليَّة سواء كانت إدراكًا أو حكمًا أو استنتاجًا"[٢].
- ويُعرِّفه قاموس "وبستر" بأنه: "استعمال المَلَكات العقليَّة العُليا".

ويظهر لنا من التعريفات السابقة أن التفكير أو الفكر:

- نشاط عقليّ.
- يقوم على التدبُّر والتأمُّل وإعمال الذهن.
- له مثير ودافع (المشكلة).
- يهدف إلى إيجاد حلول وإنتاج أفكار ورؤى.
- يتَّسم بالشمول والعموم.

٢. التفكير اصطلاحًا:

التفكير فى الاصطلاح السيكولوجى هو: النشاط أو الفاعليَّة الذهنيَّة العقليَّة التى يقوم بها الجهاز العصبىّ المركزىّ. وللتفكير ـ كعمليَّة عقليَّة عُلْيَا ـ علاقة بعمليات عقليَّة عُلْيَا أخرى كالتذكُّر والتخيُّل والانتباه والذكاء والإدراك، مع بعض الفعاليات الأخرى كالتجريد والتعميم والتصنيف وإصدار الأحكام(٣).

ويُعرَّف التفكير(٤) أيضًا بأنه:

- عمليَّة رمزيَّة، أو حَلّ مشكلة فيها فعاليَّة فكريَّة.
- سلسلة من الأفكار المُترابطة.
- وعند "واطسون" رائد المدرسة السلوكيَّة: هو كلام غير مسموع.

ويُعَدُّ تعريف "كارل يونج" ***Carl Jung*** للتفكير من أَوْضَح التعريفات التى وَرَدت بهذا الشأن؛ حيث يُميِّز "يونج" بين أربع وظائف نفسيَّة أساسيَّة:

الإحساس *"Sensation"*، الشعور*"Feeling"*، التفكير *"Thinking"*، والحَدْس *"Intuition"*.

من الواضح لعالِم اللُّغة أن التفكير ـ كما عَرَّفه "يونج" ـ يحوى عُنصرًا لغويًّا كبيرًا ذا طبيعة مُقَوْلَبة قَوْلَبةً دقيقة، أمَّا الشعور فهو فى الأساس غير لغوىّ، على الرَّغْم من أنه قد يَستخدم اللُّغة أداةً، ولكن بطريقة تختلف تمامًا عن طريقة استخدام التفكير للغة.

ويُمْكن القول أن التفكير هو أساس اللُّغة، أمَّا الشعور فيهتم بقِيَم الشعور التى تملكها اللُّغة بالفعل. والتفكير والشعور ـ حسب "يونج" ـ وظيفتان عقليتان، أمّا الإحساس والحَدْس فهما ـ على العكس ـ وظيفتان غير عقليتين، ويُمْكِن عدهما غير لغويتين على الإطلاق، إنهما تشتركان فى عمليات: التكلُّم *"Talking"*، والسَّمْع *"Hearing"*، والفهم *"Understanding"*، ولكن فى جزء صغير جدًّا فقط من نطاقهما الكُلِّىّ؛ من هنا يُمكننا تصنيف التفكير على أنه وظيفة لغويَّة إلى حَدٍّ كبير(٥).

وتعريفات "الفكر" و"التفكير" تتعدَّد بتعدُّد النظرة إليه بين المدارس المختلفة، فالسلوكيون لهم نظرة، والاجتماعيون لهم نظرة أخرى، واللغويون لهم نظرة ثالثة... إلخ. وكل مدرسة تركز على الجانب الذى تهتم به فى "الفكر" و"التفكير". ويمكن أن نخرج من تعريفات هذه المدارس المختلفة بأن "التفكير":

- نشاط ذهنى (عقلى) يختلف عن الإحساس والإدراك؛ حيث إنه تدفق

فكرى تثيره المشاكل التى تتطلَّب حلًّا، وهذا التـدفق الفكـرى يقـوم بالدراسـة والتحليل لكل معطيات المشكلة وجوانبها؛ للوقـوف عـلى الضـوابط والمعـايير التى تحكمها، والآليَّات التى تعمل بموجبها.

- التفكير عمليَّة نفسيَّة ذات طبيعة اجتماعيَّة تتصل اتصالًا وثيقًا بالكلام.
- التفكير انعكاس واعٍ للواقع.
- التفكير تمثُّل داخلى للأهداف والوقائع والأشياء الخارجيَّة.
- التفكير سلوك عقلى منظم وموجه، وهو على نوعين:
  - التفكير التقاربى ***"Convergent Thinking"***.
  - التفكير التباعدى ***"Divergent Thinking"***(٦) (٧).

❁ ❁ ❁

ثانيًا: ما وظائف التفكير؟

ما أهداف التفكير؟

يَهْدف التفكير إلى حَلِّ المشاكل التى تواجه الإنسان، ومن أهمِّها فهمه لحقيقة العالَم، ولكن هذا الفهم لا يتعامل مع الأشياء والظواهر بوصفها مُعطياتٍ خاصَّة، بل يحاول فهم العالم بَعْد أن يُحوِّله إلى مجموعة من المفاهيم، مثل مفهوم القوَّة والكتلة والطاقة والسرعة والتسارع والجاذبيَّة... إلخ. إن العلم فى حقيقته ليس إلَّا عمليَّة تحويل الواقع إلى مفاهيم، واللُّغة هى الأداة التى تُمَكِّن من التفكير، وهى أداة العقل البشرىِّ فى إنتاجه للمفاهيم والتصوُّرات والأفكار المُجرَّدة(٨).

ما وظائف التفكير؟

تتعدَّد وظائف التفكير بتعدُّد المُهِمَّات والمسائل الحيويَّة التى نُجابهها فى حياتنا اليوميَّة وتتطلَّب إجاباتٍ وحُلولًا مناسبة لها، فالتفكير فى الأشياء والظواهر والناس والمواقف ـ يؤدِّى إلى نتائج مختلفة تبعًا لطبيعة المعلومات وكميتها ونوعيتها، وللقدرات العقليَّة والعمليَّة التى يمتلكها الفرد، وطبقًا للأهداف المتوخَّاة من هذه المُعالجة. وسنقتصر هنا على وظيفتين أساسيتين هما: إنشاء المعانى، والاستدلال:

١. **إنشاء المعانى:**

يُعَرَّف "المعنى" بأنه: الفكرة الكُلِّيَّة العامَّة التى تَدُلُّ على فئة من الأشياء

يشترك أفرادها فى صفات معيَّنة مُميَّزة مُتشابهة.

ويتم تكوين المعانى بالاعتماد على الإدراكات الحِسِّيَّة والخبرات المباشرة، أو باستخدام القدرة التمييزيَّة، والاعتماد على عمليتى التجريد والتعميم؛ أى بإدراك صفة الثبات (التشابه) والتمايز (الاختلاف) فى الأشياء. ومع مرور الزمن والتمكُّن من استخدام اللُّغة تُصبح العمليَّة مُعتمدة على الرموز؛ أى أنَّ تَكَوُّن المعانى والمفاهيم يتِمُّ بالتدريج، وطبقًا لنوع المعانى: حِسّيَّة مباشرة، شِبْه حِسّيَّة وغير مباشرة، عقليَّة مُجرَّدة. ومِمَّا يُساعد على تكوين المعانى صياغتُها فى قالب رمزىٍّ أو كلامى؛ مِمَّا يُحرِّرها من الواقع الحَىِّ ومن الزمان والمكان، فتصبح ذات طابع تجريدىٍّ وشمولىّ.

٢. الاستدلال:

الاستدلال نوع من إصدار الأحكام؛ أى إقامة علاقة بين حَدَثين أو ظاهرتين أو مفهومين أحدهما معروف والآخَر مجهول. ويعتمد الاستدلال فى جوهره على الطبيعة المُجرَّدة للعمليات العقليَّة، وهو على نوعين:

- استدلال مُباشر مُستند إلى دليل مادِّى مُباشر وشواهد مادّيَّة حَيَّة.
- استدلال غير مُباشر، ويُستخدَم فى حال عدم مُلاءمة الاستدلال المباشر؛ لعدم توفُّر قرائن وأَدِلَّة حِسِّيَّة، كما يَحْدُث عند محاولة حَلّ مشاكل معيَّنة لا تقود فيها الترابطات أو الأحكام إلى الوصول للحَلِّ المطلوب، عندئذٍ نلجأ للفروض التى تُختبَر ويتم التثبُّت من صِحَّتها من خلال التجربة الفعليَّة، وفى

حال التثبُّت منها تصبح قانونًا يُمْكِن تعميمه.

متى نفكِّر؟

يستخدم الإنسان التفكير لكى يتعامَل مع الأشياء التى توجد حوله فى البيئة، كما أنه فى الوقت نفسه يُعالج المواقف التى تواجهه دون إجراء فعل ظاهرىّ؛ فالتفكير سلوك يستخدم الأفكار والتمثيلات الرَّمْزِيَّة للأشياء والأحداث غير الحاضرة؛ أى التى يُمْكِن تذكُّرها أو تصوُّرها.

ويستخدم الإنسان عمليَّة التفكير عندما يَشْعُر بوجود مشكلة تُصادِفه. والمشكلة عبارة عن عائق يَحُول بين الفرد وأهدافه فى الحياة، أو نقص فى الأدِلَّة التى يتناولها الفرد، أو تعارُض بين النتائج التى توصَّل إليها الآخرون.

وتخلق المشكلة إحساسًا بالضيق؛ مِمَّا يجعل الفرد يَسْعَى إلى البحث عن حلٍّ أو حلول مناسبة لهذه المشكلة حتى يشعر بالارتياح. والعلاقة بين التفكير والمشكلة وجهان لعُمْلَة واحدة، أو أقنومان فى ذات واحدة لا يَقْبَلان انفصالًا أو انفصامًا[٩][١٠].

❁ ❁ ❁

ثالثًا: ما خصائص التفكير؟

١. الخصائص العامَّة للتفكير الإنسانىّ:

يتميَّز التفكير الإنسانىُّ بصورة عامَّة بالخصائص التالية:

- حاجة التفكير إلى اللُّغة: فالتفكير واللُّغة يؤلِّفان وحدة مُعقَّدة لا تَنْفَصم؛ فاللُّغة واسطة التعبير عن التفكير، بل هى الواقع المُباشر له، وهى تُضْفِى عليه طابعًا تعميميًّا؛ فمهما يَكُن الموضوع الذى يُفكِّر فيه الإنسان، ومهما تكن المشكلة التى يعمل لحلِّها، فإنه يُفكِّر دَوْمًا بوساطة اللُّغة؛ أى أنه يُفكِّر بشكلٍ مُعمَّم. وسيأتى مزيد من التفصيل لموضوع العلاقة بين اللُّغة والتفكير.
- يتَّسم التفكير بالإشكاليَّة: أى أن التفكير يتَّخذ من المشكلات موضوعًا له؛ ولهذا يختص العلاقات وكيفيَّة انتظامها فى حالة مُشخَّصة أو فى أى ظاهرة تؤلِّف موضوع المعرفة، ويبدأ التقصِّى ـ عادةً بالاستجابة إلى الإشارة الكلاميَّة، والسؤال هو أكثر الأشكال التى تُبَرْهِن على وحدة التفكير واللُّغة، وما التفكير سوى مسألة مُحدَّدة صيغت فى قالب سؤال، والبحث عن إجابة السؤال المطروح يُكسِب عمليَّة التفكير طابعًا مُنظمًا وهادفًا.
- يُعَدُّ التفكير محورًا لكل نشاط عقلىّ يقوم به الإنسان، وهذا ما يُميِّز الناحية الكيفيَّة للعمليَّة الذهنيَّة.
- يعتمد التفكير على حصيلة الخبرة التى اكتسبها الإنسان، وعلى ما يحمله من تصوُّرات ومفاهيم وقدرات وطرائق فى النشاط العقلىِّ، مما يُشير إلى

العلاقة الوثيقة بين الذاكرة والتفكير من جهة، وإلى العلاقة بين التفكير والمعارف من جهة أخرى.

- للتفكير مستويات عديدة، فقد يتحقَّق فى مستوى الأفعال العمليَّة، أو فى مستوى استخدام التصوُّرات أو الكلمات، أى على شكل مُخطَّط داخلى. ويشتمل التفكير على عدد من العمليات التى تتصدَّى لمعالجة المعلومات بطرائق متنوعة مثل: (التركيب - التحليل - التصنيف - المقارنة - التجريد - التعميم... إلخ)، ولكى يتمكَّن الإنسان بوساطتها من حَلِّ المسائل المختلفة التى يواجهها نظريَّةً كانت أم عمليَّة، عليه أن يوظِّف المنظومة الكاملة لهذه العمليات تبعًا لشروط ولدرجة استيعابه لها.

- التفكير لا ينفصل عن طبيعة الشخصيَّة، أى أن التفكير ليس عمليَّة مُستقلَّة، وإنما هو عنصر هامٌّ من مُكوِّنات الشخصيَّة يعمل فى إطار منظومتها الديناميكيَّة، ولا وجود له خارج هذا الإطار(١١).

- رمزيَّة التفكير: يُمثِّل التفكير أَعْقَد أنواع السلوك البشرىّ، وتَذْكُر الدكتورة "جوديث جرين" أن الخاصِّيَّة التى يتميَّز بها التفكير هى قدرة الإنسان على تفحُّص الأعمال أو الأشياء واستعراضها بصفة رمزيَّة وخياليَّة، لا بصفة فعليَّة، أى بالطريقة التى يسلكها مُهندس الجسور مثلًا عندما يَصْنَع نموذجًا مُصغَّرًا لجِسْرٍ ليُجرِّب قدرة تحمُّله وصلابته دون اللجوء إلى تكاليف بناء جسر حقيقى. فالتفكير عمليَّة معرفيَّة تتميَّز باستخدام الرموز لتنوب عن الأشياء

والحوادث، والرمز هو أى شيء يقوم مقام ذات الشـيء أو يَـدُلُّ عليـه، ونحـن نُفكِّر عن طريق استخدام الرموز، وبما أن اللُّغـة التـى نلفظهـا هـى عبـارة عـن عمليَّة رمزيَّة غنيَّة، فكثير من تفكيرنا يقوم على استخدام اللُّغة(١٢).

- التفكير سلوك خفىّ: التفكير سلوك خَفِىٌّ لا يُمْكِن ملاحظته، يكـون استجابة لمثيرات قد لا تكون ظاهرة للحواس بشكل مُبـاشِر. إنـه أيضًـا نشـاط يُوَلَّد ذاتيًّا، يقوم به المرء بهدف تحقيق نتيجة مرغوبة كوَضْع خُطَّة عَمَل مـثلًا، أو تأليف كتـاب، أو حَـلّ مشـكلة مـا، ولا يسـتطيع عـالِم الـنَّفْس أن يسـتفيض فى الحديث عن مفهوم عام كالتفكير إلَّا بعد مناقشة أنواع معيَّنة منه(١٣).

٢. الخصائص الفرديَّة المُميِّزة للتفكير:

يتباين الناس من حولنا فى سلوكياتهم، وهذا يشير إلى مَـدَى اخـتلافهم فى خصائص تفكيرهم، فبعضهم يتميَّز بسرعة التفكير وأصالته ومرونتـه وعُمْقـه، وبعضهم الآخَر يتميَّز ببطء التفكير وعدم القدرة على تجـاوز الأُطُـر والقوالـب التى حفظها، وبالتالى يعجز عن إدراك العلاقات الجوهريَّة فى ظـواهر مُتشـابهة، مع أنها ترتبط فيما بينها بعلاقات مُشتركة.

وهناك خصائص للتفكير تتعلَّق بالفروق الفرديَّة بين الناس، من أهمِّها:

- **الأصالة:**

إن الأصالة فى التفكير تتجلَّى ـ أكثر ما تتجلَّى ـ فى القدرة على رؤية المشكلة وتحديدها وطرحها على شكل مسألة، والقدرة عـلى إيجـاد حَـلٍّ ملائـم وجديـد

ومُبتكر لها اعتمادًا على قُوَاه، وقد أشار "جيلفورد" إلى أن أصالة التفكير تعني: إنتاج ما هو غير مألوف، ما هو بعيد المدَى، ما هو ذكي وصادق من الاستجابات[١٤].

- **المُرونَة:**

مرونة التفكير تعنى القدرة على إجراء تغيير من نوعٍ ما: تغيير فى المعنى، أو التفسير، أو الاستعمال، أو فهم المسألة، أو إستراتيجيَّة العمل، أو تغيير فى اتجاه التفكير بحيث يؤدِّى هذا التغيير إلى العُثور على الحل الملائم لشروط المسألة موضوع البحث. والمرونة صنفان: المرونة التلقائيَّة، والمرونة التكيُّفيَّة.

- **السرعة (الطلاقة):**

سرعة اتخاذ القرار تأخذ أهميَّة خاصة وتصبح ضرورة فى المواقف والأزمات الخطيرة أثناء الحروب والكوارث والمفاجآت المختلفة، ونحو ذلك من المشاكل التى تتطلَّب حلولًا عاجلة[١٥][١٦].

❁ ❁ ❁

رابعًا: ما متطلبات التفكير؟

يتطلَّب التفكير:

- قالبًا يُنظِّم خبرات ومعلومات الإنسـان، واللُّغـة هـى القالـب الـذى يُشكِّل هذه الخبرات والمعلومات.
- مخزنًـا يحتـوى الأفكـار والخـبرات والمعلومـات ويحـتفظ بهـا لحـين استدعائها، والذاكرة هى ذلك المخزن الذى يحتويها.
- بيئة نفسيَّة معيَّنة ومُحيطًا اجتماعيًّا مُحدَّدًا؛ فالتفكير لا يمكـن أن يَحْـدُث فى فراغ وإنَّما فى بيئة ما، والحالة النفسيَّة (سيكولوجيَّة التفكير) هـى الجـو الـذى يتنفَّس فيه التفكير.

وفيما يأتى شىءٌ من التوضيح للعناصر الثلاثة السابقة:

١. اللُّغة:

- ثَراء لغتك سبب فى عُمْق تفكيرك.
- ثمــة علاقــة عضــويَّة متينــة بــين اللُّغــة والتفكــير، فاللُّغــة هــى القالــب الــذى يَنْصَــبُّ فيــه التفكــير، والفِكْــر هــو المضــمون الــذى يحتويــه ذلـك القالـب اللغـوىّ، ويُعـبِّر بعـض البـاحثين عـن هـذه الوشـيجة بـالقول أن اللُّغة والفكر وجهان لعملة واحدة.

٢. الذاكرة:

- التفكير السليم وعاؤه ذاكرة جيِّدة.

- التفكير عمليَّة ذهنيَّة يُنظِّم بها العقل الخبرات والمعلومات من أجل اتخاذ قرار مُعيَّن. ومن هذا التعريف نَخْلُص إلى أهميَّة الذاكرة لهذه العمليَّة؛ ذلك أنها المخزن الذى يحوى تلك الخبرات والمعلومات التى يستخدمها العقل الإنسانىُّ فى التفكير، ومن هنا تَبْرُز أهميَّة التعرُّض لآليَّة الذاكرة، وكيفيَّة تفعيلها بحيث تسهم فى تعميق التفكير وتسهيل مهامه وتسريع عمله.

وتنقسم الذاكرة أقسامًا، هى:

- مخزن المعلومات الحِسِّىّ: ولا تستطيع الذاكرة الاحتفاظ بالمعلومات فى هذا المخزن بما يتجاوز ثوانى معدودة.
- الذاكرة قصيرة المدى: وهى التى تحتفظ لفترة ساعات بالمعلومات التى يَشْعُر الإنسان بأهميَّة تخزينها وبضرورة اصطحابها على الدوام.
- الذاكرة طويلة المدى: وهى التى تحفظ لفترة طويلة المعلومات التى يَبْذُل الإنسان جهدًا كبيرًا ويُمضى وقتًا طويلًا فى سبيل تخزينها، ويعتقد بعض علماء النفس أن تلك المعلومات يستمر وجودها فى تلك الذاكرة؛ بمعنى أنها لا تزول بمرور الوقت، والحقيقة أنها قد تزول وتتشوَّه بعض أجزائها، إلَّا أنَّ الجزء الأكبر يَبْقى على الدوام.

وتَمُرّ آليَّةُ التذكُّر بالمراحل التالية:

- استقبال المعلومة المُراد تخزينها فى أى قِسْم من أقسام الذاكرة، ويجب التركيز عند استقبال المعلومات.

- ترميز تلك المعلومة، وذلك بإعطائها رمزًا مُعيَّنًا تُسْتَدْعَى من خلاله عند الحاجة إليها، وتُعتبر هذه المرحلةُ هى الأخطر والأهَمَّ؛ فكلما كان ترميزك للمعلومة أَدَقَّ وأوضح، زادت قدرتك على تخزين المعلومة لفترة أطول، واسترجاعها بطريقة أسرع.
- يتمُّ تخزين المعلومات فى خلايا الذاكرة التى يَبْلُغ تعدادها ما يُقارب عشرة مليارات خليَّة، كلُّ خليَّة تستوعب مائة ألف معلومة.
- استدعاء المعلومة المطلوبة من خلال رمزها.

وثمة نوعان للذاكرة هما:

- **الذاكرة الدوريَّة**: وهى التى تعتمد على التكرار، وهى مُفيدة فى حفظ النصوص المختلفة.
- **الذاكرة المنطقيَّة**: وهى التى تعتمد على الترتيب والربط المنطقيين.

٣. سيكولوجيَّة التفكير:

التفكير عمليَّة ذهنيَّة تتأثَّر بالعامِل النَّفْسِيِّ سَلْبًا أو إيجابًا، وبمدى الاقتناع بالقضيَّة مَحَلّ التفكير، فإذا تمتَّع الإنسان بصحة نفسيَّة جيِّدة حالَ تفكيره فى قضيَّة توفَّرت أسباب اقتناعه بها، فإنه يندفع إلى التفكير فيها بحماس وانفتاح، بطريقة قد توصِّل إلى الحَلِّ المناسب ـ بعد توفيق الله تعالى له ـ فى حين أنه قد يَعْجِز ذلك الإنسان عن مُجَرَّد إقناع نفسه بأهميَّة استمراره فى التفكير فى تلك القضيَّة فى حالة اعتلاله نفسيًّا. ويمكن تسمية تلك الحالة بـ "الانغلاق الذهنى

النفسى"، وربَّما نجد أحيانًا أنه لا مَفَرَّ مـن هجـر التفكـير حينـذاك والانهـماك فى عمل آخر ريثما تُعاوده صِحَّته النفسيَّة [١٧][١٨].

خامسًا: ما الوحدات الأساسيَّة أو البِنَى العقليَّة للتفكير؟

إنَّ الشرط الضروريّ لتعلُّم واكتساب أى معلومة جديدة يكمُن فى توفُّر عدد من البِنَى العقليَّة التى تقوم بمعالجة وإعداد المادَّة الأساسيَّة للتفكير، والتى يقوم التفكير بدوره بتوحيدها فى نسيج مُتماسِك على شكل خبرة شاملة مُعقَّدة متنوعة ومُتعدِّدة المستويات: موضوعات ومناهج ونتاجات.

وتتكوَّن هذه البِنَى العقليَّة المعرفيَّة من: هياكل الصور الأوَّليَّة، والصور المُتفاوتة الدِّقَّة والشمول، والرموز، والمفاهيم، والقواعد، والمبادئ، والقوانين، والنظريات.

١. مُخطَّطات أو هياكل الصور الأوَّليَّة:

تؤلِّف هذه الوحداتُ المُكوِّناتِ الرئيسة لقاعدة الهرم المعرفىِّ لدى الإنسان، والبِنْيَةَ العقليَّة الأوَّليَّة التى يكتسبها فى سياق عمليَّة التعلُّم الممتدَّة على امتداد حياة الفرد. فالمُخطَّط الأوَّلى هو نتاج تمثُّل الجهاز المعرفىِّ الأوَّلىِّ للسمات والخصائص الرئيسة المهمة لحَدَثٍ أو ظاهرة أو شىء مُعيَّن، إنه كما يقول "ويسبرنج" فى كتابه (الذاكرة والتفكير والسلوك،١٩٨٠): ليس صورة فوتوغرافيَّة للحَدَث أو الظاهرة أو الشىء، وإنما هو "نمط عقلى مُجرَّد"، فقد تكون السِّمَة اللازمة للمُخطَّط الأوَّلىّ للمُعلِّم مثلًا هى: المسطرة أو العصا التى يحملها، أو الصراحة التى يَّتصِف بها، أمَّا السمات الأخرى فغير هامة.

وبعبارة أخرى فإن مُخطَّطات الصور الأوَّليَّة أَشْبَه بالكاريكاتير الذى يُبالِغ

فى إبراز بعض سمات الشخص ويُضخِّمها، إنها الهياكل الأساسيَّة للأشياء والظواهر والناس التى تنتج عن عمل الإدراكات وتَبْقَى كآثار لها.

٢. الصُّور:

هى صور الأشياء الماديَّة التى تَنْطَبِع وتُسَجَّل، وكل صورة حِسِّيَّة عبارة عن عدد كبير من العناصر التى تنتظم فى علاقة مُحَدَّدة من التشابه والاتِّساق، وتتميَّز بعموميَّة مبدأ انتظامها الزَّمنىِّ والمكانىِّ (لوموف، ١٩٦٣م). وتظهر فى وعى الفرد لموضوعات المعرفة... (روبنشتين، ١٩٥٦م).

والصورة ـ مُركَّبة ومُعقَّدة ـ تتكوَّن فى مستوى ما من مستويات تطوُّر المُخطَّط الأوَّلِّ أو الهيكلىّ، وهى أسهل للتناول والاستخدام والمُعالجة.

٣. الرموز:

هى أسماء مُقرَّرة تُعْرَف بها الأشياء والظواهر والعمليات؛ كأسماء الأشياء والأرقام. ويَكْمُن الفرق بين المُخطَّط الأوَّلىّ والرَّمْز فى أن الأوَّل غير مُحدَّد بشكل مُسْبَق؛ إذ يُمثِّل مشهدًا ما أو صوتًا مُعيَّنًا عن طريق الاحتفاظ بالعلاقات الماديَّة التى كانت جزءًا من الخبرة. فى حين أن الرَّمز طريقة اصطنعها الإنسان لتَحِلَّ إشارة مَا مَحَلَّ حَدَث أو واقعة، وتُستخدَم الرموز فى عمليَّة تكوين المفاهيم.

٤. المفاهيم:

المفهوم أكثر ثراءً وشمولًا من الرمز؛ فهو يَحِلُّ مَحَلَّ جملة من الصفات

المُشتركة لفئة من المخططات الأوَّليَّة أو الصور، بينما يَحِلُّ الرمز مَحلَّ شىء أو حَدَثٍ ما؛ أى أن المفهوم صفة أو صفات تشترك فيها عِدَّة أشياء أو ظواهر، ومن ثم يمتلك تلك الخصائص والصفات التى تشترك فيها مجموعة من الخبرات أو الأشياء: "الشجرة، النهر، الديمقراطيَّة، الشجاعة... إلخ".

وتقوم المفاهيم على أبعاد مُشْتقَّة من رموز أو صور أو مُخطَّطات أوَّليَّة أو مشاعر؛ مثل اشتقاق الرقم (٥) من الدائرة، واشتقاق مفهوم الخوف من مشاعر الخوف من حيوان ما.

وللمفاهيم عديد من الصفات منها:

- **درجة التجريد**: كلب، صداقة، عدالة.
- **درجة التعقيد**: وتتوقَّف على عدد الأبعاد أو الصفات، وتبايُن مستوى تمثُّلها أو استدخالها، وعلى العلاقات القائمة بينها.
- **درجة التمايُز**: وهى الدرجة التى يُمْكن تمييزها ضمن المجموعة الأساسيَّة من الصفات المُشتركة التى يُمثِّلها هذا المفهوم أو ذاك، وتتمثَّل فى الأشكال المختلفة والمُتشابهة التى تُحدِّد النماذج المتباينة للمفهوم.

← مثال:

- مفهوم المنزل مُتمايِز إلى حَدٍّ كبير؛ لأنه يتجلَّى فى أشكال عديدة مُتنوِّعة: كوخ، قصر، فيلَّا، بناء...إلخ.
- بينما المفاهيم المُتعلِّقة بصفات الأشياء مُتفاوتة التمايز: جذَّاب،

باهت، جميل، قبيح، ومفهوم (المُعلِّم) مُتفاوت التمايُز: مُعلِّم ابتدائى، ثانوى، جامعى، مُعلِّم حِرْفَة... إلخ.

- أمَّا مفهوم (أَمْلَس) فهو قليل التمايُز.

- **مركزيَّة الأبعاد**: أى أن الصفة أو الصفات المُسَيْطرة أو الرئيسة بين الخصائص والأبعاد الأخرى تؤلِّف قطب الرحى فى المفهوم والمرتكزات الأساسيَّة له.

← **مثال:**

- مفهوم الطفل الرضيع يقوم على خاصِّيَّة أو بُعد العمر.
- مفهوم الحيوان يقوم على أبعاد التكاثُر وهضم الطعام وطرح الفضلات... إلخ[١٩].

تلك هى الوحدات الأساسيَّة أوالبِنَى العقليَّة التى تحكم عمليَّة التفكير عند الإنسان، ولا يكون للتفكير وجودٌ بدونها[٢٠].

❁ ❁ ❁

سادسًا: ما دوافع التفكير عند الإنسان؟

يَنْطَلِق التفكير بوجه عامّ ـ مثله مثل أى نشاط آخَر للإنسان ـ من حاجات ودوافع شخصيَّة، فإذا لم توجَد حاجة ودافع للتفكير لا يُمْكِن أن نُفكِّر. إن عِلْم النَّفْس يدرس الحاجات والدوافع باعتبارها القُوَى التى تدفع الإنسان إلى الانخراط فى نشاط عقلىٍّ، ويدرس الشروط التى يجب توفُّرها لتبرز الحاجة إلى التحليل والتركيب والتجريد والتعميم... إلخ. ودوافع التفكير التى يتصدَّى لها عِلْم النَّفْس تنقسم إلى نوعين من الدوافع:

١. دوافع معرفيَّة خاصة بالتفكير:

فى هذه الحالة تكون الدوافع والرغبات والاهتمامات هى المُثيرات والقُوَى المُحرِّكة والمُحفِّزة على القيام بالنشاط العقلى؛ مثل حُبّ الاستطلاع لدى الأطفال.

٢. دوافع معرفيَّة خارجة عن التفكير:

تكون دوافع التفكير خارجيَّة عندما تبدأ عمليَّة التفكير تحت تأثير عوامل خارجيَّة، وليس تحت تأثير اهتمامات معرفيَّة بحتة (٢١).

دافعيَّة التفكير "*The Motivation of Thinking*" عند جون كارول:

يَرَى "جون كارول" ***John Carroll*** أنه لا يُمْكِن لعمليَّة التفكير أن تَحْدُث دون أن يكون هناك سبب لها. ففى مُسْتَهلِّ الطفولة ***"Infancy"***، تكون

هناك دوافـع أَوَّلِيَّـة ***"Primary drives"*** لـدى الطفـل: كـالجوع، والعطـش، والحاجة إلى الدفء... هذه الدوافع تجعلـه يتعـرَّف عـلى الأشـياء التـى تشـبعها ويُميِّزها جَيِّدًا، بل ويُحوِّلها إلى مفاهيم (كالطعام والدُّثُر مـثلًا)، إلَّا أنـه يَصْـعُب تفسير جميع سلوكيات الطفل فى هـذه المرحلـة دون الإشـارة كـذلك إلى دوافـع ثانويَّة ***Secondary Drives*** تم تعلُّمها فى مرحلة الطفولة ***"Childhood"*** .

ولا تَنْحَصِر دافعيَّة التفكـير عنـد الطفـل فى حاجتـه إلى حَـلِّ المشـكلات المُتعَلِّقة بتفاعلاته مع الآخرين أو مع بيئته فحسب، بـل إن هنـاك أشـياء أخـرى تدفعه إلى التفكير؛ كحاجته إلى الفهم أو المعرفة. قد يكون هذا النوع من الدوافع أساسيًّا فى الاسـتجابة المُوَجِّهـة ***"Orienting reflex"*** ، والتـى وصـفها علـماء النفس الرُّوس بأنها نزعة بدائيَّة تُلاحَظ فى الحيوانات والأطفال الصغار تجعلهـم ينتبهون إلى أىِّ مُثير ***"Stimulus"*** جديد عليهم.

لتفكير الراشدين أيضًا دوافع، قد تكون عامَّة (غير مُرَكَّـزة) كالاسـتغراق فى أحـلام اليقظـة ***"Daydreaming"*** وفى التفكـير الحـالِم" ***reverie"*** ، أو قـد تكون خاصَّة ومُحدَّدة، وذلك عند وجود حاجة مُلِحَّة لحَلِّ مشكلة معيَّنـة. تظهـر أيضًا دافعيَّـة قويَّـة مُثـيرة للتفكـير فى مـا يُطْلِـق عليـه "ليـون فسـتنجر" ***Leon Festinger*** "التنافُر التمييزى" ***"Cognitive dissonance"*** ، وهى حالة تَحْـدُث عندما يُعْرَض على المرء فكرتان متناقضتان تناقضًا واضحًا، كـأن يُعْـرَض عليـه مثلًا حقيقة موضوعيَّة (موجودة فى الواقع، مُدْرَكَة بالحواس) تُنـاقِض مـا يَعْلَـق

بذهنه من معتقدات. وقد أوضح "فستنجر" أن هناك دوافع قويَّة لدى المرء لتقليل مثل هذا التناقض التمييزى، وذلك إمَّا بتغيير موقفه أو اتجاهه السلوكىّ، أو طَلَب المزيد من المعلومات، أو إعادة بناء أو تفسير المعلومات المُتوفِّرة لديه.

عند دراسة دافعيَّة التفكير فى حلِّ المشكلات يجدُر بنا أن نُلاحِظ تأثير الأوضاع أو التهيُّؤات ***"Sets"*** القائمة على تعليمات معيَّنة. يُمْكِن أن يُهَيَّأ المُجَرَّب عليه أو المبحوث***"Subject"*** (الشخص الذى تُجْرَى عليه التجربة النفسيَّة) مثلًا لتوجيه تفكيره بطريقة معيَّنة وفقًا للمهمة التى يُكلَّف بتنفيذها، أحيانًا ما يُطْلَق على هذا الوضع أو التهيُّؤ: "النزعة المُحدِّدة" ***Determining Tendency***. إذا كُلِّف المُجرَّب عليه بضرب عددين فى بعضهما، فإنه سيؤدى هذه المهمة وقتما يُعْرَض عليه العددان المطلوب ضربهما، ولكن يُمْكِنه بالمثل التحوُّل إلى نوع مختلف من الاستجابة بمُجرَّد أن يُطَلْبَ منه القيام بمهمة أخرى كجمع العددين مثلًا.

لوُحِظَت الظاهرة نفسها فى اختبارات الترابط المضبوط ***"Controlled Association"***، وهى اختبارات يُطَالِب فيها مُجْرِى التجربة المُجَرَّبَ عليه بتنفيذ مجموعة من التعليمات؛ كأن يَذْكُر مضادَّ كلمة مثلًا أو الجنس القريب (تحته الأنواع والأفراد) لكلمة. إنَّ التعليمات التى تُعْطَى للمُجرَّب عليه هى كالبَرْمجَة تُوجِّهه إلى القيام بنشاط عقلى مُعيَّن. عندما يسمع المرء جملة معيَّنة، فإن ذلك يثير فى ذهنه نوعًا من التفكير؛ حيث إن التركيب النحوىَّ للجملة هو

الذى يهيِّئُه ويُوَجِّهُه إلى الاستجابة بطريقة معيَّنة للمثيرات التى تُشير إليها الجملة(٢٢).

كيف نُفكِّر؟

على الرغم من كون التفكير عملًا لا يَنْفَكُّ عنه إنسان حَيٌّ، إلَّا أنه حقيقة مُعقَّدة من حيث تفاصيلها وخطواتها، ويتَّفق عُلماء الجهاز العصبىّ على أن الدِّماغ الإنسانىّ هو أعقد شىء فى كون الله الواسع(٢٣).

غير أن هذا لا يعنى استحالة الإحاطة بمثل تلك التفاصيل والخطوات، وبعيدًا عن تعقيدات بعض المناطقة، وسفسطة جُلِّ الفلاسفة، يمكن تلخيص هذه الخطوات فيما يأتى:

١. **وجود مُثير ـ فى قوالب مختلفة ـ تنجذب إليه عقولنا من خلال حواسِّنا (الانتباه)**، والعوامل التى تؤثِّر على قوة ذلك الانتباه تنقسم إلى:

- **عوامل داخليَّة**: كالدوافع، والقيم، والميول.
- **عوامل خارجيَّة**: كطبيعة المُثير وقوَّته وموضعه ومدى حداثته.

٢. **ترجمة ذلك المُثير فى المخ ـ بمُساعدة الذاكرة والمُخيِّلة ـ إلى رموز يُدركها العقل**: أشخاص، أشياء، معانٍ (الإدراك) (٢٤).

٣. **إعمال العقل فى تلك الرموز من أجل الوصول إلى نتيجة معيَّنة.**

ويمكن تقسيم العقل فى ضوء العمليَّة الذهنيَّة التى يقوم بها إلى:

- **العقل الواعى (الوعى) *Consciousness***:

وعن طريقه يُمْكننا إدراك الأشياء والمعلومات وتخزينها، وربط بعضها ببعض على نَحْو مُفيد، واتِّخاذ القرار بالفعل وعدمه.

- **العقل الباطن (اللاوعى) *Subconscious*:**

وهو الذى يتحكَّم فى الوظائف التلقائيَّة (اللاإراديَّة)، وتخزين الأحداث، ودفع الإنسان لمُمارسة ما اعتاد عليه (العادات)، وهناك تواصُل بين الوعى واللاوعى وتكامُل فى الأدوار.

وهذا التقسيم ليس عضويًّا ـ فسيولوجيًّا ـ وإنما هو اصطلاحىّ من أجل التوضيح(٢٥) (٢٦).

❁ ❁ ❁

سابعًا : ما أنواع التفكير؟

هناك تصنيفات كثيرة لأنواع التفكير:

١. فبعض العلماء اعتمد فى تصنيفه للتفكير على نوعين:

- التفكير الحسِّىّ / العملىّ.
- التفكير المجرَّد / النظرىّ.

٢. وبعضهم الآخر ـ مثل "بياجيه" ***Piaget*** ـ صنَّف أنواع التفكير فى ضوء مراحل نموِّ الطفل الخاصَّة:

- حسِّىّ حركىّ.
- حدْسِىّ (ما قبل العمليات).
- فرضىّ مجرَّد.

٣. وصنَّف "برونر" ***Bruner*** التفكير إلى:

- حسِّىّ حركىّ.
- أيقونىّ.
- رمزىّ.

٤. وذكر "ألكونين" الأنواع الآتية:

- حسِّىّ حركىّ.
- حسِّىّ صورىّ.
- نظرىّ مجرَّد.

وفيما يأتى شرح موجز لكل نوع من الأنواع الثلاثة الأخيرة:

١. التفكير الحسِّىُّ الحركىّ:

وهو شكل التفكير السائد عند الأطفال فى السنوات الثلاث الأولى بعد الولادة، حيث يلجئون إلى معالجة الأشياء والتعرُّف عليها من خلال ما يقومون به من حركات وأفعال، ومن هذه الأفعال المادِّية الحسِّية يستخلصون معارفهم. وهذا يعنى أن النشاط الحسىّ ـــ الحركىّ هو النشاط الأول والأساس الذى يستند إليه التفكير النظرىّ.

٢. التفكير الحِسِّىُّ ـ الصُّوَرىّ:

إن الشكل الأبسط للتفكير الحسِّىّ الصورىّ أوَّل ما يَظْهَر لدى الأطفال فى سِنٍّ ما قبل المدرسة، أى فى الفترة بين (٣-٦) سنوات، علمًا بأنَّ صلة التفكير بالأفعال العمليَّة تظل قائمة لديهم، لكنها لا تظل وثيقة الصلة بها بشكل مباشر كما كانت عليه فى السابق.

إذن يفكر الطفل فى المرحلة العمريَّة المذكورة اعتمادًا على الصور الحِسِّيَّة؛ لأنه لم يمتلك المفاهيم بعد.

٣. التفكير المجرَّد:

إن الأطفال فى المدرسة الابتدائيَّة ـ لا سيِّما فى الصفوف الأولى منها ـ تنمو لديهم ـ على أساس الخبرة العمليَّة ـ أشكال بسيطة جدًّا من التفكير المجرَّد، فبالإضافة إلى التفكير الحسِّىّ ـ الحركىّ ـ والتفكير الحسِّىّ ـــ الصورىّ ـــ يبرُز

شكل جديد من التفكير يعتمد على المفاهيم والأحكام المجردة، فهو بالطبع حِسِّىٌّ أَوَّلِىٌّ وبسيط.

وامتلاك الأطفال المفاهيم فى سياق استيعابهم أسس العلوم المختلفة كالرياضيات، والفيزياء، والتاريخ... إلخ له أهميَّة عظيمة فى نموِّهم العقلى اللاحق.

إنَّ التفكير المجرَّد يتجاوز حدود المعرفة الحِسِّيَّة، لكنه على الرغم من ذلك لا يمكنه أبدًا أن ينقطع عن أصله ومنشئه؛ أى عن الإحساسات والإدراكات والتصوُّرات(٢٧).

وفى هذا النوع الأخير تتجلَّى العلاقة الجدليَّة بين اللُّغة والفكر؛ حيث تَحِلُّ الرموز اللغويَّة محلَّ الأفعال الحركيَّة والصور الذهنيَّة، وفى الوقت نفسه تَحِلُّ المفاهيم المجردة محلَّ الواقع المباشر(٢٨).

❁ ❁ ❁

ثامنًا: هل يفكر الحيوان والطير؟ وهل يختلف تفكيرهما عن تفكير الإنسان؟ وكيف؟

يـرى بعـض العلـماء مثـل "فيتجنشـتاين" ***Wittgenstein*** أن الحيـوان لا يستطيع التفكير مثل الإنسان؛ لأنه ليست لديه لغة يتكلمها(٢٩).

غير أن علماء آخرين مثل "كارول"(٣٠) ***Carroll***، و"جـرين"(٣١) ***Greene*** يرون أنه يمكن للحيوانات أن تؤدى مهامَّ كثيرة يبدو أنها تتطلَّـب "التفكـير"، أو على الأقلِّ عمليَّة داخليَّة.

ففى إحـدى التجـارب بجامعـة إنـديانا الأمريكيَّـة شـاهد أحـد القـرود الباحثَ وهو يضع طعام القرد المفضَّل فى داخـل صـندوق، ثـم أغلقـه بمفتـاح ووضع المفتاح فى صندوق آخر وحزمه بحبل، وكان ذلـك بمنزلـة تحـدٍّ للقـرد، ومع هذا استطاع حل المشكلة؛ إذ وجد قطعة مـن الصـخر، فأخـذ يـدقُّها عـلى الأرض الخرسانيَّة بشدة، وصنع بهذه الطريقة ما يشبه مُدْيَة صغيرة اسـتطاع بهـا قطع الحبل وإخراج المفتاح وفتح الصندوق المغلق وتناول طعامه المفضَّل!(٣٢).

وفى تجارب أُجريَتْ بجامعة أطلانطا الأمريكيَّة أصـيبت أنثـى شـمبانزى بالشلل وأخذت تنظر بعينها إلى القِردة الأخرى، وأدركـت ابنتُهـا حاجـة أمِّهـا، فكانت تجمع لها الطعام وتضعه إلى جوارهـا، مـع أن الأمَّ لم تطلـب منهـا شـيئًا، ولكن الابنة فهمت من نظرات أمها ماذا تريد! وهذا يدل على أن هناك نوعًا من

أنواع الوعى أو الإدراك لدى الشمبانزى(٣٣).

أما طائر الهيرون "***Heron***" أو "مالك الحزين" فإنه يقف جامدًا على حافة الماء بانتظار مرور سمكة، وعندما تأتى سمكة فإنه يضرب بمنقاره وعنقه الطويل، وبسرعة فائقة تنساب السمكة إلى بلعومه ثم إلى معدته. وهناك طائر آخر أذكى منه ـ أو ربما نافد الصبر ـ يستعمل الطُّعْم لجذب الأسماك، مثل القش أو الورق أو الريش أو الحشرات أو الديدان أو كسرات الخبز، بل وقطع من البلاستيك!! (٣٤).

وقد أصدر العالم الأمريكى "دونالد جريفين" مؤخرًا كتابه "عقول الحيوانات" الذى يضم بين دفتيه مجموعة من الأبحاث العلميَّة التى أجريت فى مجال تفكير الحيوان، وهل تفكر بوعى، بمعنى: هل تعرف أو تدرك أنها تفكر؟ وقد شملت هذه الأبحاث القِرَدة الكبيرة والشمبانزى والببغاوات والقضاعة أو ثعلب الماء ***Otter*** والقندس أو السمور (وهو حيوان قاضم ذو فراء)، ويحكى لنا "جريفين" عن قرْدة أمٍّ من فصيلة الكابوسين صنعت بيديها أدوات بسيطة لمعالجة جروح أصيب بها وليدها فى رأسه، بل إنها أدخلت بعض التعديلات عليها، ثم أخذت موادَّ نباتيَّة واستعملتها علاجًا للجروح.

ويؤكِّد لنا هذا العالم المشتغل بهذا الفرع من الدراسات العلميَّة التى يطلق عليها "السلوكيَّة المعرفيَّة لدى الحيوان" أن بعض الحيوانات قادرة على بعض أنواع التفكير الواعى. ومن الأدلة والمؤشرات على ذلك ما يطلق عليه اتصال

الحيوان ***"Animal Communication"***، بمعنى أن الحيوانات تحاول التعبير عما تفكِّر فيه، ولعلَّ من أحدث الجهود فى إلقاء الضوء على تفكير الحيوان حديقة الحيوان التابعة لمؤسسة سميثونيان ***Smithonian*** فى واشنطن والتى تضم مبنى يجرى إعداده حاليًّا بعنوان "كيف يفكر الحيوان؟".

ويحكى لنا د. "حسن ظاظا" هذه الحكاية عن القطط:

"كنت أعمل فى جامعة بيروت، وأسكن فى الجبل، وكنت أترك بقايا الطعام فى صحن مهمل وأضعه جنب باب البيت، فتأتى قطة فتأكل ما فيه. وذات يوم وأنا جالس فى بهو الدار جاءت تحمل فى فمها قطَّة صغيرة وضعتها أمامى، وأعادت الكَرَّة حتى صفَّت بين يدىَّ أربعًا من مواليدها، ففهمت أنها تستجدى لهم حليبًا؛ فأتيت بأطباق صغار خفاف وملأتها حليبًا، فانقضَّ عليها هذا الجيل من مواليدها ولم يُبْقوا منها شيئًا، وكانت القطَّة الأمُّ تنظر إلىَّ نظرة شكر صامت أبلغ من أى كلام!!" (٣٥).

كما لا يفوتنا أن نذكر فى مجال تكلُّم الطير والحشرات ما ورد فى القرآن الكريم عن الهدهد والنمل بشأن تكلُّمها وإدراكها لما حولها (٣٦).

ويحدثنا علماء الحشرات عن أن النمل عظيم الحيلة فى طلب الغذاء، فإذا وجد شيئًا أنذر رفاقه ليأتوا إليه، ومن طبعه أن يدَّخر من قُوته فى الصيف للشتاء، وله فى الادِّخار من الحِيَل أنَّه إذا ادَّخر ما يخاف أن يَنبُت قسَّمَه نصفين ما خلا الكبيرة فإنه يقسمها أرباعًا، كأنَّما أُلْهِمَ أن كل نصف منها ينبت! فإذا خاف

العفن على الحَبِّ أخرجه إلى ظاهر الأرض ونشره، وإذا أحسَّ الغيم ردَّه إلى مكانه خوفًا من المطر، فإذا ابتلَّ شيء منه بسطه يوم الصحو فى الشمس!!

وفى محاولة للإجابة عن السؤال الثانى المتعلِّق باختلاف "تفكير الحيوان" عن تفكير الإنسان، لا بُدَّ لنا أنْ نذكر أنَّ للغة وظيفتين رئيستين على القدر نفسه من الأهميَّة:

أُولاهما: الاتصال الخارجى للإنسان مع بقيَّة أبناء جنسه من البشر.

ثانيتهما: التحكم فى أفكاره الداخليَّة، أى اتصال الفرد مع نفسه إذا جاز التعبير، مثلما يحدث عندما يفكِّر الإنسان فى الالتحاق بكليَّة معيَّنة أو فى شراء منزل أو سيارة مثلًا[٣٧].

وتكمن معجزة الإدراك المعرفى للإنسان فى أنَّ هذين النظامين يستخدمان الشفرة أو الرموز اللغويَّة نفسها؛ مما يجعلهما قابلين للتحويل، أو للترجمة من أحدهما إلى الآخر بنجاح نسبى. ولكن ليس من الضرورى أن تظهر هذه المقدرة على التحويل أو الترجمة بين الاتصال الخارجى والداخلى لدى الحيوانات[٣٨].

وتلخِّص العالمة الأمريكيَّة "جرين" الفرق بين تفكير الإنسان وتفكير الحيوان قائلة: إن الشىء الوحيد الذى لم يستطع أى حيوان أن يفعله حتى الآن هو أن يخرج من تجربة فى علم النفس مثلًا، ويقول للحيوان الذى بعده فى الصف وليكن قردًا مثلًا: يوجد فى هذه الغرفة عالم مجنون يعطيك موزة إذا استطعت أن تُميِّز الشىء المختلف فى مجموعة أشياء تُعْرَض عليك[٣٩].

أمَّا الأفكار الأكثر تعقيدًا أو تجريدًا فلا قِبَلَ للحيوان بإدراكها، ناهيك عن إبداعها، خذ مثلاً: حلّ معادلة رياضيَّة، تكوين مقطوعة من الكلمات، تأليف سوناتا أو قطعة موسيقيَّة... وأعمق من ذلك وأبعد أن يدور فى خاطر الحيوان تلك الأسئلة الفلسفيَّة المقلقة عن مستقبل الحياة ومصير الكون، والموت، ومابعد الموت.... إلخ.

إن مثل هذه التساؤلات هى التى تميز **(الفكر الإنسانى)** عن **(الفكر الحيوانى)** إن صحَّت هذه العبارة الأخيرة.. أعنى هذا العمق والتعقيد والمستوى العالى من التجريد والتعميم والإبداع[٤٠].

❁ ❁ ❁

تاسعًا: هل يفكر الطفل حديث الولادة أو الجنين فى رحم أمه؟

منذ حوالى نصف قرن لم يكن أحد يتصوَّر أن الطفل حديث الولادة يستطيع التفكير، ولكن منذ حوالى أربعين عامًا نشأ علم جديد مختصٌّ بدراسة كل ما يتعلق بالطفل الرضيع، وأعلن المتخصصون فى هذا العلم أن الطفل حديث الولادة يفكر.

يقول البروفيسور "روجيه لوكيه" الباحث فى معمل علم نفس الطفل فى باريس: "قبل أن نقول إن الطفل عند ولادته يفكِّر، يجب أن نتوصَّل إلى الأشياء التى يفكِّر فيها، فالمعروف أن الطفل عقب ولادته مباشرة يستطيع التعرف على صوت أمه؛ لأنه كان قد التقطه منذ الشهر الخامس من الحمل، فالطفل الوليد يسمع إذن، ويرضع لبن أمه بلذَّة، ويلمس الأشياء من حوله باهتمام شديد، ويحاول إبقاء الشىء الذى يعجبه فى يديه لفترات طويلة".

ويقول "رينيه بابارجون" الباحث فى كيبك بكندا: "إن الطفل منذ سنِّ خمسة أشهر لديه المبادئ الأساسيَّة لعلم الفيزياء، فلا شىء يمكن أن يقنعه مثلًا بأن يبقى معلَّقًا فى الهواء، أو يُحمَل بطريقة لا تشعره بالأمان؛ ولذا فإنه يتشبَّث على الفور بمن يحمله".

ويقول العلماء المتخصصون فى هذا العلم الجديد أو الفرع الجديد من علم النفس: إن الأصوات الأولى التى يسمعها الطفل عند ولادته تظل مسجَّلة فى ذاكرته لا تُمحَى إطلاقًا، كما لو كانت مسجَّلة على شريط ممغنط مثل ذلك الذى

نسجِّل عليه الأصوات والمعلومات فى الحاسب الإلكترونى.

ولا يمكن للمرء إزاء هذا إلَّا أن يتذكَّر سُنَّة التكبير فى أذن الوليد اليمنى فور ولادته، والإقامة فى أذنه اليسرى، وهو ما لم يدرك كُنهَه العلماء غير المسلمين إلَّا منذ نحو أربعين عامًا، بينما أدركه رسول الله ﷺ منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، بما علَّمه الله إيَّاه وأوحى به إليه(٤١).

لم يقتصر العلماء على دراسة تفكير الوليد، بل تَعَدَّوا ذلك إلى القيام بأبحاث لقياس ذكاء الجنين والتكهُّن بالقدرات الذهنيَّة والدراسيَّة للطفل المقبل. ويتابع العلماء فى مركز دراسة سلوك الجنين فى جامعة كيونز فى بلفاست بأيرلندا ملاحظة مجموعة من المواليد الجدد، بعد أن أجروا سلسلة اختبارات عليهم عندما كانوا أجِنَّة فى أرحام أمهاتهم، وقد شملت هذه الاختبارات تعريضهم لمنبِّهات معيَّنة من أصوات وموسيقى، وغيرها، ولاحظ العلماء أن الجنين يتجاوب مع هذه المنبِّهات بتغيُّر طفيف فى ضربات القلب، وهو ما يَعدُّه العلماء شكلًا أوليًّا من أشكال التعلُّم.

ويؤكِّد البروفيسور "بيتر هيبر" الذى يقود فريق الباحثين فى هذا المجال أن الإناث متفوِّقات على الذكور فى هذه المقدرة، بمعنى أن الجنين الأنثى يحفظ أى معلومة تُقَدَّم له قبل أسبوعين من الجنين الذكَر حسبما ظهر فى اختبار استمر أربعة وعشرين أسبوعًا، ومفهوم الحفظ هنا أن تجاوب الجنين مع المنبِّهات يتوقَّف بعد لحظات عندما يتكرَّر المنبِّه أو الصوت نفسه، وهذا يعنى أن الجنين

التقط المعلومة أو حفظها، وأنه مستعدٌّ لتَلَقِّى غيرها[٤٢].

وعلى الرغم مـن أن معظـم العلـماء والبـاحثين يتَّفقـون عـلى هـذه الآراء العلميَّة الجديدة، فإن بعض المتخصصين يرفضونها، ومن بينهم على سبيل المثـال "باسكال برونكس" الذى يرفض فكرة أن الطفل يفكِّر منذ لحظة ولادته. ويقول محتجًا لرأيه هذا: إن الطفل يشعر ويتأثر فحسب، ولكنه لا يفكِّر؛ لأن الإنسـانيَّة لديه تبدأ باللُّغة، ولأنه ليست هناك أفكار حقيقيَّة بدون كلمات[٤٣].

ويضيف "باسكال" شيئًا يدعو إلى التوقف إزاءه طويلًا لتأمله، يقول:

"من حسن حظ الإنسان أنه مهما بلغ من آفاق العلم، فإنَّ هذه المرحلة مـن العمر سوف تظل دائمًا شبه لغز يحير كل العلماء"[٤٤].

وهذا القـول يـذكِّرنا عـلى الفـور بقـول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (**الإسراء: ٨٥**).

❁ ❁ ❁

عاشرًا: هل تختلف اللُّغة والفكر عند النساء عنهما عند الرجال؟

نقدِّم فيما يأتى خلاصة لأهمِّ ما توصَّل إليه "علـم المـخ" أو "علـم دراسـة المخ" كما جاء فى مجلة نيوزويـك" ***Newsweek***" الأمريكيَّـة، التـى طالعتنـا عـلى غلافها بعنوان أساسى يقول:

"العلم الجديد للمخ أو للدماغ"***The New Science of the Brain***.

مع عنوان فرعى على شكل سـؤال يقـول: "لمـاذا يفكـر الرجـال والنسـاء تفكيرًا مختلفًا؟" ***Why Men and Women Think Differently?***[٤٥].

يؤكِّد العلماء الأمريكيون أنَّ هناك اختلافًـا كبـيرًا بـين مـخِّ الرجـل ومـخ المرأة، وأنَّهما ـ نتيجة لذلك ـ يفكـران بطـريقتين مختلفتـين اختلافًـا كبـيرًا، وقـد توصَّل العلماء إلى ذلك بعد أن قاموا بفحص أمخاخ أكثر من ألـف رجـل وألـف امرأة بـأجهزة تصـوير المجـال الـوظيفى المـتردِّد للأعصـاب***FMRT***، وجهـاز الأشعة المقطعيَّة بانبعاث البوزيترون ***PET*** فى جميـع مراحـل التفكـير والتـذكُّر والتعلُّم والأحاسيس والمشاعر.

وقـد توصَّـل البروفيسـور "ريتشـارد هـير" بجامعـة كاليفورنيـا، ومعـه البروفيسور "روبين جون" من جامعة بنسلفانيا ـ اللذان أشرفـا عـلى أول بحـث علمى من نوعه فى هذا الموضوع ـ إلى الحقائق العلميَّة التالية التى يعرفهـا العـالم لأول مرة:

١. أنــه مــن المســتحيل أن يســترخى المــخ فــترة طويلــة دون تفكــير فى

شيء، حتى إذا تعمَّد الإنسان ذلك، فعندما يسترخى الرجل فإنه عادة يثبت تفكيره فى العمل أو كرة القدم مثلًا، أمَّا المرأة فيتَّجه تفكيرها إلى نسج مجموعة من الكلمات.

٢. أن الرجال يستخدمون الجانب الأيسر من المخ، وهو المسئول عن اللُّغة، بينما تستخدم النساء الجانب الأيمن مع الجانب الأيسر. ومن المعروف أن الجانب الأيمن هو المسئول عن العواطف، وهو ما يفسِّر سرَّ عاطفيَّة النساء!

٣. كانت النساء أقدر على مزج اللُّغة بالمشاعر؛ ممَّا ساعدهن على التعبير واستخدام الكلمات التى تعبِّر عما يجيش فى صدورهن.

٤. أن الجانب الأيسر من المخ ـ المسئول عن الكلام والقدرات اللغويَّة ـ يحتوى أحزمة عصبيَّة فى مخ المرأة أكثر من مخ الرجل؛ ممَّا يساعد المرأة على التعبير بالكلمات بشكل أفضل من الرجل.

جاء فى برنامج "دنيا العلوم" بهيئة الإذاعة البريطانيَّة (يونيو ١٩٩٥) أنه عُرِف منذ عدة قرون أن حجم دماغ الرجل ووزنه يزيدان على حجم دماغ المرأة بحوالى (١٠٠- ١٥٠) جرام أو سنتيمتر مكعب. وتقول خبيرة فى الفسيولوجيا العصبيَّة والذكاء والقدرة على التعلُّم والذاكرة بين الرجال والنساء:

"لقد تمَّ فحص الخلايا العصبيَّة فى أدمغة خمس نساء وأربعة رجال، ووُجِدَ أن الخلايا فى أدمغة النساء أكثر كثافةً وتراصًّا بنسبة نحو (١٥٪)، وقد تَمَّ فى خلال هذه التجربة التى استغرقت ثمانى سنوات عَدُّ أكثر من مائة ألف خليَّة

تحت المِجْهَر. وإذا صَحَّ أن هذا يَنْطَبِق على جميع خلايا الدماغ وليس على خلايا القشرة الدماغيَّة فقط، فإن هذا قد يعنى أن عدد الخلايا متساوٍ فى الرجال والنساء". وقد توصَّلت الباحثة إلى أنه لا علاقة بين حجم الدماغ والذكاء، بل رُبَّما كان العكس هو الصحيح.

وتُشير "أمل عوض الله" (٤٦) إلى أن وجهة نظر الرجل تتَّسِم غالبًا بأنها أعمق وأكثر وضوحًا، فى حين أنَّ النساء لديهن قدرة أكبر على الاستماع، وتُشير أيضًا إلى أن البنات يتحدَّثن مُبكِّرًا عن الأولاد، وأن بعض المفردات لديهن تتطوَّر تطوُّرًا أفضل، كما يستطعن ترتيب جُمَل متنوعة ذات معنى فى سِنٍّ مُبكِّرة عن الأولاد، وتُشير الكاتبة أخيرًا إلى أن لغة الرجل تتَّسِم بأنها جافَّة إلى حَدٍّ ما أكثر من لغة المرأة، كما أنَّ لغة الجسد عند الرجل تمتلئ بالتحدِّى، أمَّا لغة المرأة فتغلب عليها البراءة أو الطبيعة الأُنْثَوِيَّة؛ لحماية النَّفْس.

كما أثبتت تجربة أخرى أجرتها "لورا آلان"، و"روجر جورسكى" على ١٤٦ رجلًا وامرأة ما يأتى:

١. أن الجانب الأيسر من المخ عند الرجل لا يكاد يعرف ماذا يحدث فى الجانب الأيمن من المخ، وعلى العكس من ذلك فإن حوارًا من خلال الأعصاب يدور باستمرار بين الجانبين الأيمن والأيسر من المخ عند المرأة.

٢. أن مخ المرأة كالغرفة الواحدة، ومن ثم فإنَّه يستطيع أن يركِّز فى موضوع واحد بكفاءة عالية ممَّا يحقق إنجازًا كبيرًا، لكنَّ مخ الرجل كالبيت

مقسَّمًا عدة غرف؛ فهو يأخذ شيئًا من كل ألوان النشاط.

٣. وقد أثبتت الدراسات التشريحيَّة أن هرمونات الجنس ذات تـأثير كبـير على الاختلافات فى المخ عند الرجال والنساء، وأنها تجعـل كُـلًّا مـنهما يسـتخدم المخ استخداما مختلفًا.

إلَّا أنَّ عالم النفس الأمريكى "مـارك بريـدلث" يؤكِّـد أن أجـزاءً مـن مـخ الإنسان تـنكمش أو تنمـو وفقًـا للخـبرات الاجتماعيَّـة التـى يتعلَّمهـا، ووفقًـا للمعاملة التى يتلقَّاها من المحيطين به؛ لذلك فإن التفاعلات الاجتماعيَّة المعقَّـدة بين البشر تُسْهِم فى تطوير الجهاز العصبىِّ للإنسان، ومن ثم نموّ جزء معين مـن المخ أو تقلُّصه، كما أنَّ المعاملة التى يتلقاها الشخص فى المجتمع تختلـف إذا كـان رجلًا أو امرأة، وهذا بدوره يؤثِّر فى تطور مخ الإنسان.

ونحن لو تأمَّلنا بعض هذه الاختلافات، ونتائج التجارب التى أثبتت أيضًا أن النساء أقدر على كشف المشاعر، خاصة مشاعر الحزن، وأقدر على تجاوز الحزن والخروج من الأزمات، لأدركنا أن تلك الاختلافات ربما كانت تُوَحِّد أكثر مما تُفَرِّق، وتنفع أكثر مما تضر(٤٧)، ولَتَذَكَّرنا على الفور قول الله ﷻ:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم).

وممَّا سبق يتضح لنا أن هناك فروقًا فى أساليب التفكير بين الرجل والمـرأة، ولكن لكـل أسـلوب مميزاتـه، فلسـنا فى مجـال المفاضـلة، بـل ربَّـما كانـت هـذه

الاختلافات والفروق وسيلة للتقريب، وعاملًا من عوامل السَّكَن والمودَّة والرحمة، مع إثراء حياتنا العقليَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة بتلك التمايزات والأنماط الفكريَّة الأنثويَّة والذكوريَّة.

❁ ❁ ❁

مصادر ومراجع المبحث الأول

(١) *Longman Active Study Dictionary of English, Longman House, Burnt Mill, Harlow, England, 1997, P. 633.*

(٢) *Johnson, Samuel, Todd, Henry John, and Chalmers, Alexander (1824). A Dictionary of the English Language, 1824.*

(٣) الإنسان والعالَم، www.edunet.tn/ resources/ residsc/ philo.

(٤) د. فاخر عاقل، مُعْجَم العلوم النفسيَّة، مادة: ف ك ر، شعاع للنشر والعلوم، ط١، ٢٠٠٣، ص ٤٨٤.

(٥)*Whorf, Benjamin (1956). Language, Thought, and Reality: Selected Writings of Benjamin Lee Whorf, Ed. J.B. Carroll, Cambridge: MIT Press, 1956.*

(٦) عبد الحكيم السلوم، التفكير وحَلّ المشكلات، النبأ، العدد (٥٣)، شوال ١٤٢١ هـ/ كانون الثانى ٢٠٠١، www.annabaa.org.

(٧) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- ***Johnson, D.M. (1972). A Systematic Introduction to the Psychology of Thinking. New York: Harper & Row, 1972.***
- ***Vygotsky, L.S. (1962). Thought and Language, Cambridge and New York: M. I. T. – Wiley, 1962.***
- ***Bruner, J., Goodnow, J., and Austin, G. (1956). A Study of Thinking, New York: Wiley, 1956.***
- ***Humphrey, G. (1951) Thinking: an introduction to its experimental psychology, New York: Wiley, 1951.***

(٨) الإنسان والعالم، مصدر سابق.

(٩) د. فاروق السيد عثمان، التفكير بوصفه عمليَّة التغيُّر والتجديد، الموسوعة الإسلاميَّة، www.balagh.com/mosoa/falsafh/falsf.htm.

(١٠) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- ***Mayer, Richard E. (1983). Thinking, Problem Solving, Cognition. New York: W.H. Freeman, c1983.***

- *Mayer, Richard E. (1977). Thinking and Problem Solving: An Introduction to human Cognition and Learning. Glenview. III: Scott Foresman, c1977.*
- *Social and Functional Approach to Language and Thought / edited by Maya Hickmann; with a foreword by Jerome Bruner. Orlando: Academic Press, 1987.*

(١١) ما علاقة اللُّغة بالتفكير؟ الجزيرة، صحيفة يوميَّة تصدرها مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الخميس ٢٢ رجب ١٤٢١هـ / ١٩ أكتوبر ٢٠٠٠م - ط١، www.suhuf.net.sa.

(١٢) جوديث جرين، التفكير واللُّغة، ترجمة: عبد الرحمن عبد العزيز العبدان، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠، ص ٤.

(١٣) *Carroll, John B. (1964). Language and Thought, Englewood cliffs, New Jersey: prentice Hall Inc, 1964, p. 76*

(١٤) فاخر عاقل، الإبداع وتربيته، ١٩٧٩، ص ٢٩.

(١٥) عبد الحكيم السلوم، التفكير وحَلّ المشكلات، مصدر سابق.

(١٦) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Thinking and reasoning: psychological approaches / edited by Jonathan St B.T. Evans. London; Boston: Routledge & Kegan Paul, 1983.*
- *Dialogues on the psychology of language and thought: Conversations with Noam Chomsky, Charles Osgood, Jean Piaget, Ulric Neisser, and Marcel Kinsbourne / edited by Robert W. Rieber, in collaboration with Gilbert Voyat. New York: Plenum Press, c1983.*
- *Psychology and Biology of Language and Thought: essays in honor of Eric Lenneberg / edited by George A. Miller, Elizabeth Lenneberg. New York: Academic Press, 1978.*

(١٧) عبد الله بن عبد الرحمن البريدى، التفكير العلمى والإبداعى... حول التفكير: مُقدِّمات عامَّة، alandlus.4t.com/shazarat.htm.

(١٨) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Anderson, John R. (1976). Language, Memory and Thought. Hillsdale, N.J.: L. Erlbaum Associates; New York: distributed by the Halsted Press Division of Wiley, 1976.*
- *Kintsch, Walter (1977). Memory and Cognition. New York: Wiley, c1977.*
- *Vinack, W. Edgar (1974). The Psychology of Thinking. New York, McGraw-Hill. 1974, Second edition.*
- *Thinking: readings in cognitive science / edited by P. N. Johnson-Laird and P. C. Wason. Cambridge; New York: Cambridge University Press, 1977.*
- *Steiner, Vera John (1985). Notebooks of the mind: explorations of thinking. Albuquerque: University of New Mexico Press, c1985.*

(١٩) عبد الحكيم السلوم، التفكير وحلّ المشكلات، مصدر سابق.

(٢٠) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Anderson, Barry F. (1975). Cognitive psychology: the study of knowing, learning, and thinking. New York: Academic Press, 1975.*
- *Miles, Curtis, and Rauton, Jane (1985). Thinking tools: academic, personal, and career applications. Clearwater, Fla.: H&H Pub Co., c1985.*

(٢١) عبد الحكيم السلوم، التفكير وحلّ المشكلات، مصدر سابق.

(٢٢) *Carroll (1964), Op. Cit., PP. 80-81; Festinger, L., A Theory of Cognitive Dissonance, New York: Harper & Row, 1957*.

(٢٣) د. مالك بدرى، التفكير من المشاهدة إلى الشهود، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، فيرجينيا، ط٣، ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٢٤) د. حلمى المليجى، علم النفس المعاصر، دار النهضة العربية، لبنان، ١٩٧٤، ص١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢٥) د. عيسى الملا، الإنسان والتفكير الإيجابى، مكتبة الملك فهد، ط١، ١٤١٨هـ، ص٥٤ ـ ٦٢.

(٢٦) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Ryle, Gilbert (1979). On Thinking. Edited by Konstantin Kolenda; with an introd. by G. J. Warnock. Totowa, N.J.: Rowman and Littlefield, 1979.*
- *Smith, Peter, and Jones O.R. (1986). The Philosophy of Mind: An Introduction. Cambridge [Cambridgeshire]; New York: Cambridge University Press, 1986.*

(٢٧) التفكير وحل المشكلات، مصدر سابق.

(٢٨) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Jaquish, Gail Ann (1979). Divergent thinking and self-esteem across the life-span. 1979.*
- *Gilhooly, K.J. (1982). Thinking: Directed, Undirected and Creative. London; New York: Academic Press, 1982.*

(٢٩) أحمد شوقى رضوان، عثمان بن صالح الفريح، التحرير العربى، الرياض: عمادة شئون المكتبات: جامعة الملك سعود، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٧.

(٣٠) *Carroll (1964), Op. Cit., P. 93.*

(٣١) جوديث جرين، مصدر سابق، ص ١٠٣.

(٣٢) محمد نبهان سويلم، هل تفكر الحيوانات؟ الفيصل، العدد (٢٠٥)، رجب ١٤١٤هـ/ ديسمبر، يناير ١٩٩٣/ ١٩٩٤م، ص٨٦.

(٣٣) أنيس منصور، مواقف، الأهرام، ١٩٩٤/١/٢٩ م.

(٣٤) جريدة الرياض، ملحق ثقافة اليوم، ٤ رمضان ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣/٢/٢٥م، ص٣٥.

(٣٥) د. حسن ظاظا، الكشكول، سلامًا أيها القطط، جريدة الرياض، ١٩٩٥/٦/١م، ص ٢٦.

(٣٦) د. حسن ظاظا، الكشكول، اللسان والأدب واللهب، جريدة الرياض، مايو ١٩٩٥، ص ٢٢.

(٣٧) *Carroll (1964), Op. Cit., P. 4 .*

(٣٨) جوديث جرين، التفكير واللُّغة، ص ١٠٣.

(٣٩) د. أحمد شفيق الخطيب، اللُّغة والفكر، ٢٠٠٦، ***www.arabswatan.org***

(٤٠) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- ***Spelke, Elizabeth S. "What Makes Us Smart? Core Knowledge and Natural Language" in Language in Mind: Advances in the Study of Language and Thought. (2003). Edit. By Dedre Gentner and Susan Goldin-Meadow. MIT Press. Cambridge, Massachusetts: London, England. PP. 277 – 307.***
- ***Felleman, D.J., and Van Essen, D.C. (1991). Distributed Hierarchal Processing in the Primate Cerebral Cortex. Cerebral Cortex, 1, 1 – 47.***

(٤١) هبة لوزة، الطفل حديث الولادة يُفكِّر ويحلم ويتفاعل، جريدة الأهرام، ١٩٩٤/١١/١١م، ص٧.

(٤٢) الجنين يبدأ التعلُّم فى رحم أمه، جريدة الرياض، ١٤١٥/١١/٦هـ/ ١٩٩٥/٤/٦م، ص ٣٤.

(٤٣) هبة لوزة، المقال السابق نفسه.

(٤٤) د. أحمد شفيق الخطيب، مصدر سابق.

(٤٥) عزت السعدنى، وجعل بينكم مودَّة ورحمة، الأهرام، ١٩٩٥/٤/١م، ص ٣.

(٤٦) أمل عوض الله، لماذا يختلف تفكير الرجل عن المرأة؟ الأهرام، ١٩٩٥/٦/٢م، ص٦، بملحق الجمعة.

(٤٧) د. أحمد شفيق الخطيب، مصدر سابق.

المبحث الثانى : اللغة

تساؤلات مطروحة :

- ما اللغة ؟ وما وظيفتها ؟!
- وما أهم خصائصها ؟!
- وما صلتها بالعلوم الأخرى ؟!
- وما الفرق بين اللغة والكلام ؟ والكفاية والأداء ؟
- وما أنواع المعنى ؟ وكيف نفهمه ؟!

أولا: ما اللغة *language* وما أهم وظائفها؟

من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان نعمة اللغة، ولقد لفت القرآن الكريم الانتباه إلى هذه النعمة؛ قال الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ٤ ﴾ (**الرحمن**).

والاهتمام باللغة قديم قدم الإنسان فى هذا الوجود، فمنذ لحظة الميلاد اللغوى للإنسان ـ حين عَلَّم الله آدم الأسماء، وأودع فيه القدرة اللغوية؛ قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (**البقرة:٣١**) ـ واللغة تنمو نموًّا نشهد معه مواليد جديدة تضاف إلى لغات البشر، ووفيات من لغات أخرى تندثر وتموت. وقد تعددت اللغات وتنوعت حتى أصبح يحيا على ألسنة البشر فى حياتنا المعاصرة قرابة ثلاثة آلاف لغة[1]، هذا بخلاف اللهجات المتعددة داخل كل لغة، والتى بإضافتها إلى عدد اللغات الحية فى العالم المعاصر، يصل العدد إلى أكثر من خمسة آلاف لغة، وسبحان الله القائل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ٢٢ ﴾ (**الروم**). فسبحان من خلق فسوَّى وقدّر فهدى.

وتشهد الدراسات اللغوية الحديثة تقدمًا ملحوظًا، متجاوزة حدود الاهتمام بلغة بعينها إلى دراسة اللغة عامة، ومتجاوزة حدود دراسة اللغة بوصفها وسيلة من الوسائل إلى دراسة اللغة من أجل ذاتها.

ومع بدايات القرن التاسع عشر وقف البحث العلمى المتأنى يبحث عن كُنْه اللغة وعن طبيعتها ووظيفتها، وأدخل اللغة إلى مجال العلم، وتحول الدرس اللغوى من الافتراضات النظرية إلى الملاحظات العلمية.

ولما كانت اللغة من الوسائل والأدوات التى تستعين بها العلوم الأخرى على كثرتها وتنوعها، فضلًا عن كونها أصلًا لبعض العلوم ـ لم يعد الدرس اللغوى وقفًا على أهل اللغة، بل امتد الاهتمام باللغة إلى أهل العلوم الأخرى؛ فنشأ مجال علم اللغة التطبيقى، واتسع مفهومه ليشمل سائر الفروع المعرفية التى ترتبط باللغة، ومن ذلك:

علم اللغة الاجتماعى، وعلم اللغة النفسى وعلم اللغة الإِعلامى، وعلم اللغة السياسى..إلخ، حتى أصبحنا فى نهاية القرن العشرين نشهد تواصل اللغة مع "الحاسوب" ***Computer*** طفرةً جديدة تنقل الدرس اللغوى نقلة واسعة.

ولا شك أن رحلة المعرفة فى سعيها المثابر سوف تزيح الستار فى المستقبل القريب والبعيد عن حقائق جديدة تجعلنا أكثر قربًا من هذا السرـ العظيم فى حياتنا، وهو «اللغة».

تعريف اللغة:

تعددت تعريفات اللغة عند القدماء والمحدثين، وركَّزت كل مجموعة على النواحى المهمة ـ من وجهة نظرها ـ وأبرزتها فى التعريف.

ومن أهم التعريفات ـ عند القدماء ـ التى تعبر عن حِسٍّ لغوى مرهف

ودقة ملاحظة، تعريف ابن جنى: « حدّ اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[٢].

ونال هذا التعريف اهتمام اللغويين العرب المحدثين[٣]؛ لأنه ضم أكبر قدر من الحقائق المهمة عن اللغة: (الطبيعة الصوتية، الطبيعة الاجتماعية..).

وتعريف « اللغة » فى علم اللغة الحديث ـ على تنوع مدارسه ـ يلتقى مع تعريف ابن جنى لها حول هذه الحقائق المهمة، لكنه أضاف إليها حقائق أخرى كانت ثمرة لتطور هذا العلم من خلال الدراسة العلمية.

ومن بين التعريفات الحديثة للغة نختار هذين التعريفين:

١. **تعريف اللغوى السويسرى (دى سوسير)**: « نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية فى أذهان الجماعة اللغوية يحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعًا من جماعته»[٤].

٢. **تعريف روى. سى. هجمان**: « اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما »[٥].

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن الوقوف على أهم الملامح المميزة للغة:

- **الطبيعة الصوتية للغة.**
- **الطبيعة الاجتماعية للغة.**
- **اللغة متغيرة.**
- **الغة مكتسبة.**
- **اللغة نسق.**

ثانيا : ما أهم خصائص اللغة؟

١. الطبيعة الصوتية للغة:

من الحقائق الأساسية التى أكدها علم اللغة الحديث: الطبيعة الصوتية للغة، فالصوت اللغوى هو الصورة الحية للغة، واللغة التى لا تُنطَق لغة ميتة، ولا تغنى الكتابة عن الواقع الصوتى للغة، وبشأن اللغة العربية فلقد كان للقدماء بصرٌ باللغة وحِسٌّ مرهف، فقد أدركوا الحقيقة الصوتية للغة؛ ونلمح ذلك واضحًا من تعريف ابن جنى السابق؛ حيث يُعرِّف ابن جنى اللغة بأنها « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ».

ولما كانت اللغة ظاهرة إنسانية، فالأصوات المقصودة هنا هى الصوت اللغوى حيث يصدر من الإنسان نوعان من الأصوات:

الأول: صوت غريزى فطرى؛ كالبكاء والضحك.

الثانى: صوت عرفى اصطلاحى مكتسب، وهو الصوت اللغوى.

فالطفل ينزل من بطن أمه يبكى بفطرته، لا يحتاج لأحد يعلمه البكاء أو الضحك، بينما يحتاج تعلُّم أصوات اللغة حسب لغة الجماعة التى ولد فيها.

٢. الطبيعة الاجتماعية للغة:

وظيفة اللغة والطبيعة الاجتماعية لها:

من القضايا اللغوية المهمة التى اختلف العلماء فيها وتباينت فيها آراؤهم:

وظيفة اللغة والأغراض التى تؤديها، ولما كانت اللغة وسيلة تستعين بها العلوم الأخرى؛ كالفلسفة والمنطق وعلم النفس والاجتماع، فقد أدى هذا إلى اهتمام أهل هذه العلوم باللغة؛ ولذلك ظلت فترة من الزمن فى رحاب ميادين الفلسفة والمنطق وعلم النفس، وكانت مبادئ اللغة تسير وفق هذه العلوم.

ويرى أصحاب المدرسة العقلية ـ من أصحاب الفلسفة والمنطق ـ أن الوظيفة الأساسية للغة هى التعبير عن الأفكار ونقل الخبرات الإنسانية، وأن الإنسان لا يستطيع التفكير دون اللغة.

ويحلل جيفونز ***Jevones*** وظيفة اللغة إلى ثلاثة أغراض، هى:

- كونها وسيلة للتفاهم والتواصل.
- كونها أداة مساعدة للتفكير.
- كونها أداة لتسجيل الأفكار والرجوع إليها(٦).

وبتأمل هذه الأغراض التى ذكرها جيفونز للغة نراها تخص المفكرين فحسب، ولا تشمل الجماعة اللغوية كلها، والواقع اللغوى ينفى أن الناس تتكلم للتعبير عن فكر فقط.

ولا يختلف السلوكيون ـ من علماء النفس ـ عن الفلاسفة فى قصر ـ وظيفة اللغة على مجالهم، حيث رأوا أن الوظيفة الأساسية للغة هى التأثير والإقناع والتعبير عن العواطف، ومن أبرز اللغويين تأثرًا بهذه المدرسة السلوكية: بلومفيلد الذى تأثر بآراء فايس ***Weiss***.

وفى مقابل المدرسة العقلية هناك مدرسة أخرى، هى المدرسة الاجتماعية التى ركزت على الطبيعة الاجتماعية للغة، فاللغة مرآة المجتمع، ترتبط بالجماعة فى تقدمها وتخلفها؛ أى أن اللغة تتأثر بأهلها، ففى قوتهم قوة لها، وفى ضعفهم ضعف لها !!

ومن أبرز أنصار هذه المدرسة اللغوى الفذ يسبرسن **Yespersen**، الذى يقرر أن اللغة لا تستخدم للتعبير عن الأفكار، بقدر ما تستخدم للتواصل الاجتماعى والتعاون بين أفراد الجماعة[٧].

فعبارات التحية والاعتذار والتهنئة فى المناسبات الاجتماعية تؤدى احترامًا للتقاليد الاجتماعية، بل ويختار منها ما يناسب كل بيئة رعاية للجماعة !! وأيضًا العبارات الخاصة بتوزيع الأعمال، وطلب المساعدة، وطلب العمل.. إلخ، كل هذه العبارات لا تحمل فكرًا جديدًا كان يجهله السامع، بل هى للترابط الاجتماعى والتعاون الجماعى.

وتؤمن هذه المدرسة باستقلال علم اللغة عن الاعتماد على معايير ومبادئ العلوم الأخرى، وأنه ينبغى أن يقوم علم اللغة على حقائق اللغة ذاتها؛ كى نصل إلى نتائج صحيحة؛ لأن الخلط بين اللغة ومبادئ العلوم الأخرى يؤدى بنا ـ فى الأعم الأغلب ـ إلى نتائج مضللة بعيدة عن الصواب.

تعقيب على وظيفة اللغة:

أرى أن اختلاف اللغويين حول وظيفة اللغة إلى مدارس متعددة

(العقلية، والسلوكية، والاجتماعية) ناشئ عن اختلاف المنطق الذى تبدأ منه كل مدرسة معالجة هذه القضية؛ فاهتمام الفلاسفة والنفسيين بجوانب المنطق والباعث والدافع والتفكير، وأهمية اللغة للتعبير عن كل ذلك جعلهم يذهبون إلى أساسية وظيفة اللغة كمُعبِّر عن الفكر والمشاعر، فهذه نقطة اهتمامهم، وكان من حق من خالفهم الرأى أن يطارحهم السؤال:

إن كانت وظيفة اللغة بهذه الصورة تنطبق تمامًا على لغة المفكرين وعلماء النفس والفلسفة، فماذا عن جموع جماهير الجماعة اللغوية متنوعى الثقافة والوعى ؟ إن فى هذا تضييقًا لوظيفة اللغة، ولعل هذا هو الذى دفع أصحاب المدرسة الاجتماعية ـ وهم يهتمون بأفراد الجماعة اللغوية جميعًا ـ أن يذهبوا إلى أن الوظيفة الأساسية للغة هى التواصل والتعاون والترابط الاجتماعى.

وبالتأمل غير المضغوط بأدلة إحدى المدرستين (العقلية، والاجتماعية)، ومع مراعاة الحقائق التى أشارت إليها كل مدرسة، يمكن أن نلمح ـ بوضوح ـ أن وظيفة اللغة تؤدى الجانب العقلى والجانب الاجتماعى. فالتواصل والترابط الاجتماعى لا يخلو من منطق وفلسفة، ونرى أن ذلك يتحقق بمستويات مختلفة حسب درجة الثقافة والوعى لدى المتحدث، كما أن التعبير عن الأفكار والمشاعر لا يخلو من جانب اجتماعى، ولما كان الجانب الاجتماعى هو الذى يبرز هنا ويتفوق على غيره من الجوانب؛ لشموله الجماعة اللغوية بأسرها، فإنه يستحق الصدارة، وأن تكون الوظيفة الأساسية للغة هى الوظيفة الاجتماعية،

دون إغفال دور اللغة المهم فى التعبير عن الجوانب العقلية والسلوكية.

٣. اللغة متغيرة:

ترتبط اللغة بالمجتمع ارتباطًا وثيقًا، فهى المرآة التى تعكس كل مظاهر التغير والتحول فى المجتمع: رقيًّا كان أو انحطاطًا، تحضرًا كان أو تخلفًا..لذا كان التغير سنة جارية فى سائر اللغات الحية وإن اختلفت نسبته.

ويقع التغير اللغوى فى المستويات اللغوية كلها: من أصوات وصرف وتراكيب ودلالة، ويُدرس كلٌّ فى بابه، ويهتم الباحثون بدراسة دوافع وأسباب هذا التغير ومظاهره ونتائجه... إلخ.

٤ . اللغة مكتسبة:

لا يولد الإنسان متكلمًا بفطرته، بل يكتسب لغة المجتمع الذى نشأ فيه؛ فمن نشأ فى مجتمع عربى يكتسب العربية، ومن نشأ فى مجتمع إنجليزى يكتسب الإنجليزية... وهكذا.

وهناك جانبان أساسيان لعملية اكتساب اللغة عند الإنسان؛ هما:

- **الجانب الفطرى (اللا إرادى):**

وهو القدرة الذهنية، ويطلق عليها (الملكة اللغوية)، ونعنى بها القدرة التى أودعها الله فى الإنسان فجعلته مهيأ لاكتساب اللغة، فجعل له أعضاء النطق والسمع، سواء فى ذلك ما كان ظاهرًا مباشرًا منها؛ كالحنجرة واللسان

والشفتين للنطق، والأذنين للسمع... إلخ، أو ما كان غير ظاهر كالأجزاء المسئولة عن النطق فى المخ والأعصاب، ونحو ذلك، ووجود هذا الجانب أساسى ومهم فى العملية اللغوية(٨).

- **الجانب المكتسب (الإرادى):**

وهو جانب مرتبط بالبيئة؛ حيث يكتسب الطفل لغة من نشأ بينهم؛ فمن نشأ بين عرب يتحدث العربية، ومن نشأ بين أهل الإنجليزية يتحدث الإنجليزية، وهكذا، ويدخل جانب التقليد بقدر كبير فى عملية الاكتساب؛ حيث يتم اكتساب اللغة من الجماعة اللغوية بكل سمات وملامح الواقع اللغوى لهذه الجماعة من صحة أوخطأ، وما بينهما من درجات التفاوت والتباين.

❁ ❁ ❁

ثالثًا: ما صلة علم اللغة بالعلوم الأخرى؟

ظلت النظرة إلى اللغة فى الماضى على أنها من علوم الأدوات والوسائل - وليست من علوم الغايات - حتى بدايات القرن التاسع عشر- وفى رحاب البحث اللغوى الحديث ارتقت اللغة درجة أعلى، وصارت من علوم الغايات، بالإضافة إلى كونها من علوم الوسائل، وصار علم اللغة من أهم العلوم الاجتماعية التى تهتم بالسلوك الإنسانى - على تنوعه - فى أثناء اتصاله بالآخرين.

ولما كانت اللغة نقطة التقاء بين علم اللغة وشتى فروع المعرفة، فقد أدى هذا إلى التعاون المتبادل بينهما، وصارت البحوث اللغوية الحديثة تستعين بالعلوم الأخرى؛ رغبة فى الكشف عن أسرار النظام اللغوى بكل مستوياته، على نحو ما يظهر فى استعانة اللغويين بعلم التشريح وعلم الفيزياء فى دراسة نطق الصوت اللغوى وصفات الصوت اللغوى الفيزيائية، وأثرها فى السمع، ووضوح الصوت اللغوى، والعوامل المؤثره فى ذلك.

ومن جانب آخر فإن فروع المعرفة الأخرى تستعين باللغة وسيلةً ووعاءً لهذه العلوم، فقد نشأت فروع معرفية حديثة عند نقطة الالتقاء بين العلوم واللغة وفاءً بحاجة هذه العلوم من اللغة، وكل علم يركز على زوايا اهتمامه بالقدر الذى يكفيه، ومن خلال البحث العلمى الحديث الذى يعتمد على المنهجية والموضوعية والتجريد والشمول - تقدمت هذه العلوم التى تقع فى المجال المشترك بين اللغة وفروع المعرفة الأخرى.

ولتعدد وتنوع فروع المعرفة بصورة قد تضيق عـن الحصرـ؛ فقـد تعـددت هذه العلوم إلى الدرجة التى جعلت أحد مؤتمرات علم اللغة التطبيقى يتفق على أهم فروع هذا العلم على نحو ما ذكره الأستاذ الدكتور أحمد مختـار عمـر، وفـيما يأتى بيانٌ بأهم الفروع كما وردت فى كتابه(٩):

١	تعليم اللغة الأم واللغات الأجنبية.	٢	الاختيارات اللغوية.
٣	التخطيط اللغوى.	٤	علم اللغة التقابلى.
٥	صناعة المعجم.	٦	محاولة وضع لغة عالمية.
٧	التحليل الأسلوبى.	٨	الإلقاء وعيوب النطق.
٩	أنظمة الكتابة.	١٠	علم اللغة الإحصائى.
١١	علم اللغة الاجتماعى.	١٢	علم اللغة النفسى.

ومهما يكن من أمر فإن من المفيـد أن تكـون لـدينا رؤيـة شـاملة لـرؤوس المعارف والعلوم التى تهتم بعلم اللغة، ويهتم بها.

وقد جرت عادة اللغويين على تصنيف علم اللغة قسمين كبيرين هما: علم اللغة النظرى وعلم اللغة التطبيقى، ولكل قسم فروع متعددة، وتحت كـل فـرع تفريعات جزئية، وهكذا، وفيما يأتى رسم توضيحى لهذا التصنيف.

علم اللغة الحديث

النظرى

باعتبار المادة

- أصوات
- صرف
- تراكيب
- دلالة

باعتبار المنهج

وصفي . تاريخي

مقارن . تقابلي

معياري . بنيوي

تصنيفي.... إلخ

التطبيقي (ويتناول شتى فروع المعرفة)

١- علم اللغة الاجتماعي.

٢- علم اللغة النفسي.

٣- علم اللغة الجغرافي.

٤- علم اللغة الإعلامي.

٥- علم اللغة السياسي.

٦- علم اللغة الآلي.

٧- علم اللغة الطبي.

٨- علم اللغة العسكري.

٩- علم اللغة التعليمي (طرق تدريس، تحليل أخطاء).

١٠- علم اللغة والترجمة (تقابلي، تصحيح المناهج).

١١- علم اللغة الأنثروبولوجي.

وفيما يأتى تعريف ببعض هذه الفروع، وبخاصة فى جانب علم اللغة التطبيقى؛ لصلتها الوثيقة باللغة من جانب، وقدمها بين الفروع الأخرى من جانب آخر.

وأهم هذه العلوم:

- **علم اللغة الاجتماعى *Sociolinguistics* .**
- **علم اللغة النفسى *Psycholinguistics*.**
- **علم اللغة الأنثروبولوجى *Anthropological Linguistics*.**
- **علم اللغة الجغرافى *Geo Linguistics*.**
- **علم اللغة السياسى *Institutional Linguistics*.**

١. علم اللغة الاجتماعى *Sociolinguistics*:

اللغة مرآة المجتمع، تعكس كل مظاهره: من حضارة ورقىّ، أو تخلف وتأخر، فهى شديدة الصلة بكل نواحى المجتمع، لذلك نالت اللغة اهتمام اللغويين بوصفها ظاهرة اجتماعية، وأصبح لها علم يبحث مسائلها وعلاقاتها بالمجتمع ويعرف هذا العلم بعلم اللغة الاجتماعى ***Sociolinguistics***، ويدرس اللغة فى علاقاتها بالمجتمع، إنه ينظم كل جوانب بنية اللغة، وطرائق استعمالها التى ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية(١٠).

وقد أحرز علم اللغة الاجتماعى إنجازات لها قيمتها فى الدراسات اللغوية الحديثة، من خلال دراسته للغة فى سياقها الاجتماعى، وطرق تفاعل اللغة مع

المجتمع، والطرق التى تتغير بها البنية اللغوية استجابة لمؤثرات اجتماعية [١١].

وأمّا عن قضايا هذا العلم فهى كثيرة ومتنوعة، يـأتى فى قمتهـا اللهجـات ***Dialects*** المختلفة، والفروق الاجتماعية بين الطبقـات، التـى تـؤدى إلى تبـاين اللهجات وربما زاد هذا التباين حتى أصبحت كل لهجة لغـة مسـتقلة، وأوضـح مثـال عـلى هـذا اللغـات: الإيطاليـة، والفرنسـية، والإسـبانية، والبرتغاليـة والرومانية، فقد كانت فى الأصل لهجات مختلفة للغة اللاتينية.

كـذلك يهـتم علـم اللغـة الاجتماعـى بدراسـة المحظـور مـن الكـلام ***Tabooed Words***[١٢].

كذلك من اهتمامات علـم اللغـة الاجتماعـى دراسـة اللغـة والجـنس[١٣]، ودراسة الخصائص اللغوية للغة الرجال والخصائص اللغوية للغة النساء، سواء من حيث درجة حدة الصوت، أو ارتفاعه، أو نوع الكلمات المحظورة عـلى كـل منهما.. إلخ.

٢. علم اللغة النفسى *Psycholinguistics*:

من نتائج أفكار تشومسكى اللغويـة: أنهـا نقلـت البحـث اللغـوى مـن الاقتصار على الوصـف والتحليـل دون التفسـير، إلى محاولـة تفسـير الظـواهر، وتفرقته بين القدرة اللغوية ***Competence***، والأداء ***Performance***. واهـتم العلماء بدراسة العقل البشرى ودوره فى العملية اللغوية، لمحاولة تفسير الظواهر اللغوية من خلال علم النفس الإدراكـى، ومـن أهـم موضـوعات هـذا العلـم

محاولة التعرف على قدرة الطفل على اكتساب اللغة: متى، وكيف ؟

كذلك من اهتمامات علم اللغة النفسى[١٤]: دراسة العلاقة بين اللغة والفكر ودراسة عيوب الكلام وسبل التغلب عليها.

من اهتمامات هذا العلم أيضًا: بحث كيفية فهم الجمل والكلمات، وسرعة الفهم، وخطوات الفهم، وعوامل صعوبة الفهم، ومن اهتماماته أيضًا: تركيب الذاكرة من الناحية اللغوية، وطبيعة التذكُّر، وأسلوب استدعاء المخزون اللغوى من الذاكرة، أو ما يعبر عنه بالمعجم الذهنى. وهكذا يشمل هذا العلم كل العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللغة، وعند المتلقى عقب صدور اللغة، وتقع الدراسة التى بين أيدينا فى جانب كبير منها تحت هذا القسم.

٣. علم اللغة الأنثروبولوجى *Anthropological Linguistics*:

العلاقة بين اللغة والثقافة من أهم الموضوعات التى نالت اهتمام علماء اللغة الأنثروبولوجيين ومجال الأنثروبولوجيا هو دراسة المجتمعات والثقافة للكشف عن سلوكيات الناس المتأثرة بالأشكال الثقافية المختلفة، فالثقافة فى نظرهم أسلوب حياة.

ومن هنا فإن للغة مكانًا بارزًا فى الدرس الثقافى، فإلى جانب كونها وعاء للمعرفة والفكر والثقافة فهى - أيضًا - مرآة لثقافة المجتمع، ترقى برقيِّه وتنحدر بانحداره؛ فللغة اتصال وعلاقة بالمستوى الثقافى للجماعة.

أيضًا للغة دور فى تشكيل ثقافة المجتمع وأسلوب تفكيره؛ حيث إن الثقافة واللغة[١٥] كلتيهما تلعبان دورًا مهمًا فى تكوين المجتمعات الإنسانية أو التجمعات العرقية المتميزة ***Ethnic Groups.***

٤. علم اللغة الجغرافى ***Geo Linguistics:***

علم اللغة الجغرافى يدرس اللغة من زاوية المكان دون اعتبار لعنصرى الزمن والعائلة اللغوية، وإنما يربط هذا العلم « علم اللغة الجغرافى » الدراسة التى تختص بالتوزيع اللغوى فى المكان (الأطالس اللغوية) بالظروف الاجتماعية والثقافية.

وعليه، فعلم اللغة الجغرافى يدرس توزيع اللغات البشرية على المواقع المختلفة من الكرة الأرضية، ويدرس كذلك نوع المتحدثين لكل لغة وعددهم ومستواهم الاجتماعى والثقافى، وتحديد مجالات النفوذ اللغوى للغات التى لها سيطرة على لغات أخرى بسبب التفوق الحضارى لأهلها، كالإنجليزية مثلًا فى الوقت الحاضر، كذلك يدرس مكانة كل لغة اجتماعيًّا، وعليه فيمكن تحديد: اللغة الرسمية واللغة الأم، واللهجة المحلية، واللهجة الحرفية... إلخ.

٥. علم اللغة السياسى ***Institutional Linguistics:***

علم اللغة السياسى أحد فروع علم اللغة الاجتماعى التى نالت اهتمامًا ملحوظًا فى العصر الحديث، ويهتم هذا العلم بدراسة جوانب الخطاب السياسى[١٦] والتعرف على خصائصه اللغوية، وذلك للوقوف على أهم العناصر

والخصائص اللغوية التى تدعم هذا الخطاب، فيهتم بدراسة أسلوب التحـريض والإثارة وأهم سمات الخطاب السياسى ـ حيث تفيد الدراسات اللغوية أنـه: ذو عبارات قصيرة، ويتجنـب التطويـل، ويسـتخدم الألفـاظ المـؤثرة والواضـحة، ويتجنب الألفاظ الغامضة، ويلجأ أيضًا إلى التضاد والمفارقة.

كما يدرس علم اللغة السياسى وسائل التأثير على المستمع من حيث اللغة مثل: التكرار، واستعماله الفنى فى التحريض، وكيف تصنع الشعارات ؟ وكيـف نستطيع ـ عن طريق اللغة ـ تعمية المسائل وتضليل الأفكار ؟ وطرائق التضـليل المختلفة، والسمات والملامح الأسلوبية الخاصـة بكـل مجتمـع وبكـل شريحـة فى داخل المجتمع الواحد.

❁ ❁ ❁

رابعًا: ما الفرق بين اللغة والكلام، والكفاية والأداء؟

اللغة والكلام:

يفرق علماء اللغة المحدثون بين طبيعتين للغة الإنسانية هما: اللغة (النظام اللغوى) ***Language*** والكلام ***speech***. ويعود الفضل فى هذا التفريق بينهما إلى عالم اللغة السويسرى دى سوسير، الذى يقول: للغة وجهان (أى وجهان لعملة واحدة) هما: اللغة ـ النظام اللغوى ـ والكلام. وبين الاثنين فروق:

اللغة (النظام اللغوى)	الكلام
نظام من الإشارات مخزون فى الذاكرة.	استخدام تلك الإشارات لفهم رسالة أو لإنتاجها بواسطة شخص معين فى مكان وزمان معينين.
اللغة موجودة فى حالة من الإمكان، أى وجود بالقوة؛ لأنها غير متحققة على الواقع وإذا تحققت أصبحت كلامًا. والمخزون فى الذاكرة هو انطباعات الأصوات الناتجة عن حركة أعضاء النطق أو اهتزاز طبلة الأذن. بالإضافة إلى قدرات فطرية وقواعد صرفية ونحوية ومخزون من المفردات.	الكلام إيجاد بالفعل.

اللغة تسمو فوق الفرد، إنها ملك للمجتمع الذى اختار هذا النظام للتفاهم بين أفراده، ولا يمكن أن تكون أداة اتصال إلا إذا كان يمتلكها جميع أفراد المجتمع الكلامى.	الكلام استخدام اللغة من قبل شخص معين، أى أنه فعل فردى.
اللغة يتلقاها الفرد بشكل سلبى منذ صغره وحتى شيخوخته ولا يملك من أمرها شيئًا ولا يستطيع أن يغير فيها شيئًا.	الفرد سيد كلامه، له الحق فى الكلام أو السكوت. له الخيار فى استخدام أساليب بلاغية فى حدود قواعد اللغة وله الحق فى تأليف الكلام حسب المقام ومقتضى الحال. ويمكنه الجهر بكلامه أو الهمس به.
اللغة ثابتة ذات طبيعة جامدة؛ لأنها قواعد محفوظة فى الذاكرة بحسب طبيعتها العقلية السيكولوجية.	الكلام ذو طبيعة متلاشية؛ فبمجرد انتهائك من لفظ عبارة ما ينتهى الكلام بحكم طبيعته الفيزيائية غير الباقية.
اللغة ذات طبيعة سيكولوجية نفسية؛ لأنها قواعد مخزونة فى الذاكرة.	الكلام ذو طبيعة سيكولوجية (نفسية)؛ لأنه علامات مرتبطة بمعان معينة، وذو طبيعة فيزيائية (طبيعية)؛ لأنه صوت يستقبل بالحواس السمعية وله موجات يمكن أن تقاس.

الكفاية والأداء:

فرق تشومسكى اعتمادًا على آراء دى سوسير فى اللغة والكلام بين نـوعين من القـدرات اللغويـة، همـا الكفايـة ***competence*** والأداء ***performance***، والفرق بين تصورى الرجلين هو أن دى سوسير يرى الكفاية اللغوية مخزونـة فى العقل الجمعى، وأما تشومسكى فيرى أنها مخزونة فى عقل الفرد.

المقدرة اللغوية (الكفاية)	الأداء اللغوى
الكفايـة هـى القواعـد التـى يمتلكها الشخص عن لغته، وهى: إمـا قوالـب وقـدرات فطريـة يولـد الشـخص مُزوَّدًا بهـا. وإمـا قواعـد صوتية ونحوية اكتسبها من خلال احتكاكـه بـأفراد مجتمـع كلامى معين.	**اسـتخدام القـدرة اللغويـة فـى موقف معين بواسطة متكلم معين. والأداء يتـأثر بـالظروف المصـاحبة للكـلام كالتعـب والضوضـاء والـدواعى الأسـلوبية والجماليـة للكلام.**

الفرق بين الجملة والتعبير:

التفريـق بـين الكفايـة والأداء يـؤدى إلى التمييـز بـين الجملـة ***sentence*** المرتبطة بقواعد الكفاية والتعبير ***utterance*** المتعلق بالأداء.

الجملة	التعبير
هـى هيئـات مجـردة وقواعـد مخزونة فى الذاكرة.	**حدث كلامى معين.**

جزء من النظام اللغوى	جزء من الأداء.
بعض الجمل قد لا يتحقق كتعبير مقبول نحو: " دارك تحترق مع أنى لا أعتقد ذلك ".	التعبيرات المقبولة لا تعنى بالضرورة أنها تحقق كامل للجمل النحوية الصحيحة.
الجملة غير مرتبطة بزمن معين أو مكان أو ظرف محدد.	مرتبط بزمان معين وشخص معين.

خامسًا : ما أنواع المعنى وكيف نفهمه؟

يتناول البحث اللغوى الحديث دراسة المعنى بكل جوانبه: وذلك لأن المعنى هو حصيلة وهدف الفروع اللغوية الأخرى.

وقد نال علم الدلالة ***Semantics*** اهتمامًا كبيرًا من العلماء والباحثين فى القديم والحديث، ليس بين أهل اللغة فقط، بل فى فروع العلوم الإنسانية الأخرى، مثل علم النفس، والفلسفة، وعلم الاجتماع وغيرها، وإن اختلفت زوايا اهتمام كل علم من هذه العلوم« «فالألفاظ لاتصالها الوثيق بالتفكير كانت ـ وما زالت ـ مجالًا مهمًا للدراسة الفلسفية، ولصلتها بالعقل والعاطفة يتناولها أصحاب علم النفس ولكنها ـ قبل هذا وذاك ـ عنصر من عناصر اللغة، ولذا يعرض لها اللغويون أيضًا فى بحوثهم، ويتناولونها من زاويتهم الخاصة، وإن كانت دراسات كل هؤلاء من أهل العلم تتشابك حدودها، وتتقارب فى بعض نواحيها حين تعرض للألفاظ ودلالة الألفاظ »[١٧].

وليس بمستغرب أن ينال علم المعنى هذا القدر من الاهتمام بين العلماء والباحثين؛ فدلالة الألفاظ أمر يتصل بجوانب حياتنا المتعددة، والتواصل بمستوياته المختلفة بين الأفراد والجماعات أو الدول مرهون بتحديد دلالة الألفاظ، وأى خلل فى تحديد دلالة الألفاظ المستعملة بينهم يؤدى إلى خلل فى التواصل بينهم، والذى ربما ينتج عنه مشكلات لها عواقب سيئة [١٨].

كل هذه الأسباب كانت بمنزلة الدوافع التى حركت العلماء والباحثين

لدراسة دلالة الكلمات دراسة علمية تتصف بالدقة والعمق؛ بغية الوصول إلى تحديد أدق للمعنى، والكشف عن جوانبه المختلفة.

الصلة بين اللفظ والمعنى:

الألفاظ أجساد لباسها المعانى، وثمة صلة بين اللفظ والمعنى، وقد راح القدماء يبحثون أصل هذه الصلة [١٩]، ولعلهم ورثوا ذلك عن فلاسفة اليونان [٢٠]، واختلافهم فى شأن هذه الصلة: هل هى توقيفية طبيعية أم اصطلاحية عرفية ؟

غير أن الدرس اللغوى الحديث لا يعنيه بحث أصل هذه الصلة القائمة بين الألفاظ ومدلولاتها؛ وذلك لأن بحث هذه الصلة خارج حدود المنهج العلمى، فاللغة علم، والعلم حقائق يستدل عليها بالشواهد الواضحة والأدلة الصحيحة، أما البحث فى أمور هى فى حكم الغيب فليس من مجال البحث العلمى، إنما الذى يعنى البحث العلمى هو الاهتمام بهذه الصلة بعد أن وجدت: هل ظلت هذه الصلة ثابتة أم تغيرت، وما أسباب هذا التغير، وما وسائله... إلخ.

حدود المعنى اللغوى:

يدرس علم اللغة الحديث « المعنى » من خلال دراسته لمجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للحدث المدروس، وهذه الخصائص لا تدرس دفعة واحدة، بل لا بد من تناولها على مراحل (مستويات) مختلفة: (صوتية،

صرفية، نحوية، معجمية، سياقية)، وذلك لأن المعنى[٢١] هو حصيلة كل هذه المستويات اللغوية فالهدف من النص هو إظهار معنى معين، وأهم العناصر المؤثرة فى تحديد المعنى هى:

- **المعنى الوظيفى: (الصوتى، الصرفى، النحوى).**
- **المعنى المعجمى.**
- **المعنى السياقى.**

وهذا التقسيم للمعنى لا وجود له على المسرح اللغوى فى أثناء استعمال المتكلم للغة، فكل جوانب المعنى تأتى مجتمعة فى أثناء الكلام، غاية ما فى الأمر أن هذا التقسيم دراسى؛ يساعد الباحث على تحليل المعنى ودراسته، وإلا فالمعنى « كلٌّ مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية والنحوية، والقاموسية، والوظيفية الدلالية لسياق الحال »[٢٢].

وفى السطور الآتية شئ من التفصيل للعناصر الثلاثة للمعنى:

١. **المعنى الوظيفى:**

- **الدلالة الصوتية:**

يعتمد تحديد المعنى وتوضيحه على خواص صوتية معينة، سواء أكان ذلك على مستوى المعجم أم السيمانتيك ***Semantics***[٢٣].

ومثال المعنى الوظيفى المستفاد من الدلالة الصوتية، هو التمييز بين

الكلمات، حيث إن كل تغير صوتى يتبعه تغير دلالى، سواء أكان هذا التغير الدلالى مباشرًا مثل المعنى المعجمى فى مثل: (قال) حين نغير الوحدة الصوتية **Phoneme** « ق » بوحدة صوتية أخرى « ن » لتصبح الكلمة « نال »، والفرق واضح بين معنى الكلمتين على مستوى المعجم.

وقد يكون للتغير الصوتى أثر فى التغير الدلالى بصورة غير مباشرة، فحين تؤثر الوحدات الصوتية فى الوحدات الصرفية، فإن ذلك يؤثر فى المعنى، مثل الهمزة: تحول الفعل اللازم إلى فعل متعدٍّ مثل: سجد، أسجد، فهم، أفهم، وهنا تغيرت الصيغة الصرفية، مما أدى إلى تغير فى الدلالة.

كذلك التنغيم **Intonation** له دور مهم فى التفريق بين أنماط الجمل، فيمكن أن نفرق بين الجملة الاستفهامية والإثباتية بواسطة التنغيم، ومثال ذلك: قول الله تعالى فى سورة يوسف بعد فقد صواع الملك: ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ (**يوسف: ٧٥**).

فلا شك أن تنغيم جملة: ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ بنغمة الاستفهام، وجملة: ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ بنغمة التقرير، سيقرب معنى الآية إلى الأذهان، ويكشف عن مضمونها[٢٤].

- **الدلالة الصرفية:**

الوحدة الصرفية **Morpheme** لها تأثير مباشر على المعنى، فمثلًا تختلف

دلالة صيغة اسم الفاعل عن دلالة اسم المفعـول، وكلاهمـا يختلـف عـن دلالـة صيغة المبالغة: «قائل، مقول، قوَّال»، هذا على مستوى المعجم.

كذلك تؤثر الصيغ الصرفية على التركيب، مما يؤثر عـلى المعـانى النحويـة، ومن ثم على المعنى العام؛ مثل اكتفاء الفعل اللازم بفاعله، فإذا استعملنا صـيغة فعل متعدٍّ، فإن الفعل يتعدى إلى مفعول ولا يكتفى بفاعله، والفـرق واضـح فى المعنى بين الفعل اللازم والمتعدى فى مثل: قام محمد، أقام محمد ندوة.

والصيغ الصرفية كثيرة ومتنوعة، وليس هذا مجال حصرها.

- **الدلالة النحوية:**

الدلالة النحوية مرتبطة بتغيير مواقع الكلمات فى الجملـة، فتغـير الوظيفـة النحوية يتبعه تغير فى المعنى؛ فجملة: الرجل يعاتب المرأة، تختلف فى المعنى عن: المرأة تعاتب الرجل، وهذا التغير فى المعنى ناشئ عن تغير مواقـع الكلـمات؛ أى تغير الوظيفة النحوية.

« والمعنى الوظيفى بصوره الثلاث المتقدمة (صوتية، صرفية، نحوية) هو معنى الجزء التحليلى الذى يخضع للضبط والتقعيد، فالأصـوات تخضـع لتقعيـد سلوكها إدغامًـا وإخفـاءً وإقلابًـا.. إلـخ، والعنـاصر الصرـفية تخضـع لقواعـد الصرف، كما تخضع العناصر النحوية لقواعد النحو »[٢٥].

٢. **المعنى المعجمى:**

هو المعنى الذى يدل عليه الكلمات حال انفرادها، وهذا المعنـى لا يخضـع

للضبط ولا للتقعيد ـ كما يخضع المعنى الوظيفى ـ وإنما هو معنى يحدده العرف العام وتظهر هنا العلاقة العرفية التى اصطلح عليها المجتمع بين الكلمة المفردة وبين معناها، وليس هناك من سبب طبيعى أو ذهنى منطقى للعلاقة بين الكلمة ومعناها، فهى علاقة اعتباطية، وهذا المعنى يتصف بالتعدد والتنوع والاحتمال، حيث إن الكلمة لا يمكن أن يتحدد معناها ما دامت خارج السياق، فإذا انتظمت الكلمة فى سياق لغوى تَحَدَّد معناها.

٣. المعنى السياقى:

المعنى السياقى معنى واحد ومحدد، على خلاف المعنى المعجمى فهو احتمالى ومتعدد ويطلق عليه المعنى الاجتماعى، أو المعنى المقامى، وهو معنى يستنبط من القرائن اللغوية (السياق اللغوى)، مع مراعاة الظروف الخارجية والأحوال التى تتصل بها (السياق غير اللغوى).

❁ ❁ ❁

مصادر ومراجع المبحث الثانى

(١) *Encyclopedia of Language, P. 284.*

(٢) ابن جنى، الخصائص، ٣٣/١.

(٣) من أبرز هؤلاء: أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين، فى: علم اللغة العام، وأستاذنا الدكتور محمود فهمى حجازى، فى: مدخل إلى علم اللغة، والأستاذ الدكتور حلمى خليل، فى: مقدمة لدراسة علم اللغة.

(٤) *De Saussure: Courses in General Linguistics PP.7-150.*

(٥) انظر: روى. سى. هجمان: اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة: د. داود حلمى أحمد السيد (مقدمة المترجم)، ص١٥.

(٦) أ. يسبرسن: اللغة بين الفرد والمجتمع (الترجمة العربية)، ص٨.

(٧) المرجع السابق، ص٥٦.

(٨) انظر: د. مصطفى فهمى: أمراض الكلام، ص ٩ -٢٨.

(٩) د.أحمد مختار عمر: محاضرات فى علم اللغة الحديث، ص ٥٥.

(١٠) د. كمال بشر: علم اللغة الاجتماعى، ص ٤١.

(١١) *Crystal, Linguistics, P.252*

(١٢) د. كريم حسام الدين: المحظورات اللغوية.

(١٣) د. أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين.

(١٤) اقرأ فى هذا العلم: د. داود عبده: دراسات فى علم اللغة النفسى.

(١٥) اقرأ فى هذا الموضوع: د. كريم زكى حسام الدين: القرابة، مكتبة الأنجلو، ط ١، ١٩٩٠.

(١٦) راجع: جورج كلاوس: لغة السياسة، ترجمة: ميشيل كيلو، دار الحقيقة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠، ص ٢١.

(١٧) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص ٦: ٧.

(١٨) د. كمال بشر: دراسات فى علم اللغة، ص٣ وما بعدها.

(١٩) السيوطى: المزهر، ١ / ٢٢، ٤٧.

(٢٠) د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص ٦٢ وما بعدها.

(٢١) المقصود بالمعنى هنا هو المعنى اللغوى المتحصل من أى حدث لغوى بكل مستوياته، أما المعانى غير اللغوية التى تمثل اهتمامات مجالات أخرى، مثل: الفلسفة والمنطق والاجتماع..... إلخ، فهى خارجة عن دائرة البحث

(٢٢) د. محمود السعران: علم اللغة (مقدمة إلى القارئ العربى)، ص٣٤٠.

(٢٣) د. كمال بشر: دراسات فى علم المعنى، ص ١٠٩.

(٢٤) د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص ١٣.

(٢٥) انظر: د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص ١٤، د. تمام حسان: اللغة العربية (معناها ومبناها)، ص ٣٥٤.

الفصل الثانى

طبيعة لغة الفكر

- هل للفكر لغة خاصة

هل للفكر لغة خاصة؟

تنقسم النظريات التى تناولت طبيعة لغة الفكر إلى اتجاهين أساسيين:

الرأى الأول: يذهب أنصاره إلى أن لغة الفكر لغة فطريَّة خفيَّة ***Innate language*** تُعرَف باسم ***Mentalese***، وأنها تعمل فى مستوى أدنى من الوعى الشعورى ***Conscious awareness***، وتعمل فى الوقت نفسه فى مستوى أعلى من مستوى الحوادث العصبيَّة ***Neural events*** فى المخ.

الرأى الثانى: يرى أنصاره أن اللُّغة التى يفكر بها الإنسان ليست لغة فطريَّة، وإنما هى لغته الأصليَّة الطبيعيَّة ***Native natural language*** التى يتحدث بها، فالعربيَّة ــ مثلًا ـ هى اللُّغة التى يفكر بها مُتحدِّثو العربيَّة، والإنجليزيَّة هى اللُّغة التى يفكر بها مُتحدِّثو الإنجليزيَّة، وكذلك الفرنسيَّة والألمانيَّة وغيرها من اللغات الأخرى.

وقد قدَّم كل فريق الأدلة والبراهين الداعمة لوجهة نظره، وفى المقابل الأسانيد الداحضة لوجهة النظر الأخرى.

الرأى الأول:

أشهر أنصاره: جيرى فودور ***Jerry Fodor*** (١٩٧٥)، وستيفن بينكر ***Stephen Pinker*** (1994).

- يعتقد "بينكر" استقلاليَّة الفكر عن اللُّغة الطبيعيَّة ***Natural language***.

- أما فرضيَّة "فودور" عن لغة الفكر الفطريَّة ***Mentalese*** فتُقرِّر أن مضمون الفكرة التى تكون لدى الإنسان تُمثَّل فى ذهنه بجملة معيَّنة، ويرى "فودور" أن هذه الجملة ليست من جمل اللغات الطبيعيَّة كالعربيَّة والإنجليزيَّة مثلًا، ولكنها جملة تنتمى إلى لغة مختلفة تمامًا هى لغة الفكر الفطريَّة، ومن السمات الهامة المميِّزة لهذه اللُّغة هى أننا لا نتعلَّمها عن طريق الخبرة ***Experience***، وإنما نُولَد بها[1]، فضلًا عن أنها ـ وإن كنا لا نشعر بوجودها بشكل مباشر ـ تُشكِّل الأساس لجميع عملياتنا الفكريَّة، كما أن بِنيتها ***Structure*** تُماثل بنية أيٍّ من اللغات الطبيعيَّة الأخرى. وهذا يعنى أن اللُّغة العقليَّة ـ مثلها مثل الإنجليزيَّة والفرنسيَّة وغيرهما من اللغات ـ تُبنَى وفقًا لقواعد تركيبيَّة معيَّنة، هى التى تُحدِّد كيفيَّة تكوين الجمل بحيث تعطى محتوًى دلاليًّا ***Semantic content***.

يُبيِّن هذا مدى التماثل الذى يوجد بين اللُّغة العقليَّة واللُّغة الحاسوبيَّة ***Computational language***. فى داخل الحاسب الرقمى تتحوَّل المُدخَلات ***Input*** المُستقبَلة من العالم الخارجى (من كاميرا فيديو مثلًا) إلى مجموعة من الرموز، هذه الرموز تُمثِّل البيانات المُدخَلة ***Input data***. والتى تُشكِّل بدورها لغة الحاسب الداخليَّة التى تؤدى معنى مفيدًا إذا ما تم تركيبها بطرق

معيَّنة. ينطبق الشىء ذاته على العقل وفقًا لفرضيَّة "فودور" عن لغة الفكر، حيث تتحوَّل المُدخَلات التى يستقبلها العقل من البيئة الخارجيَّة إلى مجموعة من رموز اللُّغة العقليَّة، والتى يمكن معالجتها بعدئذٍ عن طريق عمليات يقوم بها المخ حيث تُوجد مجموعة فطريَّة من القواعد هى التى تُحدِّد كيفيَّة بناء الجملة وكيفيَّة معالجتها.

الأدلة والبراهين المُقدَّمة لدعم هذا الرأى:

من الموضوعات الرئيسة فى الفصول الأولى من كتاب "ستيفن بينكر" ***Steven Pinker*** "غريزة اللُّغة" ***Language instinct*** ذلك الجدل القائم بين اللُّغة الطبيعية واللُّغة العقليَّة حول ترشيح إحداهما لأن تكون لغة للفكر.

قدَّم "بينكر" عديدًا من الأطروحات التى حاول من خلالها إثبات أن اللُّغة العقليَّة هى لغة الفكر من ناحية، واستحالة أن يتم التفكير باللُّغة الطبيعية من ناحية أخرى، وذلك على النحو الآتى:

١. **قول شىء ما خلاف المقصود:**

تَحدُث هذه الظاهرة لأغلب الناس، فقد تَحْدُث لك فى المحادثات عندما تريد التعبير عن نقطة معيَّنة ولكن لا تستطيع إيجاد الكلمة المناسبة لاستخدامها فى الجملة، ويقع اختيارك فى النهاية على كلمة أخرى تُعبِّر عما أردت قوله ولكن بطريقة مختلفة قليلًا. أحيانًا يكون شعورك بوجود كلمة أفضل قويًّا للغاية حتى إنه قد تَحْدُث لك ظاهرة "طرف اللسان"، وذلك بأن تعلم أنك تحتاج إلى كلمة

للانتهاء من التعبير عن فكرتك، ولكنك لا تستطيع الوصول إليها.

يعتقد "بينكر" أن هذا النوع من الظواهر يُعَدُّ دليلًا على استقلاليَّة الفكر عن اللُّغة الطبيعية. فيبدو أن الفكرة تكون مستقلة عن كلمات اللُّغة الطبيعية المُعبَّر بها عنها، وأنه توجد صعوبة فى ترجمة هذه الفكرة إلى اللُّغة الطبيعية. ويرى "بينكر" أننا إذا سلَّمنا بأن التفكير يتم باللُّغة الطبيعية فلن ينتابنا ـ أصلًا ـ هذا الشعور باحتياجنا إلى كلمة معيَّنة للتعبير عن فكرة معيَّنة مع عدم قدرتنا على إيجاد تلك الكلمة.

٢. عادة ما نتذكَّر فحوى ما يُقال وليس الكلمات الدقيقة:

يرى "بينكر" أن فَحْوَى ***Gist*** الجملة فى اللُّغة العقليَّة تختلف عن جمل اللُّغة الطبيعية؛ وذلك لأننا لا نتذكَّر عادةً أفكار الآخرين بالضبط كما نقلوها إلينا، ولكننا نتذكَّر "فحوى" ما قالوه.

هل يشير هذا إلى أنه يتم تخزين محتوى الفكرة كجملة مَخْفِيَّة غير ظاهرة من جمل اللُّغة العقليَّة؟ أم أن هناك طريقة أخرى لتفسير "فحوى" ما نسمعه ونقرؤه؟

٣. إذا كانت الأفكار تعتمد على الكلمات، فكيف يمكن توليد كلمات جديدة؟

يبدو أن "بينكر" يعتقد أنه يتم ابتكار كلمات جديدة للتعبير عن أفكار جديدة تتكوَّن باللُّغة العقليَّة (أى باستخدام رموز اللُّغة العقليَّة).

ويرى "بينكر" أنه لو كان الفكر يعتمد على كلمات اللُّغة الطبيعية، فلن تظهر كلمات جديدة؛ لأنه لن تكون هناك أفكار جديدة تحتاج إلى التعبير عنها بكلمات جديدة؛ ذلك لأن جميع أفكارنا قد سبق أن تكوَّنت ـ بالفعل ـ بالكلمات، وبالتالى لن يكون هناك داعٍ لوجود كلمات جديدة.

لم تتوقَّف معارضة "بينكر" للغة الطبيعية عند هذا الحدِّ، بل واصل معارضته لها بتقديمه عديدًا من الإشكاليات التى رأى أنها تَحُول دون حدوث الفكر باستخدام هذه اللُّغة، ومن هذه الإشكاليات:

- **إشكاليَّة الغموض *Ambiguity***:

تتمثَّل هذه الإشكاليَّة فى حقيقة وجود عديد من الكلمات التى تحمل أكثر من معنى، وغالبًا ما تتسم الجمل التى تتضمَّن مثل هذه الكلمات بالغموض والالتباس، ومن الجمل التى كثيرًا ما يُستشهَد بها مثالًا على ذلك:

Jane is at the bank

ما يُحْدِث الغموض فى هذه الجملة هو كلمة "***Bank***"؛ حيث إن لها معنيين؛ لذا يمكننا أن نفهم من الجملة أحد أمرين:

- إمّا أن "جين" ***Jane*** فى مؤسسة ماليَّة أو مصرف (المعنى الأول).
- وإمَّا أنها عند حافة النهر (المعنى الثانى).

يُدْرِج "بينكر" للتدليل على ذلك عديدًا من عناوين الصحف التى اشتملت على هذا النوع من الكلمات الغامضة التى تحمل أكثر من معنى، ويزعم

أن الأفكار التى تُشكِّل الأساس لهذه الكلمات لم تكن غامضة، على الرغم من اتِّسام كلمات اللُّغة الطبيعية المُعبِّرة عنها بذلك، ثم يُشير إلى أنه نظرًا لأن الجملة الواحدة يمكن أن يُقابلها أكثر من فكرة، فلا يُمْكِن أن تكون الأفكار كلمات(٢).

لذا، فإذا كانت "جين" ـ وفقًا لنظريَّة "بينكر" ـ تضع مالًا فى حسابها، فإن الجملة التى تقول بأن "جين فى البنك" يكون معناها مُحدَّدًا ثابتًا لا لبس فيه، ويتحدَّد بواسطة إحدى جمل اللُّغة العقليَّة، ويكون مختلفًا عن كلمات اللُّغة الطبيعية الغامضة التى نطقت بها وهى: "***Jane is at the bank***"، وهذا يعنى أن كلمات اللُّغة العقليَّة تتَّسم بالوضوح؛ نظرًا لأن كل كلمة تحمل معنى مُحدَّدًا وثابتًا، على عكس كلمات اللُّغة الطبيعية التى تتسم بالغموض؛ نظرًا لإمكانيَّة أن تحمل الكلمة أكثر من معنى.

وفى العربيَّة يمثل المشترك اللفظى مصدرًا من مصادر الغموض اللغوى، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم فى الخمر:

أَلَا هُبِّى بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ... وَلَا تُبْقِى خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيهَا ... إِذَا مَا المَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

سيخبرك الشراح أن كلمة (سخينا) تحتمل وجهين:

أحدهما: أن تكون حالًا من الماء، يريد به الماء الساخن، وكانوا يمزجون الخمر فى الشتاء بالماء الساخن.

والثانى: أن تكون فعلًا ماضيًا من قولك: سَخِيَ الرجلُ يَسْخَى، وعلى

هذا يكون المعنى: إذا شربنا الخمر صرنا أسخياء وجُدنا بأموالنا[٣].

ومن الأمثلة المشـهورة للغمـوض الناشـئ عـن تعـدد احـتمالات المعنـى للكلمة الواحدة قول العرب: هو سليم، للصحيح المعافَى، وللمريض أو اللَّديغ أيضًا، وكذا قولهم: بصير، للمبصر والأعمى كليهما!! [٤]

والسياق اللغويُّ هاهنا لا يخبرنا بشيء عـن المعنـى، وإنـما أدركنـا المعنـى بالعودة إلى السياق الخارجى، وهو المرجع أو المشار إليه" ***Reference***".

- **إشكاليَّة عدم الوضوح المنطقى *Logical Inexplicitness***:

يزعم "بينكر" أن اللغات الطبيعيَّة كالإنجليزيَّة وغيرها أحيانًا ما تفتقر إلى الوضوح المنطقى ***Logical explicitness***، ويُبيِّن هذا بأحد الأمثلة التى استقاها من عالِم الحاسوب "درو ماكديرموت" ***Drew McDermott:***

Ralph is an elephant (رالف فيل)

Elephants live in Africa (تعيش الأفيال فى أفريقيا)

Elephants have tusks (للأفيال أنياب)

يمكننا أن نستنتج من هذه الجمل البسيطة أن "رالـف" يعـيش فى أفريقيـا، وأن له أنيابًا.

يمكننا أيضًا أن ندرك أن هذا المكان الذى يعيش به رالـف (أفريقيـا) هـو المكان نفسه الذى تعيش به الأفيال الأخرى، وأن له أنيابـه الخاصـة بـه التـى لا تُشاركه فيها الأفيال الأخرى، ولكن تكْمُن المشكلة الحقيقيَّة فى عدم احتواء جمل

اللُّغة الطبيعيَّة هذه على ما يدل على أن جميع الأفيال لا تشترك معًا فى أنيابٍ واحدة، أو أنهم يعيشون فى مكان واحد (أفريقيا).

وفى العربيَّة نقول:

- الحروب وحوش خرافيَّة.
- الوحوش الخرافيَّة تنتشر حيث تزدهر الأسطورة.
- الوحوش الخرافيَّة هاجمت المدينة.

إنَّ أمامنا هنا تعبير (الوحوش الخرافيَّة)، والجملة الثانية هى المحور؛ فالوحوش الخرافيَّة هى مجازات أو رموز أسطوريَّة، ولكن هذه الجملة نفسها تحتمل معنى آخر، إذا اعتبرنا أن المراد بالوحوش الخرافيَّة: المخاوف الغامضة التى لا تفسير لها، وحينئذٍ يكون المراد بالجملة أن هذه المخاوف يشيع وجودها فى المجتمعات التى تؤمن بالأساطير والخرافات.

أمَّا الجملة الأولى فالوحوش الخرافيَّة فيها استعارة تعبِّر عن الضراوة والقسوة والخوف معًا.

أمَّا الجملة الثالثة فيمكن تفسيرها بعدة احتمالات: فقد تكون بمعنى ازدهار الخرافة والأسطورة فى المدن المعاصرة، وقد تكون بمعنى حقيقىٍّ إذا كنا بصدد لعبة من ألعاب الكمبيوتر، كما يمكن تفسيرها بأن ثمَّة مسلحين هاجموا المدينة وروَّعوا أهلها.

ومرةً أخرى: لا شىء فى ألفاظ الجمل يخبرنا بالمعنى المراد، وإنما المعوَّل

عليه فى كل ذلك على السياق الخارجى، وعلى لغة العقل التى تحلل تلك الرموز فى اللُّغة الطبيعيَّة.

- **ماذا عن أفكار أينشتاين؟**

يلفت "بينكر" انتباهنا إلى أن "ألبرت أينشتاين" ***Albert Einstein*** قد زعم أنه يُفكِّر بالصور البصريَّة (الصور هنا وَسَط ***Medium***). لقد بُنِيَت نظريات "أينشتاين" عن النسبيَّة العامَّة والخاصَّة على أساس معالجة الصور البصريَّة، لقد بدأ "أينشتاين" وضعه لنظريَّة النسبيَّة بتخيُّل الشكل الذى يمكن أن تبدو عليه الأشياء إذا ما سافر على شعاع من ضوء. يعتقد "بينكر" أن حالة "أينشتاين" تُعَدُّ دليلًا على إمكانيَّة التفكير دون اللُّغة الطبيعية؛ أى استقلاليَّة الفكر عن تلك اللُّغة(٥).

- **حالة الأخ جون *Brother John***:

يعتقد "بينكر" أن الحالة السيكولوجيَّة المعروفة بالأفازيا أو الحُبْسَة ***Aphasia*** تُشكِّل تهديدًا لفكرة استخدام اللُّغة الطبيعيَّة فى التفكير، حيث يفقد الأشخاص المصابون بالأفازيا بعض أو كلَّ قدراتهم اللغويَّة ***Language abilities***. ولعلَّ مثل هؤلاء الأشخاص قد كانوا أسوياء تمامًا فيما مضى، ولكن قد يَحْدُث نتيجة لسكتة دماغيَّة ***Stroke***، أو نزيف دموى ***Hemorrhage*** أو إصابة دماغيَّة ***Brain injury*** أن تتعطَّل قدراتهم اللغويَّة.

هناك درجات وأنواع مختلفة من الحُبسة. قد يفقد المصاب فى بعض

الحالات قدرته على الكلام، وفى حالات أخرى قد يكون كلامه صحيحًا ولكن غير مفهوم(٦)، وفى الحالات الحرجة يفقد المريض قدرته اللغويَّة تمامًا ويعجز عن فهم الجمل أو نطقها.

يعتقد "بينكر" أن وجود الحبسة يثبت إمكانيَّة التفكير دون اللُّغة الطبيعية؛ ذلك لأنه يبدو أن المُصابين بالحُبْسَة يحتفظون بالكثير من سلوكياتهم الإنسانيَّة الذكيَّة، وتؤيده فى ذلك "ميرلين دونالد" ***Merlin Donald*** حيث تُشير إلى حالة "جون" (٧) الذى أصيبَ بحبسة دوريَّة ***Periodic aphasia*** (أى مُتكرِّرة فى فترات منتظمة)، وتَذكُر أن حالته تدل على استقلاليَّة الفكر غير اللغوى عن الفكر اللغوى.

عانى "جون" من إصابته بحبسة اشتداديَّة (حبسة نَوْبيَّة ***Paroxysmal aphasia*** (والاشتدادى منسوب إلى الاشتداد المفاجئ فى أعراض مَرَض يَحْدُث بين فترة وأخرى)، وقام كل من "ليكورس" ***Lecours*** و"جوانيت" ***Joanette*** بدراسة حالته، على عكس حالات الحُبْسَة التى كانت تَحْدُث نتيجة لسكتة دماغيَّة أو إصابة دماغيَّة، كان كلُّ ما يعانى منه "جون" نوبات مَرَضيَّة مؤقتة فى صورة نوبات مرضيَّة بؤريَّة ***Focal seizures***، وفى أثناء حدوث هذه النوبات كانت قدرة "جون" على معالجة اللُّغة تتوقَّف تمامًا، حيث يفقد قدرته على الكلام أو فهم اللُّغة، حتى إنه ليفقد كلامه الداخلى ***Inner speech***؛ مما يُعَدُّ دليلًا مهمًّا على ارتباط الكلام الداخلىِّ بباقى نظام المُدْخَلات والمُخْرَجات

اللغويَّة. ولكن على الرغم من فقدان "جون" للغـة، إلا أنـه ظَـلَّ واعيًـا بعجـزه، واستطاع فيما بعد ذلك تذكُّر الأحداث التى وقعت فى أثناء نوباته المرضيَّة، وعبَّر عن ذلك بقوله:

"أسمع ضوضاء، أسمع أُناسًا يتحـدَّثون، أعلـم أنَّ هـذا يعنـى شـيئًا مـا، ولكننى لا أفهم، أحاول جاهدًا أن أفهم ذاتى الداخليَّة، ولكننى لا أستطيع" (٨).

كان الجانب المثير فى حالة "جون" قدرته الواضحة على التعامل بـذكاء مـع بيئته فى أثناء فقدانه للغة. يروى لنا كل من "ليكورس" و"جوانيـت" مـا وقـع لــ "جون" أثناء إصابته بإحدى النوبات التى استمرت لعِـدَّة سـاعات بيـنما كـان فى عطلة بسويسرا:

دون أى قدرة لغويَّة واضحة تمكَّن "جون" من أن يجد فندقًا، حَجَز غرفـة، تناول الغداء، ثم عاد إلى غرفته؛ ليغفو قلـيلًا، وكـان لا يتواصـل مـع النـاس فى أثناء ذلك إلَّا عند الضرورة عن طريق إيـماءات ***Gestures*** وإشـارات جسـديَّة ***Mimes***، فعندما أراد أن يحجز غرفة فى الفندق أشار إلى اسمه الموجـود بجـواز السفر؛ حتى يتمكَّن موظَّف الاستقبال بالفندق من ملء الاسـتمارات المطلوبـة، ثم وجد طريقه إلى مطعم الفندق، وطلب الغداء بالإشارة العشوائيَّة إلى إحـدى الأكلات الموجودة بقائمة الطعام (ولسوء الحظ أنه طلب دون أن يقصد لونًا من الطعام لا يحبُّه كثيرًا)، وبعد الغداء عاد إلى غرفته ونام إلى أن انتهت النوبة.

تُعَدُّ حالة "جون" مثالا مُقنِعًا لشخصٍ اسـتطاع التفكـير عـلى الـرغم مـن

فقدانه الواضح أىّ قدرة لغويَّة طبيعيَّة.

بعد هذا العرض للأطروحات المُقدَّمة من قِبَل أصحاب هذه النظريَّة، لدينا تساؤل مهم:

هل استطاعت هذه الأطروحات إقناعنا بأن اللُّغة العقليَّة هى لغة الفكر؟

سيُجيب لنا عن هذا التساؤل أنصار اللُّغة الطبيعيَّة.

الرأى الثانى:

أشهر أنصاره:

- إدوارد سابير ***Edward Sapir***: ويرى أنه لا يمكن تخيُّل حدوث فكر دون لغة ـ ويقصد هنا بالطبع اللُّغة الطبيعية ـ، كما لا يمكن إجراء استدلال رياضى دون الرموز الرياضة المناسبة. ولعل هذا يُثبت مدى قوَّة إيمان "سابير" باعتماد الأفكار على اللُّغة الطبيعيَّة. إنه لا يرى أن الكلام يشكِّل أفكارنا فحسب، وإنما يذهب أبعد من ذلك إلى استحالة وجود أفكار دون لغة.
- بنيامين لى وورف ***Benjamin Lee Whorf***: ويرى أن خبرتنا بالعالم تنظِّمها الأنظمة اللغويَّة فى عقولنا، فعن طريق اللُّغة يتم تنظيم العالم إلى مفاهيم وأفكار تكون سائدة بين أفراد الجماعة اللغويَّة التى ننتمى إليها.

ومن أنصار هذا المذهب أيضًا:

- بيتر كاروثرز ***Peter Carruthers***.
- لودفيج فيتجنشتاين ***Ludwig Wittgenstein***.

- جين بياجيه ***Jean Piaget***

يرى أنصار هذا الرأى أن اللُّغة الطبيعيَّة أكثر من مجرد أداة للتواصـل، وأن طريقة معالجتها فى الشبكة الترابطيَّة ***Connectionist network*** للمخ يجعلهـا تصلح لأن تكون لغة للفكر، بمعنى أنَّ اللُّغة الطبيعيَّـة هـى الوَسَـط ***Medium*** الذى يتم من خلاله التفكير الإنسانى.

يرى فلاسفة مثل "فيتجنشـتاين" ***Wittgenstein*** أن للُّغـة دورًا معرفيًّـا، بمعنى أنها أكثر من مُجرَّد أداة للتواصل؛ لذا ليست جمل اللُّغة الطبيعيَّة ترميـزات خارجيَّة ***External encodings*** لأفكار داخليـة خفيَّـة ***Hidden internal thoughts***، بل إنها الأفكار نفسها.

الجدير بالذكر أن هـذا الـرأى يشـمل الكـلام الـداخلى (أى الحـديث إلى الـنفس) والخـارجى (أى الكـلام المنطـوق) وحتـى الجمـل المكتوبـة، ويـرى "كاروثرز" أن الكتابة نشاط يماثل التحدُّث بصوت عالٍ، أو التفكير داخليًّـا (أى التفكير الصامت بدون كلمات). ونحن لا نقوم بتكوين الأفكار ثـم نترجمهـا إلى اللُّغة الطبيعيَّة لننطق بها أو نكتبها، وإنما ننطـق الأفكـار الفعليَّـة التـى تـدور فى أذهاننا دون الحاجة إلى هذه الترجمة، وعندما نفكِّر فى أمرٍ ما نستطيع بسـهولة أن نُحوِّل طريقة تفكيرنا ما بين الخارجى (أى التفكـير بصـوت مرتفـع) والـداخلى (أى التفكير الصامت بدون كلمات). يتضح من ذلك أنه لا فرق بين التفكـير فى أمر ما باستخدام الكلام الداخلى أو الخارجى؛ لأن هذا التفكير دائـمًا مـا يَحْـدُث

باللُّغة الطبيعيَّة، ويُعَدُّ "فيتجنشتاين" [٩] من أنصار هذا الرأى.

هكذا نجد أن التفكير الإنسانىَّ يتمُّ فى صورة سلسلة متعاقبة من جُمَل اللُّغة الطبيعيَّة التى تُنطَق داخليًّا أو خارجيًّا، ولا تتمُّ عمليَّة التواصل بترجمة أفكار داخليَّة خفيَّة ثم نقلها إلى اللُّغة الطبيعيَّة، وإنما بالتعبير المباشر عن الأفكار الفعليَّة ***actual thoughts***، حيث يتمكَّن أفراد الجماعة اللغويَّة الواحدة من فهم الأفكار التى تتضمنها الكلمات؛ لأن الكلمات المنطوقة فى هذه الحالة هى بالفعل الأفكار ذاتها [١٠].

الأدلة والبراهين المُقدَّمة لدعم هذا الرأى:

١. **الدليل الاستبطانى:**

يُعَدُّ الاستبطان من البراهين الأساسيَّة التى تؤكِّد الدور الذى تلعبه اللُّغة الطبيعيَّة فى عمليَّة التفكير. إذا نظرنا إلى الباطن (نحو العقل والروح) سنكتشف أن أفكارنا تتكوَّن بجمل اللُّغة الطبيعيَّة التى تظهر فى صورة مونولوج (مناجاة داخليَّة صامتة)، أو كلام باطنى ***inner speech***. قد يكون هذا الكلام الباطنى عبارة عن محادثات افتراضيَّة ***hypothetical conversations*** مع أشخاص، أو إعادات لمُحادَثات سابقة. يُمكن استخدام الكلام الباطنى فى التخطيط للأحداث المستقبليَّة أو فى حَلِّ المشكلات اليوميَّة. لننظر ـ على سبيل المثال ـ إلى الدور الذى يلعبه الكلام الباطنى فى الموقف الآتى:

منذ بضعة أيام وصلت إلى المكتب، واكتشفت أن القهوة قد نفدت لدىّ،

ولكن خطر ببالى فجأةً أننى قد وضعت بعضًا منها فى حقيبتى الليلة الماضية، وأننى قد أحضرتُ الحقيبة معى إلى المكتب. لقد جَرَى تفكيرى فى هذا الموقف بجُمَل اللُّغة الطبيعيَّة على غرار:

"لا يوجد قهوة. ماذا أفعل؟ من أين أُحضر بعضًا منها؟ ياله من أمر مزعج! يجب أن أحضر بعضًا منها، ولكننى وضعت بعضًا منها فى حقيبتى الليلة الماضية..". كان الجزء الأخير من هذه الفكرة مصحوبًا بصورة بصريَّة ***visual image*** لى وأنا أضع القهوة فى حقيبتى. يَصعُب تحديد ما إذا كانت الجملة هى التى أحدثت الصورة، أم أن الصورة هى التى أحدثت الجملة، ولكننى أعتقد أنه نظرًا لأن الجزء الأول من الحوار الداخلى كان لغويًّا (بدون صور)، فمن الحصافة الافتراض بأن اللُّغة هى التى قد لعبت الدور المحورى المُسيطر فى عمليَّة التفكير.

يُشير "كاروثرز"(١١) إلى إمكانيَّة أن تُستخدم الصور فى عمليَّة التفكير، بشرط تعزيز الصور بجمل اللُّغة الطبيعيَّة؛ وذلك نظرًا لأن الصور قد لا تحمل فى بعض الأحيان المعلومات الكافية، وقد تحمل فى أحيانٍ أخرى معلومات أكثر من اللازم، كما أن تلك المعلومات تحتاج إلى فرزها بطريقة ما. فإذا افترضنا ـ فى أثناء سير عمليَّة التفكير ـ أن صورتى وأنا أضع القهوة فى حقيبتى لم تَكن مصحوبة بجملة، فسيستحيل علىَّ معرفة ما إذا كانت تلك الصورة متعلِّقة بَحدَثٍ وَقَعَ الليلةَ الماضية، أم منذ بضعة أسابيع؛ أى سيَصْعُب تحديد زمن

وقوع الحدث الذى تعبِّر عنه الصورة.. لقد ساعدت الجملة على إكمال الفكرة وإعطائها معنى.

وكثيرًا ما ينساب كلامنا الباطنى خارجًا منَّا إلى البيئة عندما نُفكِّر بصوتٍ عالٍ، نرى ذلك لدى الأطفال الذين يتحدثون عادةً إلى أنفسهم بصوت مسموع أثناء اللعب، وهو ما يُطلِق عليه "جان بياجيه" (١٩٣٢): الكلام الأَنَوىّ، أو المتمركز حول الذات ***Egocentric speech***. وتُثبِت الملاحظات التى أُجْرِيَت على الأطفال أن الكلام عند الأطفال لا يكون دائمًا بهدف التواصل.

وتُعد الوظائف الأنويَّة ***Egocentric functions*** من الوظائف التى تتَّسم بدرجة أكبر من عدم النضج، وتكون هى المُتحكِّم فى الإنتاج اللغوى للأطفال ما بين الثالثة والسابعة من العمر، وبدرجة أقل عند الأطفال ما بين السابعة والثانية عشرة من العمر عند استخدام الطفل للكلمات، حيث لا يهتم الطفل بمعرفة إلى مَن يتحدَّث أو إذا كان هناك من يسمعه، إنه يتحدَّث إمَّا لنفسه أو لمتعةِ أنْ يُشرِك مَن يتصادف وجوده فى المكان فى النشاط الذى يمارسه لحظة الكلام (١٢).

ويرى "بياجيه" أن الأطفال يتحدَّثون بغضِّ النظر عمَّا إذا كان هناك مَن يستمع إليهم أم لا، و يَحْدُث هذا أيضًا لدى البالغين، حيث النطق المتواصل بجمل اللُّغة الطبيعيَّة (الداخلى أو الخارجى) فى غياب مَن يستمع إليهم؛ وفى هذا دليل على أنَّ التواصل ليس هو الهدف من الكلمات هنا، بل قد يكون

نطقهم للكلمات سريعًا، وقد تكون هذه الكلمات ناقصة وغير مرتبة، ولا يستطيع مَن يتصادف وجوده فهمَها؛ لذا إذا لم يكن استخدام هذه الجمل بهدف التواصل، فلا بُدَّ أنها تُستخدَم لهدف آخر، ألا وهو التفكير، فمن المستحيل أن يكون هذا الإنتاج اللغوى دون هدف.

وهكذا يقودنا الاستبطان إلى الاعتقاد بأن إنتاجنا اللفظى الداخلى (أى كلامنا الداخلى) يكون بهدف التفكير، وهذا التفكير يتمُّ باستخدام جمل اللُّغة الطبيعيَّة (أى أن أفكارنا تتركَّب من جمل اللُّغة الطبيعيَّة)، كعمليات التفكير هذه مثلًا:

"إذا غادرت المنزل الآن، فسأصل إلى منزل "فريد" فى حوالى الثالثة عصرًا... ما لم يكن المرور مُزدحمًا فى هذا الوقت من اليوم، مما سيؤخرنى قليلًا، عادةً ما يكون المرور مُزدحمًا فى هذا الوقت؛ لذا، فمن الأفضل أن أهاتفه وأخبره بأننى قد أتأخَّر".

إننا نُفكرهكذا طوال الوقت، ودائمًا ما توجِّه عمليَّة تفكيرنا جملُ اللُّغة الطبيعيَّة.

٢. النمو السيكولوجى فى غياب اللُّغة:

هناك عديد من الحالات الموثَّقة لأطفالٍ حُرِموا القدرة على الكلام، يُشير "مالسون" ***Malson*** إلى هؤلاء الأطفال باسم ***"Wolf children"*** أو الأولاد الذئاب، ويذكر ثلاثًا وخمسين حالة مُسجَّلة(١٣). فى معظم هذه الحالات نجد أن

النمو السيكولوجى للطفل ضعيف للغاية، أمَّا فى الحالات الحَرِجَة فيُشير سلوك الطفل إلى قيامه بعمليات فكريَّة تقوم بها الحيوانات المفتقرة للُّغةِ لا أكثر ولا أقلَّ من ذلك (للاطلاع على عديد من الأمثلة، انظر: 1964 ***Malson***).

ولكن المُثير أن هؤلاء الأطفال غالبًا ما يبدءون فى النمو بشكل طبيعى قبل سماعهم لأيَّة لغة، على سبيل المثال تم العثور على طفلة تُدعَى "جينى" ***Genie*** فى السبعينيات من القرن العشرين عندما كانت فى الثالثة عشرة من العمر، قُدِّرَ عمرها العقلى ***Mental age*** فى ذلك الوقت بحوالى عامين، ولم تكن قادرة على الكلام، لقد أمضت حياتها كلَّها محبوسة فى غرفة صغيرة دون أدنى احتكاك إنسانىٍّ بها. فى الحقيقة إنها لم تكن ترى أحدًا من البشر إلَّا أباها أو أخاها عندما كانا يُحضِران لها الطعام دون حتى أن يتَحدَّثا إليها. على الرغم من نشأة "جينى" ***Genie*** التعيسة المؤسفة إلَّا أنها تمكَّنت بعد إنقاذها من اكتساب اللُّغة، وتطوَّر مستوى ذكائها حتى أصبح أقرب إلى الطبيعى. هل يشير ذلك إلى أن اللُّغة مُجرَّد وَسَط ***Medium*** يستطيع الأطفال من خلاله استيعاب مفاهيم وثقافة الجماعة اللغويَّة التى ينتمون إليها، ومن ثم يتصرفون بطريقة تكشف حقيقة أنهم يفكرون؟ أم أن هناك تفسيرًا آخر؟

فى حالة "جينى" نجد أن النتيجة التى يجب أن نستخلصها من الدليل بعيدة عن الوضوح، فهى لم تُحرَم من اللُّغة فقط، وإنما حُرِمَت كذلك من أىِّ احتكاك عاطفى ***Emotional contact*** طبيعى بالبشر(١٤). لم يكن يُسمَح لها

بمغادرة غرفتها، كما كانت تمضى معظم الوقت مُقيَّدة فى سترة تمنعها من الحركة، مما يعنى أنها لم تكن تتعرَّض لأحداث جديدة، كما أنـه لم يكـن لـديها بيئـة مُثـيرة ***Stimulating environment***. ربـما تكـون هـذه العوامـل (بالإضـافة إلى افتقارها إلى أى تعرُّض للغة) قد لعبت دورًا فى إعاقـة نموهـا العقـلى ***Mental growth***. ويصعب التحقُّق مما إذا كان مستوى ذكاء "جينى" قـد تطـوَّر بالفعـل حتى أصبح طبيعيًّا بعد إنقاذها أم لا، لقـد كـان أداؤهـا جيِّـدًا إلى حـد بعيـد فى اختبارات الذكاء ***Intelligence tests***، إلَّا أن استعمالها للُّغة ظلَّ كـما هـو غـير طبيعى[١٥]؛ مما سيَصعُب معه تحديد المدى الفعلى لتطوُّر عملياتها الفكريَّة.

حالة "هيلين كيلر" *Helen Keller*:

تُعَدُّ حالة "هيلين كيلر" مثالًا شهيرًا لطفلة نشأت نشأةً غير طبيعيَّـة... وفى شهادتها دليل يدعم وجهة النظر القائلة أن التفكير يتم بجُمل اللُّغة الطبيعيَّـة. لم تكن "كيلر" تعانى من خلل سيكولوجى كغيرها من الحالات الأخرى، بـل لقـد فقدت سمعها وبصرها ما بين عامها الأول والثانى من العمر؛ مما أفقدها القدرة على اكتساب اللُّغة بالطريقة الطبيعيَّة المُعتادة. ظلَّت "كيلر" عـاجزة عـن الكـلام حتى بلغت السابعة مـن العمـر، وحينهـا تـم تعليمهـا باسـتخدام لغـة اللمـس ***Language of touch*** بمساعدة مُعلّمتها، حيث كانت تُعلِّمها أسماء الأشـياء بأنْ تجعلها تلمس الشيء المُراد تعلُّمـه (المـاء مـثلًا)، ثـم تكتـب الحـروف التـى يتكوَّن منها اسم هذا الشيء على يدها فتشعر بها. وفى النهاية تمكَّنت "كيلـر" مـن

إتقان هذه اللُّغة، وأخذت فى كتابة الكتب التى تتناول التجارب التى مـرَّت بهـا قبل وبعد تعلَّمها للغة.

من النقاط الواضحة فى كتابات "كيلر" اعتقادهـا بجوهريَّـة الـدور الـذى لعبته اللُّغة فى تفكيرها، فهى تعتقد أنها لم تكن كائنًا مُفكِّرًا قبل استخدامها للغة، وهذه شهادتها:

" قبل قدوم مُعلِّمتى إلىَّ لم أكن أعرف أننى موجودة... عِشت فى عالَم ليس بعالم... لم أكن أعرف أننى عرفت أى شىء، أو أننى عِشت أو فعلـت أو رغبـت فى القيام بأى شىء... لم يكن لدىَّ إرادة ***will*** أو عقل ***intellect***" (١٦).

الجدير بالذكر هنا أنه يُمكِن استخدام هذه الشهادة التى أدلت بهـا "كيلـر" لإضفاء المزيد من القوة على الدليل الاستبطانى؛ وذلك لأن "كيلر" اسـتطاعت ـ من خلال الاستبطان ـ أن تصف الفرق بين امتلاك اللُّغـة وفقـدانها. كـان لـدى "كيلر" ـ بعكس أغلبنا ـ ذكريات عن وجودها ما قبـل اللغـوى، والمقارنـة التـى عقدتها بين تلك الذكريات وبين حالتها اللغويَّة (أى حالها بعـد تعلُّـم اسـتخدام اللُّغة) هى التى قادتها إلى الإدلاء بآراء مهمة أبرزت محوريَّة الـدور الـذى تلعبـه اللُّغة الطبيعيَّة فى الفكر، وتزعم "كيلر" (١٧) أنه لم يكـن لـديها حيـاة داخليَّـة قبـل اكتسابها للغة، كما أن سلوكها كـان أشـبه بالسـلوكيَّات الغريزيَّـة ***Instinctual behaviours*** للحيوانات. لم يكن لديها أيضًا " أى قدرة على التفكـير، ولم تكـن تُقارن بين حالة عقليَّة ***Mental state*** وأخرى.

تَذكُر "كيلر" أنها فقدت الإحساس بذاتها وبهويَّتها، إلَّا أن ذلك قد تغيَّر بعد تعلُّمها استخدام اللُّغة[١٨]. ومما يُثير الاهتمام هنا هو ما تذكره "كيلر" عن بداية حدوث ظاهرة الكلام الداخلى لها بعد اكتسابها للغة، والتى كانت تحدث لها فى صورة شعورها بالكلمات وكأنَّ حروفها تُكتَب على يدها.

وهكذا، يبدو لنا أن تفكيرها الخاص كان يتم باستخدام لغة اللمس التى تعلَّمتها.

يمكننا أن نتبيَّن من خلال كتابات "كيلر" أن اللُّغة تلعب دورًا مهمًّا فى عمليَّة التفكير وفى تشكيل العقل الإنسانىّ. وقد رأينا كذلك أن "كيلر" كانت تشعر وكأن أفكارها مُركَّبة من كلمات يتمُّ رسم حروفها إملائيًّا على يدها، وذلك يؤكد ثانيةً على الوظيفة المعرفيَّة للُّغة، كما يؤكد أيضًا على الدور الذى يلعبه الكلام الداخلى ***Inter speech***.

تُمدُّنا حالة "كيلر" بدليل يُثبِت أن إيجاد اللُّغة ـ فى مخ يفتقر إلى اللُّغة ـ يمنح ذلك المخ القدرة على إنتاج واستيعاب الأفكار المُعقَّدة، ويُظهِر وصف "كيلر" لحالتها قبل تعلُّم اللُّغة أن أفكارها كانت انعكاسيَّة ***Reflexive*** (أى آليَّة ليس فيها اختيار)، ولم تكن خاضعة لأيَّة إرادة عاقلة (ذكيَّة) ***Intelligent will***؛ بمعنى أنها كانت تستجيب للمُثيرات بطريقة آليَّة دون أىِّ تفكير؛ إذ لم يكن لديها أىُّ إبداع أو شعور بالذات أو خبرة مُوحَّدة. إن اكتساب "كيلر" للُّغة هو الذى مكَّن عقلها من النمو وجعله يعمل على نحو إنسانىٍّ واضح، فلولا اللُّغة

لظَلَّ عقلها وأفكارها كعقول الحيوانات.

وعلى الرغم من القوة الحَدْسيَّة التى تَكْمُن فى حالة "هيلين كيلر"، فإنَّ ثمَّة اعتراضًا لا بدَّ من معالجته، فإذا تأمَّلنا ما ذكرته "كيلر" بشأن عدم إحساسها بذاتها قبل اكتسابها للغة، فإن هذا يدفعنا إلى التساؤل: هل يرجع السبب فى ذلك إلى فقدانها للغة؟ أم إلى عدم قدرتها على تذكُّر ذلك؟ مع الأخذ فى الاعتبار أن "كيلر" كتبت عن تجاربها فى بداية حياتها بعد مرور أعوام كثيرة على حدوثها، ومن المُحتمل أنها لم تتذكَّر كيف كانت تبدو الحياة قبل السابعة من العمر. وإذا كان الأمر كذلك، فلن نستطيع أن نَخْلُصَ إلى أن اللُّغة كانت المسئولة عن تطوُّر إحساسها بذاتها أو عقلها، فإننى على سبيل المثال لا أستطيع أن أتذكَّر الأحداث التى وقعت حينما كنت فى السابعة من العمر، وذلك قد يجعلنى أصف فقدانى للخبرة فى مُستهلِّ حياتى كما وصفته "كيلر" تمامًا، وقد يؤدِّى بى هذا إلى الشكِّ فى حقيقة تمتُّعى بالقدرة على التفكير فى ذلك الوقت، إلَّا أن الأمر ليس كذلك، فلا شك أننى كنت قادرًا على التفكير فى تلك الفترة، وقد لا أستطيع أن أتذكَّر أحداث وقعت منذ عشرات السنين، إلَّا أن هناك أحداثًا أخرى قد وقعت حينما كنت فى الثالثة من العمر، وأستطيع أن أتذكرها، فالفكرة هنا أنه لا دخل لفقدان "كيلر" للُّغة بما ذكرته عن مستهلِّ حياتها قبل بلوغها السابعة؛ لأن ذلك قد يكون راجعًا إلى فقدانها لأيَّة ذكريات تتعلَّق بتلك الفترة.

فى النهاية، يجب علينا التركيز على أن "كيلر" (من وجهه نظرها ووجهه

نظر الملاحظين لها) بدأت تفكر كغيرها من البشر حينما اكتسبت اللُّغة الطبيعيَّة، ويبدو أن تلك اللُّغة هى التى جعلت أفكارها تتَّسم بالإنتاجيَّة والنظاميَّة.

وهكذا جاء الدليل الاستبطانى مُقترنًا بشهادة "هيلين كيلر" مُقنِعًا وداعمًا للرأى القائل باستخدام اللُّغة الطبيعيَّة فى عمليَّة التفكير. وسأضفى الآن المزيد من الدعم بالنظر فى طبيعة الأفكار الإنسانية.

٣. طبيعة الفكر الإنسانى تقتضى وجود اللُّغة:

تتسَّم الأفكار الإنسانية بالإنتاجيَّة ***Productivity***، والنظاميَّة ***Systematicity***.

يعتقد "فودور" أنه يجب تفسير هاتين السِّمَتَين باستخدام لغة فطريَّة للفكر، وهى التى أطلق عليها اللُّغة العقليَّة ***Mentalese***؛ وذلك نظرًا لاعتقاده أن اللُّغة وحدها هى التى يمكنها تفسير إنتاجيَّة الفكر ونظاميَّته.

إن "فودور" مُحِقٌّ فى أن اللُّغة هى السبيل الوحيد إلى تفسير طبيعة الأفكار الإنسانية، إلَّا أنه قد جانبه الصواب حين اعتبر أن هذه اللُّغة هى اللُّغة العقليَّة؛ ذلك لأن أفكارنا لا يمكن أن تُصبح إنتاجيَّة ونظاميَّة إلَّا إذا اكتسبنا اللُّغة الطبيعيَّة.

وإذا كانت فرضيَّة "فودور" عن اللُّغة العقليَّة صحيحة فستتَّسم بموجبها أفكار أطفال ما قبل تعلُّم اللُّغة بالإنتاجيَّة والنظاميَّة مثلها مثل الأفكار الإنسانية المتطوِّرة. لقد كانت الرغبة فى تفسير طبيعة أفكار الأطفال والحيوانات هى أحد

أسباب الافتراض القائل أن اللُّغة العقليَّة هى لغة الفكر وليست اللُّغة الطبيعيَّة[١٩].

يعتقد "فودور" أن الأطفال يحتاجون إلى فكر إنتاجىٍّ ونظامىٍّ (أى يجب أن يتسم فكرهم بهاتين الخاصيتين) من أجل تعلُّم اللُّغة الطبيعيَّة، من خلال تكوين افتراضات وتخمينات حول معانى الكلمات ثم اختبارها (الافتراضات). إلَّا أن التجارب تُثبِت عكس ذلك، وهو أن أفكار الأطفال والحيوانات ليست إنتاجيَّة أو نظاميَّة[٢٠]. لا يعنى هذا أن الأطفال والحيوانات لا يفكرون، وإنما يعنى أن أفكارهم مختلفة لا أكثر ولا أقلَّ من ذلك، حيث يمكن تفسير الأمر بأن اللُّغة الطبيعيَّة تمنح البشر أسلوبًا جديدًا فى التفكير عند بلوغهم مرحلة معيَّنة من النمو. وقد أثبتت التجارب التى أجراها "جان بياجيه" ***Jean Piaget*** على الأطفال أن هناك مرحلة معيَّنة من النمو يكتسبون فيها نظامًا تمثيليًّا من الرموز (أى يبدءون فى تمثيل الأشياء باستخدام الرموز). ويُمثل هذا أهمية كبيرة؛ نظرًا لأنه لا بُدَّ من وجود الرموز لإنتاج أفكار تتسم بالإنتاجية والنظامية. ولقد ميَّز "بياجيه" بين مراحل أربعة للنمو المعرفى عند الأطفال: المرحلة الأولى هى المرحلة الحِسِّيَّة الحركيَّة ***Sensory-motor stage*** والتى ستكون موضوع الحديث هنا.

فى خلال المرحلة الحِسِّية الحركيَّة ـ التى تبدأ من الولادة حتى سن سنتين من العمر ـ يبدأ النظام المعرفى ***Cognitive system*** عند الطفل مُقتَصِرًا على

الارتكاسات (الاستجابات) الحركية ***Motor reflexes***، وفيها تكون أفكار الطفل بدائية بسيطة فى صورة تنسيق بسيط ***Simple coordination*** للمعلومات الحِسِّية مع الحركات الجسديَّة. يرى "بياجيه" أنه مع استمرار عمليَّة النمو تَحْدُث طفرة كبيرة فى القدرة المعرفية ***Cognitive ability*** للطفل، ويكتسب مفهوم ديمومة الأشياء ***Object permanence***، وهو إدراك استمرار وجود الأشياء، حتى وإن كانت بعيدة عن النظر، ولقد لاحظ "بياجيه" أنَّ الأطفال قبل بلوغهم هذه المرحلة من النمو يتصرَّفون وكأنَّ الأشياء التى لا يدركونها بالحواسِّ غير موجودة (٢١).

قد يهتم الطفل بالنظر إلى دُمْيَة مثلًا، ولكنْ إذا ما توارت هذه الدمية خلف قطعة من الورق، فلن يُحرِّك الورقة كى يجدها، ولكن حالَما يبلغ نمو الطفل مرحلة إدراكه لمفهوم ديمومة الأشياء، ما بين ثلاثة أشهر وعام من العمر طبقًا للأبحاث الحديثة (انظر: ***Baillargeon,*** 1991)، يمكنه أن يدرك مفهوم ديمومة الأشياء، وسيبحث بالتالى عن الأشياء المُخبَّأة. يرى "بياجيه" أن هذه المرحلة تُعَدُّ من مراحل النمو الحاسمة؛ لأنها المؤشِّر الذى يُعْلن بداية الفكر الرمزى ***Symbolic thought*** عند الطفل؛ أى بداية استخدامه للرموز فى التفكير، وهذه الرموز هى اللُّغة.

يستطيع الأطفال فى هذه المرحلة إبقاء المفاهيم فى أذهانهم، كما يبدأون فى استخدام كلمات معيَّنة لتمثيل أشياء معيَّنة، وسوف يؤدى هذا إلى الزيادة

المفاجئة فى استعمالهم اللُّغة الرمزية ***Symbolic language***، بالإضافة إلى إعادة تنظيم عملياتهم الفكرية، ممَّا ينشأ عنه تفكير إنتاجىٌّ ونظامىٌّ؛ وذلك لأن القواعد التركيبيَّة للغة هى التى تعيد تنظيم العقول.

إن ما يدعو إلى افتراض افتقاد العمليات الفكرية عند الأطفال فى مستهلِّ الطفولة ***Infancy*** ـ بعكس الفكر اللغوى الإنسانى الناضج ـ إلى سِمَتَى الإنتاجيَّة والنظاميَّة، هو عدم قدرتهم على التمثيل الرمزى. ولكن هل يُشير هذا إلى أن استيعاب ***Assimilation*** اللُّغة الطبيعيَّة ـ هو الذى يجعل الأفكار الإنسانية تُنظَّم بهذه الطريقة؟ ربما لا. قد يزعم المؤيِّدون للُّغة العقليَّة أنَّ اكتساب الطفل للتمثيل الرمزى يحدث فى مرحلة معيَّنة من مراحل نموه المعرفىِّ، وفيها تبدأ آليَّات لغة الفكر الفطريَّة لديه فى العمل بشكل فورىٍّ ومباشر؛ أى أن الطفل يصل إلى مرحلة إدراكه لمفهوم ديمومة الأشياء ويكتسب التمثيل الرمزى بمُجرَّد أن آليَّة لغة الفكر الفطريَّة قد قُدِحَت.

والحقُّ أن هذه الافتراضات غير مُجْدِيَة؛ لأنها تجعل صورة العقل أكثر تعقيدًا مما ينبغى، فهى تجعلنا بإزاء لغتين تَنشآن نتيجة لعوامل تطورية: اللُّغة العقليَّة واللُّغة الطبيعيَّة، تستطيع كلتاهما تفسير إنتاجيَّة ونظاميَّة الفكر، إلَّا أنه لا يمكن الإشارة إلى اللُّغة العقليَّة تجريبيًّا؛ أى أنها ليست من الحقائق الموضوعية التى يمكن اكتشافها بالملاحظة والتجريب؛ ومن هنا وَجَب اللجوء إلى مبدأى البساطة ***Simplicity*** والاقتصاد ***Economy***. فإذا كانت اللُّغة الطبيعيَّة قادرة

على تفسير مراحل نمو الفكر الإنتاجىِّ والنظامىِّ، فلا داعى لافتراض وجود اللُّغة العقليَّة أصلًا.

لدينا أيضًا النماذج الترابطية للغة التى تدعم الرأى القائل أن اللُّغة الطبيعيَّة هى المسئولة عن إنتاج الأفكار وتنظيمها، فالشبكات العصبيَّة الاصطناعيَّة ***Artificial neural networks*** المُصمَّمة خِصِّيصًا لاكتساب اللُّغة ـ ولكنها لا تتمتع بقدرات لغويَّة عمومًا ـ ليست لديها القدرة الإنتاجية أو النظامية للغة، ولكن لوحِظ أنه عند اكتساب مثل هذه الشبكات للمفاهيم ***Concepts*** ـ من خلال التدريب ـ تَبْرُز لديها هاتان السمتان(٢٢).

تُعَدُّ اللُّغة الطبيعيَّة تقنيةً خارجية ***External technology*** تتسم بالإنتاجيَّة والنظاميَّة. وبعد اكتساب العقل لمفهوم ديمومة الأشياء يكون مُستعدًّا لاستيعاب اللُّغة الطبيعيَّة؛ ومن ثم يبدأ المخ فى إنتاج أفكار تتَّسم بالإنتاجيَّة والنظاميَّة. ولا شك أن بِنْيَةَ المخ تختلف عن بنية الشبكات العصبية الاصطناعية، والمؤكَّد أنها أكثر تعقيدًا؛ لذا فالحقائق التى بين أيدينا عن هذه الشبكات لا يمكن أن تنطبق على المخ الإنسانى. قد تكون هناك اختلافات جذرية بين النظامين، وقد تتعلَّق هذه الاختلافات باكتساب الأفكار الإنتاجيَّة والنظاميَّة، ولكن على الرغم من ذلك يُمكننا ـ على أقلِّ تقدير ـ استخدام حقيقة اكتساب الشبكات العصبيَّة الاصطناعيَّة للقدرات الإنتاجيَّة والنظاميَّة، عن طريق التدريب، فى إظهار إمكانيَّة أن يكون المخُّ يعمل بالطريقة نَفسها، مما يدعم

الرأى القائل بأن الأفكار الإنسانيَّة تصبح إنتاجيَّة ونظاميَّة بفعل استيعاب اللُّغة الطبيعيَّة؛ ومن ثم تقوية احتمال أن تكون اللُّغة الطبيعيَّة هى لغة الفكر.

إشكاليات مُقترنة باللُّغة العقليَّة:

يرى أنصار اللُّغة الطبيعيَّة أن فرضيَّة لغة الفكر الفطريَّة تواجه إشكاليَّات لا يمكن حلُّها بسهولة، ولعل ما يُثير هذه الإشكاليَّات فى المقام الأول هو فكرة أنَّ هذه اللُّغة فطريَّة خفيَّة، ويَصْعُب إيجادها فى العالم التجريبى.

- **أين توجد كلمات اللُّغة العقليَّة؟**

عندما نفكِّر بجمل اللُّغة الطبيعيَّة نستطيع أن نشير إلى الكلمات، وأن نفهم بوضوحٍ كيفيَّة اتصال هذه الكلمات بكلمات أخرى لإنتاج جمل صحيحة المعنى. أمَّا كلمات اللُّغة العقليَّة فيصعب العثور عليها أو اقتفاء أثرها بهذه البساطة، إذ لا يمكن اكتشاف هذه الكلمات عن طريق الاستبطان ***Introspection***؛ نظرًا لأن اللُّغة العقليَّة تُعَدُّ لغةً خفيَّة غير ظاهرة، وعندما نقوم بعمليَّة الاستبطان نكتشف أننا نفكِّر بجُمل اللُّغة الطبيعيَّة التى نتحدَّثها، والتى تظهر فى صورة مونولوج داخلى أو كلام باطنى داخلى غير مسموع؛ لذا لا يمكننا البحث عن اللُّغة العقليَّة من خلال الاستبطان.

مثل هذه الحقيقة يجب ألا تزعج المؤيِّدين لوجود اللُّغة العقليَّة؛ إذ إنها ــ مثلها مثل عديد من وظائف المخ ـ تكون خفيَّةً عن الوعى الشعورى؛ ومن ثم لا نشعر بوجودها. وحقيقة أننا لا نَعِى إلَّا بوجود اللُّغة الطبيعيَّة لا يؤثِّر مُطْلَقًا

على وجود (أو عدم وجود) اللُّغة العقليَّة.

بالمقارنـة بـين الحاسـوب والمـخ نجـد أن اكتشـاف لغـة الفكـر الداخليَّـة للحاسـوب ـ **_Internal language of thought_** لا يمكـن أن تـتمَّ بمجـرَّد النظر إلى شاشة عرض مُعالِج الكلمات، ولكن يمكننا النظر إلى داخل المُكوِّنـات الماديَّة للحاسب **_Hardware_**؛ لاكتشاف لغة فكره الثنائية. ولا نسـتطيع تنفيـذ ذلك إلَّا عن طريق فحص مفاتيح التشغيل والإغلاق الماديَّـة الكثـيرة الموجـودة داخل دوائره الإلكترونية **_Circuitry_**، حيث تُعَد الدوائر الإلكترونيـة الخاصـة بالحاسوب الرقميِّ بمثابة نظام مَبنيٍّ **_Structured system_** لـه نُظُـم وقواعـد؛ أى أنه من الممكن الإشارة إلى حالاتـه الداخليَّـة **_Internal states_**، والتعـرف على الطريقة التى يـتم مـن خلالهـا معالجـة القواعـد اللغويَّـة **_Syntax_** فى تلـك الحالات.

أمَّا مع المخ فيكون الأمر خلافًا لذلك؛ إذ إنه عبارة عن مجموعة غير مُرتَّبـة من الخلايـا العصـبية المرتبطـة بعضـها بـبعض **_Interconnected neurons_**، والتى لا يبدو أن لها أى بنية تركيبيَّة **_Syntactic structure_** على الإطـلاق. مـا أحاول إثباته هنا أننا لم نتمكَّن حتى الآن من التعـرف عـلى آليـة **_Mechanism_** واحدة تُعالَج من خلالها القواعد اللغويَّة للغة العقليَّة فى البنية الدماغيَّة العصبيَّة المنخفضة المستوى.

قد يَرُدُّ المؤيِّدون للغة العقليَّة على ذلك ــ ولعلَّهـم مُحِقُّـون ـ بالإشـارة إلى

عدم إمكانيَّة تحديد موضع اللُّغة الطبيعيَّة كذلك فى البنية الدماغيَّة العصبيَّة، على الرغم من وجودها الواضح. إن ما يقصدونه هو أنه لا ينبغى علينا استبعاد فكرة وجود اللُّغة العقليَّة لمجرد عدم تمكُّن علم الأعصاب **Neuroscience** من تقديم الوصف الكامل والوافى لطريقة معالجتها فى المخ.

لذا سيظل التساؤل بشأن وجود آليَّة لمعالجة اللُّغة العقليَّة مطروحًا إلى أن يتم إيجاد الأدلة الكافية التى يمكن أن تقدِّم لنا جوابًا قاطعًا ونهائيًّا.

- **من أين يأتى المعنى؟**

يتعلَّق هذا التساؤل الذى نطرحه بمعنى جمل اللُّغة العقليَّة ***Mentalese Sentences***، والإجابة عنه قد تكون فى صالح اللُّغة الطبيعيَّة؛ مما يجعل اللُّغة العقليَّة الفطريَّة عديمة الجدوى. قد يزعم واضعو نظريات لغة الفكر الفطريَّة ***Innate language of thought*** أن هناك عمليَّة ترجمة تتمُّ من جمل اللُّغة العقليَّة إلى جمل اللُّغة الطبيعيَّة، إلَّا أن هذا لا يُجيب عن السؤال: من أين تستقى جمل اللُّغة العقليَّة معانيها؟[٢٣].

زَعَم بعض واضعى النظريات أن جمل اللُّغة الطبيعيَّة تستقى معانيها من طريقة استخدام الأفراد لها وفهمهم لها كذلك[٢٤]، إلَّا أنَّ هذه الفكرة لا يمكن أن تفسِّر الطريقة التى تستقى من خلالها جمل اللُّغة العقليَّة معانيها. وإذا كنا نستخدم جمل اللُّغة العقليَّة الداخليَّة، وكنا على وعى بطريقة استخدام تلك الجمل، فسيعنى ذلك أننا على وعى بوجود اللُّغة العقليَّة، ولكن النظرية بخلاف

ذلك؛ حيث يُفترَض أن اللُّغة العقليَّة لغةٌ إجرائيَّة خفيَّة لسنا على وعى بها ولا نشعر بوجودها. إذا استطعنا اكتشاف اللُّغة العقليَّة من خلال عمليَّة الاستبطان فلن نحتاج إلى التساؤل بشأن وجودها من عدمه.

إذا كانت جمل اللُّغة الطبيعيَّة المنطوقة أو المكتوبة تستقى معانيها من طريقة استخدامنا لها، فيمكننا القول أن جمل اللُّغة العقليَّة تستقى معانيها من طريقة استخدامها وفهمها بواسطة نظام آخر يوجد على نحو عميق داخل المخ، وقد يعمل هذا النظام الآخر وفقًا للغةٍ باطنيَّة خاصَّة به "***Sub-mentalese***"، أو لغة عقليَّة عميقة "***Deep-mentalese***". إلَّا أن هذا يؤدِّى إلى مشكلة أخرى؛ فعلينا الآن اكتشاف أين توجد معانى اللُّغة العقليَّة الباطنية، وأى جزء من المخ يَتَحَكَّم فى فهم هذه اللُّغة؟ لن يجدى نفعًا الالتجاء إلى مثل هذا النظام الآخر الذى يستخدم لغة داخليَّة ***Inner language*** خاصَّة به؛ لأن المشكلة قد تتفاقم من جرَّاء هذا، ولن نتمكَّن من الإجابة عن أى تساؤلات؛ فلا بدَّ أن هذا النظام يندرج تحته نظام آخر يُمثِّل لغة أخرى؛ مما سيقودنا إلى نقطة البداية؛ لأنه سيكون علينا أيضًا اكتشاف المصدر الذى تأتى منه معانى هذه اللُّغة الأخرى، وهكذا دواليك (٢٥).

لِمَ لا يمكننا أن نُقرِّر ببساطة أن اللُّغة العقليَّة هى اللُّغة الأساسيَّة؟! أى أنه لا يوجد نظام آخر تُفهَم وتُستخدَم هذه اللُّغة بواسطته، وأن كَمًّا هائلًا من جمل هذه اللُّغة هو الذى يُشكِّل الفكر والمعنى العالى المستوى ***Higher-level***

meaning؟ لننظر فى طريقة تفسير "فـودور" ***Fodor*** لكيفيـة اسـتخدام رمـوز اللُّغة العقليَّة.

يرى "فودور" أن الشكل "***shape*** " الذى تكون عليه رموز اللُّغـة العقليَّـة هو الذى يحدد كيفية تفاعلها السـببى مـع بعضـها بعضًـا(٢٦)، ويـرى كـذلك أن العقل عبارة عن آلة حاسوبية ***Computational device***، وأنه يمكـن تفسـير عملياتـه التركيبيَّـة ***Syntactic operations*** بـالنظر إلى العمليـات الداخليَّـة ***Internal operations*** التى يقوم بها الحاسوب. تختصُّ مثـل هـذه العمليـات بتحويل الرموز، وهى لا تهتم بمعانى تلك الرموز، وإنما بشكلها فقـط. ونحـن فى الواقع يمكننا فهم هذه العمليات بتشبيه شـكل رمـوز اللُّغـة العقليَّـة بشـكل المفتاح، فشكل المفتاح هو الذى يحدد أى قفل سيفتحه(٢٧).

قد لا تُعالَج رموز اللُّغة العقليَّة إلَّا بواسـطة عمليـات شـديدة الحساسـية يمكن من خلالها إدراك أشكال هذه الرموز، ووفقًا لهـذا التفسـير، فـإن المسـألة ليست هى معرفة الجزء الذى نفهم من خلاله اللُّغة العقليَّـة فى المـخ، أو معرفـة المصدر الذى تستقى منه جمـل اللُّغـة العقليَّـة معانيهـا، وإنَّـما ننظـر إلى العمليَّـة العقليَّة ***Mental operation*** كعمليَّة آليَّة لا دخل للعقل فيها، ولا وجود فيهـا لمشكلة المعنى، ولكن لا يزال هناك تساؤل مطـروح: إذا كـان "فـودور" مُــحِقًّا، وإذا كنا قادرين على فهم المعنى والفكر من حيث معالجـة رمـوز اللُّغـة العقليَّـة بواسطة عمليات يمكنها إدراك أشكالها تلقائيًّا، فلـماذا لا نسـتطيع التعبـير عـن

الفكر وفقًا للُّغةِ الطبيعيَّة؟

إن اللُّغة الطبيعية تحوى رموزًا يمكن معالجتها بواسطة عمليات آلية؛ لـذا، فإن تلك اللغة قادرة على التعبير عن الفكر والمعنى مـن خـلال معالجـة الرمـوز اللغويَّة بطريقةٍ آليَّة لا دخلَ للعقل فيها؛ مما يجعلها تتمتع بقـوة توضـيحية مثلهـا مثل اللُّغة العقليَّة.

- **إشكالية التوافق:**

عندما يريد فريق من المهندسين تصـميم نظـام للحاسـوب ***Computer system*** يضعون نصب أعينهم مُنتَجًا نهائيًّا كاملًا؛ بمعنى أنهم يضعون أمـامهم مواصفات معيَّنة ليتمَّ تصميم الحاسوب طبقًا لها، وعنـدما تـنجح هـذه العمليَّـة يقوم الحاسوب بتنفيذ مهامِّه المُحدَّدة مـن قِبَـل فريـق التصـميم دون أى تـدخُّل منهم، ولا شك أن مُصمِّمى النظام عادةً ما يقومـون بعمليَّـة التصـميم بطريقـة تضمن ـ بل وتُسهِّل ـ إضافة مُكوِّنات مادِّية جديدة ***New hardware*** للنظام، وذلك فى حالة وجود مَهام مستقبلية يتطلَّب تنفيذها وجود أدوات إضافية.

لن يقوم بتصميم هذه المكونات المادِّيـة الجديـدة سـوى مهندسـين لـديهم معرفة بتصميم النظام الأصـلى ***Original system design***؛ كـى يتسـنَّى لهـم إجراء عمليَّة دمج المكونات الإضافية للنظام دون الحاجة إلى تغيـير مواصـفات التصميم الأصلى، وسـيتأكدون مـن تَمتُّـع كـلٍّ مـن النظـام الأصـلى وإضـافاته الخارجية المساعدة بالقدرة على الاتصال المتبادل من خلال لغة مُشتَرَكة، بمعنـى

أن الإضافات الجديدة ستكون متوافقة ***Compatible*** مع النظام الأصلى.

ينجح هذا التصميم الهندسىُّ مع الحاسبات، غـير أن المـخَّ لم يُصـمَّم عـلى هذا النحو. الواقع أنه لم يُوضَـع لـه تصـميم عـلى الإطـلاق، ولم يظهـر بـالطبع كوحـدة متكاملـة ***Complete unit***. يـرى "كوزميـدس" ***Cosmides*** أن المـخ الإنسانىَّ الحديث كان فى الأصل عبارة عن جهاز أصغر بكثير مما هو عليه الآن، وكان عبارة عن مجموعـة مـن الوحـدات المسـتقلة بـذاتها ***Self - contained modules***، كلٌّ منها مسئول عن أداء وظيفـة محـدَّدة خاصَّـة بهـا، فـربما كانـت إحداها مثلًا مسئولة عن تنظيم نشاط أوعية القلب الدمويَّـة، وأخـرى مسـئولة عن معالجة المثيرات البصرية، وكانت هذه الوحـدات قـادرة عـلى أداء وظائفهـا الخاصة بها فقط، وبمرور الوقت نشأ عن عمليَّة الانتخاب الطبيعـى ***Process of natural selection*** ظهـور وحـدات جديـدة أُضِـيفَت إلى المـخ الموجـود بالفعل، وقد بُنِيَت هذه الوحدات أو الإضـافات لأداء وظـائف أو تنفيـذ مهـام جديدة، وربَّما كان لديها القدرة على توصيل المعلومات إلى الأجزاء الأخرى مـن المخ.

والآن إذا كانت هذه النظرية القياسية صـحيحة، فسـتواجهنا مشـكلة: إذا كان المخُّ يعمل وفق لغة داخليَّة للفكر كاللُّغة العقليَّـة ***Mentalese***، فسـتحتاج كل وحدة من وحداته إلى العمل وفق هذه اللُّغـة نفسـها ليَحـدُث توافـق بينهـا وبين باقى النظـام. إلَّا أن هـذه الوحـدات ظهـرت مـن خـلال عمليَّـة التطـور

Process of evolution بالانتخـاب الطبيعـى، ولم تُصـمَّم بحيـث يَسـهُل توصيلها بنظام قائم بالفعل. إن العمليَّة التى تؤدِّى إلى ظهور وحدات جديدة لا تتَّجه نحو أهداف نهائية محدَّدة، ويستحيل أن يكون التطور بالانتخاب الطبيعـى قد وضع فى الاعتبار مخًّا متكاملًا ***Integrated brain***، أو لغة للفكـر موجـودة من قبل؛ لذا كيف يمكن أن تكون كل هذه الوحدات المختلفة متوافقـة بعضـها مع بعض؟ أعتقد أن هذا يُسوِّغ إقدامنا على النظر فى بـدائل أخـرى لنظريـة لغـة الفكر الفطريَّة.

ربما يكون ما حدث أنـه قـد نشـأ عـن عمليَّـة التطـوُّر وحـدات ظهـرت جميعهـا بالمصـادفة؛ لتعمـل وفـق لغـة واحـدة للفكـر، أو ـ عـلى أقـل تقـدير ـ ربـما يكـون قـد نشـأ عنهـا وحـدات لـديها القـدرة عـلى"الـتعلُّم"؛ ومـن ثـم أصـبحت متوافقـة مـع النظـام الموجـود بالفعـل. إنَّ احـتمال حـدوث هـذا يبدو ضعيفًا للغاية، إلَّا أنه ممكن.

إن مشـكلة التوافـق ***Compatibility problem*** ــ إذن ـ لا تَحُـول دون احتمال وجود لغة فطريَّة للفكر، وإنما تعطى لنا المُسوِّغ الكافى للبحث عن نظرية أفضل لا تعانى المشكلة نفسها. قد تفترض مثل هذه النظرية أن المخ الإنسـانى لم يكتسـب لغـةً للفكـر إلَّا بعـد أن بَلَـغ مرحلـة معيَّنـة مـن النمـو التطـورى ***Evolutionary development***، بل ربـما بعـد أن أصـبح مخًّـا إنسـانيًّا حـديثًا ***Modern human brain***.

يمكننا القول: إنه بمجرَّد أن تُكمل الطبيعةُ عمليَّة بناء المخ يتم تركيب (أو بلغة الحاسوب: تحميل) لغة عالمية للفكر ***Global language of thought***، وإن تركيب مثل هذه اللُّغة من شأنه إمداد العقل بطريقة جديدة فى التفكير، ويؤدِّى كذلك إلى إثرائه ومرونته، وهذه اللُّغة ليست اللُّغة العقليَّة ***Mentalese*** بالضرورة، وإنما قد تكون لغةً طبيعيَّة.

من هنا نتبيَّن أن المحاولات الرامية لإقناعنا بأن اللُّغة العقليَّة هى لغة الفكر جاءت على العكس غير مُقنِعَة وباهتة تمامًا.

الرد على الأطروحات الداعمة للغة العقليَّة والنافية لدور اللُّغة الطبيعيَّة فى الفكر:

سنشرع الآن فى تفنيد الحجج التى ساقها أصحاب نظرية اللُّغة العقليَّـة فى نفى الدور الذى تلعبه اللُّغة الطبيعيَّة فى الفكر، وهى: .

١. **قول شىء ما خلاف المقصود:**

يُفسِّر "كاروثرز"[٢٨] ظاهرة طرف اللسان بطريقة أخرى، فبدلًا من القـول أن الفكرة تكون موجودة باللُّغة العقليَّة، وأنه يَصْعُب ترجمتها إلى اللُّغة الطبيعيَّة، يمكننا تفسير ذلك بأنَّ تكـوين الفكـرة لا يكـون مُكـتملًا تمامًـا، وأنَّ الصـعوبة الحقيقيَّة تَكْمُن فى تكوين الفكرة نفسها؛ مما يدفع المـرء إلى تكـوين فكـرة مختلفـة قليلًا. قد يعتقد المرء أن هناك فكرة أفضل ستكون أكثر دقة، ولكنـه لا يسـتطيع تكوينها، ولكن إذا استطاع تكوين الفكـرة، فسـيكون مُـدْرِكًا أنهـا أفضـل مـن الأخرى التى نطق بها.

قد يَرُدُّ "بينكر" على ذلك بأن وجود فكرة أفضل وأدقَّ يرجـع إلى أن هـذه الفكرة مُرَمَّزة برموز اللُّغة العقليَّة، ولا يمكن ترجمتها عـلى النحـو الصـحيح إلى اللُّغة الطبيعيَّة. إلَّا أن الاعتقاد بوجود فكرة أفضل لا يستلزم بالضرورة أن يـتم التفكير فيها باللُّغة العقليَّة.

ويُفسِّر "جوكر" ***Gauker*** (١٩٩٢) ظاهرة طرف اللسان بطرقٍ عِدَّة، فقد ترجع المواقف التى نعتقد فيها أننا لا نستطيع إيجاد الكلمات المناسبة للتعبير عـن

فكرة معيَّنة إلى:

- وجود مشكلة فى عمليَّة الاسترجاع ***Retrieval***. قد نعرف بالضبط ما سنقوله، ولكننا فجأة ننساه، وقد يرجع الشعور بالإحباط الذى يعقب ذلك إلى المجهودات التى نبذلها من أجل تذكر الجملة الأصلية. مثال ذلك الحالات التى نرى فيها وجهًا لشخص مألوف، ولكننا لا نتذكَّر اسمه، على الرغم من معرفتنا بأنَّنا طالما ردَّدنا هذا الاسم كثيرًا فى الماضى.
- أن تكون لدى المرء صورة عقليَّة ***Mental image*** يصعب وصفها بالكلمات؛ كصورة من حلم مُفكَّك غير منطقىّ.
- أنه لا يوجد لدينا فى الحقيقة أى فكرة لنُعبِّر عنها، وذلك عندما نرغب فى أن يكون لدينا جواب لسؤال أو رأى فى موضوع معين، ولكن الحقيقة أننا لا نعرف هذا الجواب أو هذا الرأى، ولن نعترف لأنفسنا بذلك؛ لذا نحاول تكوين فكرة ـ أى فكرة ـ تكون وثيقة الصلة بموضوع الحديث، وإذا ما أخفقنا فى تكوين مثل هذه الفكرة تَحْدُث لنا ظاهرة طرف اللسان المزعجة.

تُبيِّن لنا الاحتمالات السابقة أن ظاهرة طرف اللسان ليست سببًا كافيًا لإقناعنا بإنكار الدور الذى تلعبه اللُّغة الطبيعيَّة فى عمليَّة التفكير، كما أنها لا تُسوِّغ الافتراض القائل أن اللُّغة العقليَّة هى الوسط الذى يتطلَّبه الفكر.

ومن الظواهر ذات العلاقة بالظاهرة السابقة: "زلة اللسان" ***Slip-of-the-tongue phenomenon***، التى تَحْدُث بصورة مُتكرِّرة

وتكون غير مقصودة؛ كما فى هذا المثال:

"منذ بضعة أسابيع كنت أشاهد أحد الأفلام، وكان يتضمن مشهدًا لامرأة عجوز، كان من الواضح لى أن هذه المرأة ليست عجوزًا كما تبدو، وإنما قد وُضِعَت لها مساحيق معيَّنة؛ كى تبدو كذلك، وقد تم صَبْغ شعرها باللون الرمادى، ورُسِمَت على وجهها عديد من التجاعيد".

علَّقت على هذا بالكلمات الآتية: "ليس شعرها داكنًا فى الحقيقة كما يبدو".

أدركت خطئى على الفور وقمت بتصحيح جملتى بهذه الطريقة: "أقصد ليس فاتحًا". والسؤال هو: كيف يمكن أن يَحْدُث مثل هذا الخطأ؟ لعل السبب فى تصحيحى للجملة راجع إلى الاستبطان؛ لأننى من خلاله أعرف أننى أردت أن أقول إن شعر المرأة ليس فاتحًا. هل يدل هذا على أن الفكرة قد تكوَّنت باللُّغة العقليَّة، وأن هناك خطأً ما قد حدث فى ترجمتها إلى اللُّغة الطبيعيَّة؟ قد يُسوِّغ البعض ذلك بقولهم إن معرفة الشخص بأنَّ الجملة التى نطق بها ليست هى المقصودة يُشير إلى حقيقة أنه كانت هناك فكرة أراد هذا الشخص قولها والنطق بها بالفعل، وأن تلك الفكرة كانت مستقلة عن اللُّغة الطبيعيَّة التى عبَّر بها الشخص عن الفكرة.

حاول عالم النفس الشهير "سيجموند فرويد" ***Sigmund Freud*** تفسير هذه الظاهرة بإرجاعها إلى أفكارنا ورغباتنا اللاشعورية. وقد رأى "فرويد" أن رغباتنا اللاشعورية تنجح ـ بطريقة أو بأخرى ـ فى الدفع بنفسها إلى السطح

حتى يتم البَوْح بها فى المُحادَثات العادية (٢٩).

إنَّ تحليل "فرويد" لظاهرة زلَّات اللسان يمكن أن يُساعدنا فى إثبات إمكانية تفسير هذه الظاهرة بالرجوع إلى اللُّغة الطبيعيَّة دون الحاجة إلى استحضار اللُّغة العقليَّة. والجدير بالملاحظة أنه فى معظم حالات زلَّات اللسان تكون الكلمة غير المقصودة ذات علاقة بالجملة. وقد فَسَّر "فرويد" هذا بقوله: "إن الشخص فى أثناء نطقه للكلمة غير المقصودة يُفكِّر لاشعوريًّا فى فكرة متصلة بها".

على ضوء هذا أعتقد أن التفسير الأمثل لِما حَدَث فى المثال السابق هو:

كانت الفكرة التى عبَّرْت عنها غير صحيحة، ولم أدرك عدم دِقَّتها إلَّا بعد لحظات من التعبير عنها. قد تكون فكرتى التى أردت التعبير عنها: "ليس شعر هذه السيدة فاتحًا كما يبدو"، قد اقترنت ـ بطريقة أو بأخرى ـ بفكرة مرتبطة بها: "ليس شعر هذه السيدة داكنًا كما يبدو"، وأننى أردت التعبير عنها أيضًا.. ما حدث أنه تم الدمج بين الفكرتين ـ بطريقة ما ـ فى أثناء تكوين الفكرة؛ مما نتج عنه إصدار الجملة الخطأ: "ليس شعر هذه السيدة داكنًا كما يبدو"، وعند سماعى للجملة التى عبَّرت بها عن الفكرة المُرادة اكتشفت أنها مُخالِفة لِما رأيته؛ لذا قمت بتصحيحها.

قد تُشير الحالات التى تَحْدُث فيها ظاهرة فلتات اللسان إلى أنه يجرى التفكير فى أكثر من فكرة فى أثناء تكوين الفكرة المُراد التعبير عنها، يبقى معظمها

خارج الـوعى ***Consciousness***، لكـن وجـود التفكـير اللاشـعورى ***Non-conscious thinking*** لا يقتضى كنتيجة حتميَّـة وجـود اللُّغـة العقليَّـة، فقـد يتضمن هذا التفكير أيضًا بِنْيَات اللُّغة الطبيعيَّة، ولعلَّ حالة "جون" المـذكورة فى الصفحات السابقة تؤيِّد هذا.

٢. عادة ما نتذكَّر فحوى ما يُقال وليس الكلمات الدقيقة:

صحيح أننا عادةً ما ننسى الكلمات الدقيقة التى يسـتخدمها الآخـرون فى نقل فكرةٍ ما إلينا، إلَّا أنَّ هذا لا يعنى عـدم حـدوث التفكـير باللُّغـة الطبيعيَّـة. يَذْكُر "بينكر" ***Pinker*** أن فحوى الجملة تختلف عن الجملـة نفسـها، ولكننـى لا أتفق معه؛ لأن فحوى الجملة نفسها قد تكون جملة أيضًا. فإذا حدث أن فكَّـرت فى فحوى إحدى الجمل الطبيعيَّة التى سمعتها، فسيتم تفكيرى فى تلك الفحوى باللُّغة الطبيعيَّة. قد لا تكون هى الجملة الأصلية نفسها التـى سـمعتها، ولكنهـا جملة فى حدِّ ذاتها (ربما مع تعديل طفيف فى المعنى). وقد يرجع ذلك إلى أنه عنـد سماعى لمنطوقات الآخـرين، يقـوم العقـل بتعـديل هـذه المنطوقـات مـن أجـل تخزينها فى الذاكرة بأكثر الطرق كفاءةً وفاعليَّة. وأخيرًا قد ينتج عن ذلك تكـوين جمل مختلفة قليلًا، ولكنها تُمثِّل تقريبًا فكرة الجمل المنطوقة الأصلية نفسها.

قد يعترض "بينكر" عـلى هـذا بزعمـه أن اخـتلاف الجملـة الأصـلية عـن فحواها يُعَد دليلًا على وجود فحـوى مسـتقلة قـد تكـون ترميـزًا لجمـل اللُّغـة الطبيعيَّة ولكن باللُّغة العقليَّة، وترجع أحد أسباب دَعْم "بينكر" للغة العقليَّـة إلى

حقيقة قـدرتنا عـلى ترجمـة الجمـل مـن لغـة إلى أخـرى دون المسـاس بمعانيهـا الأصلية. وهو يرى أيضًا أن هذه القدرة تُثْبت أن لأفكارنا معـانى مسـتقلة عـن صياغاتنا لها باستخدام اللُّغة الطبيعيَّة.

وبعيدًا عن هذا، فإنه يمكـن النظـر إلى فحـوى الجملـة كوَصْـفَة **Recipe** تُبيِّن لنا كيفية إعادة تركيب الجملة الأصلية. لننظر مثلًا إلى كمِّ المعلومات الهائـل الذى يمكننا استدعاؤه، فإننا سنجد أنَّ للمخ سعة تخزين **Storage capacity** محددة، ولا نتوقَّع بالتالى أن يقوم بتسجيل كل هذه المعلومات كـما قُـدِّمَت، وقـد يَحْدُث عند استدعائنا للخبرات أو الجمل أن نقوم بإعادة تركيبها، وعمليَّة إعادة التركيب هذه يتم فيها تجميع أجزاء الخـبرات الأصـلية، وربطهـا ببعضـها وفقًـا لوصفة معيَّنة، بينما يقوم المـخ بإضـافة التفاصـيل المفقـودة؛ لـذا ـ عنـد قراءتـى أوسماعى لجملةٍ ما ـ أحتاج إلى تخزينها فى الذاكرة؛ لاستخدامها فى المستقبل، يتمُّ تفكيك هذه الجملة إلى مجموعة من الأجزاء، وتتكوَّن وصفة معيَّنة تُحدِّد الكيفيـة التى يجب أن تتمَّ بها إعادة تركيب الجملة. وهكـذا نجـد أن وجـود وصـفة (أو فحوى) لإعـادة تركيـب الجملـة، لا يـدحض الـرأى القائـل باسـتخدام اللُّغـة الطبيعيَّة فى التفكير، إنه فقـط يشـير إلى إمكانيَّـة أن يكـون لـذلك علاقـة بنظـام التخزين والاستدعاء، ولا يوحى بضرورة أن يتمَّ التفكير بمعالجـة الوصـفات. يجب إعادة تكوين الجمل لتلعب دورًا فى التفكير.

إنَّ هذه الفكرة تماثل فكرة ضـغط البيانـات **Compressing data**؛ مـن

أجل تخزينها على نحو فعَّال فى نظـام الحاسـوب ***Computer system***. عنـدما تكون البيانات فى حالتها المضغوطة لا يمكن معالجتها بـنفس الآليـات الملائمـة لمعالجـة البيانـات غـير المضـغوطة؛ لـذا يجـب فـكُّ هـذا الضـغط كـى يتسـنَّى استخدامها بواسطة البرامج ***Software*** الملائمة. قـد ننظـر إلى فحـوى الجملـة وفقًـا لـذلك عـلى أنهـا مـزيج مـن بيانـات مضـغوطة ونظـام (خـوارزمى) ***Algorithm*** يُحدِّد كيفية إعادة تركيب تلك البيانات، وما أن يُعَاد تركيبها، حتى تستطيع أن تلعب دورها فى التفكير.

٣. إذا كانت الأفكار تعتمد على الكلمات، فكيـف يمكـن توليـد كلـمات جديدة؟

لا أعتقد أن هذه المسألة تقتضى منَّا اعتقاد أن اللُّغة العقليَّة هى لغة الفكـر، ولا تقف عائقًا كذلك أمام النظرية القائلة باستخدام اللُّغة الطبيعيَّة فى التفكـير؛ فدائمًا ما يمكن التعبير عن معانى الكلمات الجديدة باستخدام الكلمات الموجودة المُتوفِّرة، وحتى أسماء المُختَرَعات الجديـدة (كالترانزسـتور ***Transistor*** مـثلًا) يمكن التعبير عنها باستخدام هـذه الكلـمات التـى يمكـن مـن خلالهـا وصـف الوظيفة التى يقوم بها المُختَرَع الجديد.

وعـادة مـا يـروج اسـتخدام الكلـمات الجديـدة بـين النـاس لأنهـا تُعـبِّر عـن (تُشـكِّل) المعـانى (أو الأفكـار) المُعقَّـدة بطريقـة أسـهل وأكثـر مبـاشرة. بمعنـى أن هـذه الكلـمات الجديـدة تجعـل التفكـير أكثـر كفـاءة وفاعليَّـة.

لننظر مثلًا إلى كلمة" ***Eftpos***". كانت هذه الكلمة فى الأصل اختصارًا ***Acronym*** يُرْمَز به إلى هذه العبارة " ***Electronic Funds Transfer at Point of Sale***" (وتعنى بالعربيَّة: تحويل المال إلكترونيًّا عند نقطة البيع). وعلى الرغم من أنَّ كثيرًا من الأشخاص لا يعرفون ما تَرْمُز إليه لفظة" ***Eftpos***" بالضبط، إلَّا أنه عند سؤالهم عمَّا يقصدونه عند استخدامهم لهذه الكلمة عادة ما يصفونها بكلمات مُماثِلة للكلمات الحقيقية التى تَرْمُز إليها الكلمة؛ كقولهم مثلًا: "إنها الأموال التى تُسْحَب من حسابهم المصرفىِّ عند قيامهم بعمليَّة شراء"؛ من هنا لا يمكننا القول أن الفكرة الجديدة التى تظهر تحتاج إلى كلمة لتعبِّر عنها، بل الأصح هو أن الكلمة الجديدة هى التى تظهر؛ كى تُعبِّر عن فكرة مُعقدَّة تكوَّنت فى الأصل باستخدام عدد من الكلمات الأخرى.

مثال آخر هو كلمة "***Scuba***". يَعْلَم أغلب المتحدثين بالإنجليزيَّة أن هذه الكلمة تتعلَّق برياضة الغوص، ولكن القليل منهم فقط هو الذى يعرف أصولها، وهى مختزل نحتى يُرْمَز به إلى: ***"Self-Contained Underwater Breathing Apparatus"*** (وتعنى بالعربيَّة: جهاز التنفُّس تحت الماء المكتفى ذاتيًّا). مثل هذه الاختصارات شاع استخدامها لأسبابٍ واضحة، أهمُّها:

- أنَّ نطقها أسهل وأسرع.
- أنَّها تُضفى على الكلام والفكر مزيدًا من الكفاءة والفاعلية.

٤. إشكالية الغموض ***Ambiguity***:

لا أجد إشكاليَّة الغموض اعتراضًا مُقْنِعًا على الرأى القائل باستخدام اللُّغة الطبيعيَّة فى التفكير، وقد زعم "بينكر" أن هناك جُمَلًا معيَّنة فى اللُّغة الطبيعيَّة يمكن أن يُقابلها فى اللُّغة العقليَّة العديد من الجمل المختلفة.

ولكن إذا كان هذا صحيحًا، فلِمَ يمكننا أن نفهم بسهولة المقصود بالضبط عند سماعنا لجملة غامضة كهذه: ***Jane is at the bank***؟

كيف استطاع عقلى أن يُحدِّد الجملة التى يُفْتَرَض أن تقابل هذه الجملة الغامضة فى اللُّغة العقليَّة؟ إن "بينكر" بهذا التصوُّر يَحْمِلنا على المجاهدة من أجل تثبيت معنى عديد من العبارات اليومية العادية.

صحيح أن هناك كلمات معيَّنة تحمل أكثر من معنى، وأنه يمكن استخدامها فى تركيب جمل تتسم بالغموض، غير أن الجملة لا يمكن أن تتسم بالغموض إلَّا إذا تم عزلها عن السياق ***Context*** الذى وردت فيه.

إن كلمة " ***bank*** " تحمل أكثر من معنى، ولكنها إذا اسْتخدِمَت فى جملة، وتمَّ سماع هذه الجملة كجُزء من سياق أكبر، فلا شك أن الغموض سيختفى. فإذا كنت مثلًا فى إحدى الحدائق العامَّة القريبة من النهر، وأشرت بإصبعى تجاه النهر وقلت: " ***Jane is at the bank*** (جين عند حافة النهر)، فإن جملتى لن تكون غامضة. وبالمثل، إذا كنت فى أحد شوارع المدينة مُنتظِرًا خارج أحد المصارف، وقلت: " ***Jane is at the bank*** (جين موجودة بالمصرف)، فلن

تكون جملتى أيضًا غامضة. من هنـا نجـد أن معنـى الجملـة يتَحـدَّد مـن خـلال السياق الذى وردت فيه؛ فلا يمكن النطق بالجملة أو فهمها إلَّا بربطها بالموقف الذى استُخدِمَت فيه.

ولنا أن نتساءل: هل يمكن للغة العقليَّة أن تُزيل الغموض عن جمل اللُّغـة الطبيعيَّة؟

بالطبع لا، فكما أنـه يُمْكِـن لجمـل اللُّغـة الطبيعيَّـة أن تتسـم بـالغموض؛ لاحتوائها كلمة غامضة ***Ambiguous word***، يُمْكن أيضًا لجمل اللُّغة العقليَّة أن تكون كذلك للسبب نفسه.

إن السبيل الوحيد لإنكـار هـذه الإمكانيـة هـو القـول أنـه لكـل مفهـوم ***Concept*** فى اللُّغة العقليَّة كلمة واحدة مُحدَّدة تُعبِّر عنه، ولكـل شـىء ***Object*** كذلك كلمة واحدة مُحدَّدة تُعبِّر عنه (بمعنى أن الكلمة المُستخدَمة فى التعبير عـن المفهوم أو الشىء لا يمكن أن تحمل أكثر من معنى)، ولكـن لا يمكـن التسـليم بصحة هذه الفكرة؛ لأننا لو سلَّمنا بها سنُسلِّم بأن العقـل الإنسـانى القـديم قـد احتوى مفاهيم كالسفر عبر الفضـاء، والحاسـوب، أو موجـات الراديـو.. قبـل اكتشاف هذه الأشياء أو اختراعها بزمنٍ طويل، وهذا ما لا يمكن تصـديقه عـلى الإطلاق.

٥. إشكالية عدم الوضوح المنطقى *Logical Inexplicitness*:

على الرغم من الغموض المنطقـى الـذى تتَّسـم بـه الأمثلـة التـى أوردهـا

"بينكر" لبعض جمل اللُّغة الطبيعة، إلَّا أننى لا أعتقد أنه يُمْكِن لـ "بينكر" استخدامها كدليل قوى لدعم الزعم القائل أن اللُّغة الطبيعيَّة ليست لغة الفكر. فاللُّغة العقليَّة ـ إن كان لها وجود ـ أيضًا يمكن أن تحوى جملًا غير واضحة منطقيًّا (كمثيلاتها من جمل اللُّغة الطبيعيَّة) للسبب نفسه.

يبدو أن "بينكر" أيضًا قد نَسِيَ أن يضع فى اعتباره ما لدينا من معتقدات ومعرفة مُسبقة بأنياب الأفيال وبأفريقيا. لو لم أكن أعرف ما هى الأنياب، أو أن أفريقيا قارَّة، لكان من الممكن أن أعتقد أن جميع الأفيال تشترك معًا فى أنياب واحدة، أو أنها تعيش فى أكثر من أفريقيا، وليس فى أفريقيا واحدة! ولكننى أعرف بالفعل ما تعنيه هذه الكلمات، ومعرفتى هذه يُمْكِن وصفها باللُّغة الطبيعيَّة؛ ونظرًا لهذه المعرفة المُسبقة، أستطيع بكل سهولة أن أعيد صياغة الجمل السابقة على هذا النحو:

Elephants live in the one and only country called Africa.

(تعيش الأفيال فى القارَّة المُسمَّاة أفريقيا)

Elephants each have their own set of tusks.

(لكل فيل من الأفيال أنيابه الخاصة به)

وبعد صياغتها على هذا النحو يزول عنها الغموض، وتصبح واضحة منطقيًّا، ولا يمكن الخلط بينها.

النقطة التى أودُّ التأكيد عليها هنا أنه يتم الربط ـ بطريقة ما ـ بين فكرة

"*elephants have tusks*" وبين مجموعة من المعتقـدات والمعلومـات المُسـبقة عنها، وجميعها يكون باللُّغة الطبيعيَّة. وعندما يفكر المرء فى هـذه الفكـرة تكـون واضحة منطقيًّا؛ وذلك لأنها تُثير فى ذهنه صورة عقليَّة ***Mental image*** لفيـل أو أكثر بأنياب. وعند تفحُّص ذهنه لهذه الصورة يقـوم بتمييـز الفيـل والأنيـاب باستخدام اللُّغة الطبيعيَّة؛ مما يُضْفى وضوحًا منطقيًّا عـلى الفكـرة؛ أى أن اللُّغـة هنا تدعم الفكرة، وتجعلها أكثر وضوحًا.

٦. ماذا عن أفكار أينشتاين؟

لا أعتقد أن هذا الدليل واضح ومُقنِع كما يَـزْعُـم "بينكـر"، فكيـف يمكـن لأفكار "أينشتاين" أن تدعم نظرية "بينكر"؟ يريد "بينكر" إقناعنا بأن التفكير يـتم باللُّغة العقليَّة، وليس باللُّغة الطبيعيَّة، وحالة "أينشتاين" لا تُثْبِت ذلك، فإن قوله باستخدام الصور البصرية فى التفكير يُشكِّل فى حدِّ ذاته تهديدًا لفكرة اسـتخدام أى بِنْيات لغويَّة من أى نوع ـ بما فيها اللُّغة العقليَّة ـ فى عمليَّة التفكير.

يمكننا التسليم بأن "أينشـتاين" كـان يُفكِّـر باسـتخدام الصـور البصريـة، ولكن ما لا يمكننا التسليم به هو افتقار أفكاره لجمل اللُّغة الطبيعيَّة. صحيح أنه استخدم الصور البصرية فى عملياته الفكريـة، إلَّا أنَّ هنـاك إمكانيـة لأن تكـون أفكارنا مزيجًا من الكلمات والصور، كما يرى "كـاروثرز"؛ لـذا أعتقـد أن أفكـار "أينشتاين" قد تضمَّنت مثل هذا المزيج، ويبدو أن عمليَّـة التفكـير عنـده كانـت تسير على غرار الآتى:

إذا كنت مُسافرًا بسرعة الضوء، فإن الأشياء التى أمامى ستبدو كـ {صورة}، وستبدو الأشياء التى خلفى كـ {صورة}.

يرى بعض العلماء المعرفيين أن لدينا تمثيلات تصويريَّة ***pictorial representations*** فى رؤوسنا يُمْكِن معالجتها وفحصها ذهنيًّا؛ حيث يعتقد "كرين" ***Crane***[٣٠] بمعقولية هذا الرأى، ويفترض أنه إذا سُئلَ أحد الأشخاص: هل للضفادع شفاه؟، فقد يُكوِّن صورة لضفدعة ويقوم بفحصها ذهنيًّا. يمكن أن يكون "أينشتاين" قد استخدم فى عمليَّة التفكير المعالجة الذهنيَّة والفحص الذهنى للصور التى تم التفكير فيها باستخدام الجمل والمعالجات اللغويَّة لهذه الجمل.

يجب أن تقترن الصور البصرية بالجمل حتى يكون لها معنى، فلا يمكن مثلًا تمثيل مُحتوى فكرة مُعقَّدة بصورة ـ أو حتى بسلسلة من الصور ـ دون الاستعانة بأية بِنْيَة تركيبية. إذا نظرنا إلى هذه الجملة البسيطة:

(قد تُمطِر غدًا) ***It might rain tomorrow***

سنجد أنه يستحيل التعبير عن هذه الفكرة بصورة بصرية فقط، فلا نستطيع من خلال الصور البصرية وحدها أن نُفكِّر فى الأفكار التى تتضمَّن مفاهيم زمنية مثل: الغد أو الأمس، أو مفاهيم مُجرَّدة كمفهوم السرعة، ولا يمكننا كذلك استخدام الصور البصرية لتركيب أفكار تتضمَّن مفاهيم مثل (ربما)، (كل أو جميع)، أو (بالضرورة). إننا نستطيع تكوين صورة بصرية

للأمطار، ولكن لن نجد فى الصورة ما يُمكننا من خلاله تمييز الزمان.

يشرح لنا" فيتجنشتاين (٣١) **Wittgenstein** هذا المثـال، ولكـن بصـورة أوضـح؛ حيـث أشـار بـأن يُجـرِّب المـرء التفكـير فى فكـرة **"It might rain tomorrow"**، ثم التفكير فى الفكرة نفسها مرة أخرى ولكن بدون أى كلمات، مع عدم المساس بالمعنى.

النتيجة: لا يمكن القيام بذلك؛ لأننا لو حاولنـا القيـام بـذلك باسـتخدام صورة بصرية، ستكون النتيجة مُجرَّد صورة لأمطار تسقط.

الجـدير بالـذكر هنـا إمكانيـة أن يكـون لـدى الصُّـم الـذين لم يكتسـبوا الاستخدام الحقيقى للغةِ الإشارة القـدرةُ عـلى تمثيـل المفـاهيم التـى تُعـبِّر عـن الزمن، مما يتعارض مع ما ذكرته عن ضرورة اللُّغة للتفكير فى المفاهيم الزمانيـة، وقد يُسـتخدَم هـذا دلـيلًا عـلى إمكانيـة وجـود أفكـار زمانيـة فى غيـاب اللُّغـة الطبيعيَّة، ولكننى أرى أنه لا ينبغى التعجُّل فى إصدار مثل هذا الاستنتاج.

يجب ألَّا ننسى حقيقة أن هؤلاء الأشـخاص يعـبِّرون عـن مُضِىّ الوقـت باستخدام إشارة جسدية (ويقومون بذلك بمَدّ الذراعين، ويتحدَّد الوقت المـراد التعبير عنه بالمسافة التى تكون بين الذراعين). قد لا تتطابق هذه الإشارة مع أى لغة من لغات الإشارة القياسـية المعروفـة، ولكنهـا إشـارة بـالرغم مـن ذلـك، وينبغى تصنيفها أداةً لغويَّة **linguistic tool**. وهكذا لا يمكن القول أن هؤلاء الأشخاص يفتقرون إلى اللُّغة وعلى الرغم مـن ذلـك يسـتطيعون تمثيـل مفهـوم

مُضِيّ الوقت؛ ذلك لأن هذا الافتقار إلى اللُّغة ليس افتقارًا كُليًّا تامًّا.

نَخْلُص من هذا إلى أنه لا بُدَّ من وجود الكلمات **words** أو الإشارات ***signs***؛ حتى يُمْكِن تحديد ما تُمَثّله الصورة البصرية تحديدًا دقيقًا.

٧. **حالة جون *Brother John*:**

يتبادر إلى الأذهان سؤال: هل تدحض حالة "جون" الزعم القائل باستخدام اللُّغة الطبيعيَّة فى التفكير؟ الإجابة هى لا.

يتَّضح من حالة "جون" أنه فَقد القدرة على إنتاج وفهم اللُّغة، ولكن لا يوجد ما يُشير إلى عدم استخدامه للغة الطبيعيَّة فى عملياته الفكرية. لقد بُنِيَ عقل "جون" خلال أيام حياته بواسطة استخدامه للغة الطبيعيَّة، ومن المُرَجَّح أنه أثناء حدوث هذه النوبات تستمر الأنظمة اللغويَّة لدى "جون" فى التأثير على البِنيات اللغويَّة ولكن لاشعوريًّا، مما ينتج عنه سلوكٌ يتسم بالذكاء. لقد استقينا الدليل على عجز "جون" اللغوى من مصدرين رئيسين:

- الملاحظات الخارجية لسلوكه.
- عمليات الاستحضار الاستبطانى ***introspective recollections*** لما كان يحدث له أثناء نوبات الأفازيا.

ومن الملاحظ أن:

- تُبيِّن الملاحظات الخارجية لسلوك "جون" أنه كان عاجزًا عن الكلام، وعن فهم كلام الآخرين.

- يُمْكننا من خلال هذه الملاحظات تقييم درجة العجز اللغوى العام الذى عانى منه "جون"، ولكننا لا نجد فيها شيئًا يُشير إلى ما كان يجرى فى عقل "جون" فى أثناء النوبات؛ ومن ثم لا يمكن استخدامها للبتِّ فى مسألة استخدام "جون" للغة فى التفكير من عدمه.

- قد تكون شهادة "جون" الاستبطانية أكثر جَزْمًا من الملاحظات الخارجية، إلَّا أنها لا تدحض الزعم القائل بإمكانية أن تكون اللُّغة الطبيعيَّة قد وجَّهت سلوك "جون" فى أثناء النوبات، إنه لم يعرف من خلال الاستبطان إلَّا ما كان يشعر به فى أثناء النوبات لا أكثر ولا أقل من ذلك.

- لا تثبت حقيقة عدم تمكُّنه من استخدام اللُّغة الطبيعيَّة وفهمها شعوريًّا أنه لم يكن يستخدمها لاشعوريًّا؛ لذا فعلى الرغم من إمكانية أن تكون نوبات الأفازيا قد أضعفت أو عطلت كل البنيات العقليَّة المتعلقة باللُّغة لدى "جون"، إلَّا أن الشهادة الاستبطانية التى أدلَى بها لا تُقدِّم الدليل القوى الذى يَدْعَم هذا الاستنتاج. من الممكن أيضًا أن يكون النظام المسئول عن إنتاج اللُّغة وفهمها لدى "جون" قد توقَّف عن العمل بينما ظل باقى النظام سليمًا كما هو، ومن ثم أثَّر على سلوكه.

- يمكن استخدام النموذج الذى اقترحه "تشومسكى" ***Chomsky*** (1995) للقدرة اللغويَّة لتدعيم هذه النقطة، حيث يرى أن النظام اللغوى ***language system*** يتألَّف من ثلاثة أنظمة فرعية مستقلة بذاتها: يوجد نظامان

للأداء ***performance systems***: الأول مسئول عن إنتاج المُخْرجات (إنتاج اللُّغة) ***output production***، والثانى مسئول عن استقبال المُدْخلات (فهم اللُّغة) ***input reception***؛ ويوجد نظام معرفيّ ***cognitive system***، وهو كقاعدة بيانات لغويَّة ***linguistic database*** ينفذ إليها كل من نظامى المُدْخَلات والمُخْرجات، ويُمْكن تفسير سلوك "جون" فى هذا الإطار.

فوفقًا لنموذج "تشومسكى" يمكننا القول أنه قد حَدَث خلل فى وحدتى ــ نظامى ـ المدخلات والمخرجات اللغويَّة لدى "جون"، بينما ظَلت قاعدة البيانات اللغويَّة ـ الجزء المسئول عن التفكير فى دماغه ـ لديه كما هى لم تتوقَّف، مما نتج عنه سلوكه الذى اتسم بالذكاء وقدرته على التفكير والاستدلال.

- لقد تم استخدام حالات الأفازيا لإثبات إمكانية التفكير بدون اللُّغة الطبيعيَّة، ولكننى أراها غير مُقنعة. فنموذج "تشومسكى" يُقدِّم لنا تفسيرًا بديلًا لا يُقلِّل من أهمية اللُّغة فى عمليَّة التفكير. أمّا صِحَّة هذا النموذج أو خطؤه فهى مسألة قد يتم اكتشافها يومًا ما مع تقدُّم عِلم الدماغ، ولكنه يثبت فى الوقت الحالى أن حالات الإصابة بالأفازيا (الحُبْسَة) ليست بالدليل القوى الذى يدعم استقلالية الفكر عن اللُّغة الطبيعيَّة.

مُجْمَل القَوْل:

بعد هذا العرض الوافى لرأى الفريقين بشأن وجود لغة فطريَّة خاصة للفكر غير اللُّغة المُكتسَبة التى نتحدثها، نَخْرُج بأن الأدلة على وجود هذه اللُّغة

غير حاسمة، وكذلك الأدلة على نفيها غير حاسمة. والذى يَظْهَر لنا بعد هذه الجولة أن هذه اللُّغة الفطريَّة للفكر لعلَّها هى المقدرة اللغويَّة الموجودة فى المخ البشرى، لكن المقدرة اللغويَّة شىء والمظهر اللغوى المُتمثل فى الكلام شىء آخَر. فالمقدرة اللغويَّة عند جميع البشر هى ذلك الاستعداد الفطرى لاكتساب المظهر اللغوى، وهو الكلام، سواء كان عربيًّا أو إنجليزيًّا أو فرنسيًّا أو ألمانيًّا....إلخ. فالتفكير الداخلى (التفكير الصامت) يتم من خلال هذه المقدرة اللغويَّة الكلامية، فإنها تساعد على إبراز التفكير كآلية أكثر تحديدًا ووضوحًا وفهمًا من القدرة اللغويَّة الكامنة فى الذهن.

لقد تبنى نظرية اكتساب اللغة عند الطفل عديد من العلماء، وتناولوها فى جوانبها المختلفة، إلا أن العالم "نعوم تشومسكى" ***Noam Chomsky*** قد أحدث ثورة فى نظريات تعلُّم اللغة؛ فقد جاء بعديد من المفاهيم الجديدة عن طبيعة اللغة، ومنهج دراستها، وطريقة اكتساب الطفل لها؛ إذ يفترض أن مبادئ اللغة هى فطرية كامنة لدى الإنسان وليست مُتعلَّمة، وتشكل اللغة فى نظره تنظيمًا يربط بين الأصوات والمعانى وتتألف من ثلاث مُكوِّنات رئيسة هى:

- **المُكوِّن التركيبى**: الذى يصف البِنْيَة العميقة للجُمَل وتعدد عناصرها، وهو الأساس الذهنى المُجرَّد لمعنى معين والذى يوجد فى الذهن، ويرتبط بتركيب جُمْلى أصولى، ويكون هذا التركيب رمزًا لذلك المعنى وتجسيدًا له وهو النواة لفهم الجملة، وهو بشكل عام القواعد التى يُبنى عليها هيكل الجملة

النهائى.

- **المُكوِّن الدلالى**: وهو تفسير معانى هذه البِنَى، فلكل كلمة معنى يختلف باختلاف تواجده فى مسير الجملة.
- **المُكوِّن الفونولوجى**: ويُقصَد به المُكوِّن الخاص بالتفسير الصوتى لحروف الكلمة.

إن الطفل يكتسب اللغة الأم عن وعى وإدراك، حتى فى سنه المبكرة جدًّا، وأنه عندما يستوعب القواعد المختلفة التى تعتمد عليها اللغة، تتكوَّن عنده القدرة على الخلق؛ أى القدرة على تركيب الجمل المختلفة التى يريدها فى الوقت والظرف المناسبين، دون أن يكون بالضرورة قد سمع تلك الجمل أو حفظها(٣٢).

بمعنى أن الإنسان يتمتع ببنى أو نظم معرفية أساسية فطرية ***core knowledge systems***، وهى مِنْحَة ربَّانية بيولوجية يشترك فيها كل من الانسان والحيوان.

أمّا ما يُميِّز الانسان عن الحيوان فهى تلك القدرة التركيبية ***combinatorial ability*** الفريدة التى تساعده على الربط بين ما لديه من مفاهيم معرفية مُسبقة وبين الأحداث أو المعلومات الجديدة المُسْتَقْبَلة لتكوين منظومة أخرى من المفاهيم المعرفية الأكثر تعقيدًا؛ بمعنى توسيع عملية الإدراك الكلى للمعنى ودمجه فى المخزون المعرفى السابق ومن ثَمَّ إيجاد الروابط بين

المعرفتين واستعمالها فى مواقف جديدة عند الحاجة. وللغة الطبيعية ***natural language*** الفضل الأول فى تميُّز الانسان بمثل هذه القدرة؛ فهى الوَسَط ***medium*** الذى يَضْمَن نجاح عملية الربط أو الدمج هذه.

وتطرح "إليزابيث سبيلك" ***Elizabeth Spelke*** تساؤلًا مهمًّا فى هذا الصدد: هل يُشير ذلك إلى أن تعلم اللغة الطبيعية يُوَسِّع المفاهيم الانسانية؟

تَرُدّ "سبيلك" على هذا التساؤل مُتَّفقة مع أصحاب النظرية الفطرية ***Nativism*** (وهى النظرية التى تتشدَّد فى أهمية الوراثة، مُعاكسة للبيئة، فى نمو العمليات العقلية والسلوكية) فتقول:

" يتعلم الطفل اللغة الطبيعية من الأشخاص المُحيطين به فى بيئته الحيَّة، ويُكوِّن مفاهيمه عن الأشياء والأحداث وفقًا لما يسمعه من هؤلاء الأشخاص عن هذه الأشياء والأحداث. ولكن لضمان نجاح عملية التعلم هذه يجب أن يتمتع الطفل بالقدرة على تصوُّر الأشياء والأحداث من حوله بطريقة صحيحة، فلن يتعلم الطفل مثلا معنى كلمة "***cow***" إلا إذا استطاع أن يربط فى ذهنه بين نطق هذه الكلمة وبين وجود هذا النوع من الحيوانات فى العالم التجريبى. بمعنى أن الطفل لن يستطيع تمثيل المفهوم إلا إذا كان لديه مفهوم مُسْبَق عن البقرة ولديه القدرة على التمييز بين هذا النوع من الحيوانات وبين غيره من الأنواع الأخرى.

من هنا نَخْلُص إلى أن اللغة هى الأداة ***instrument*** التى تمنحنا القدرة

على التعبير عن المفاهيم وليس توسيع هذه المفاهيم؛ أى أننا لا نتعلم المفاهيم الجديدة بتعلمنا للغة الطبيعية.

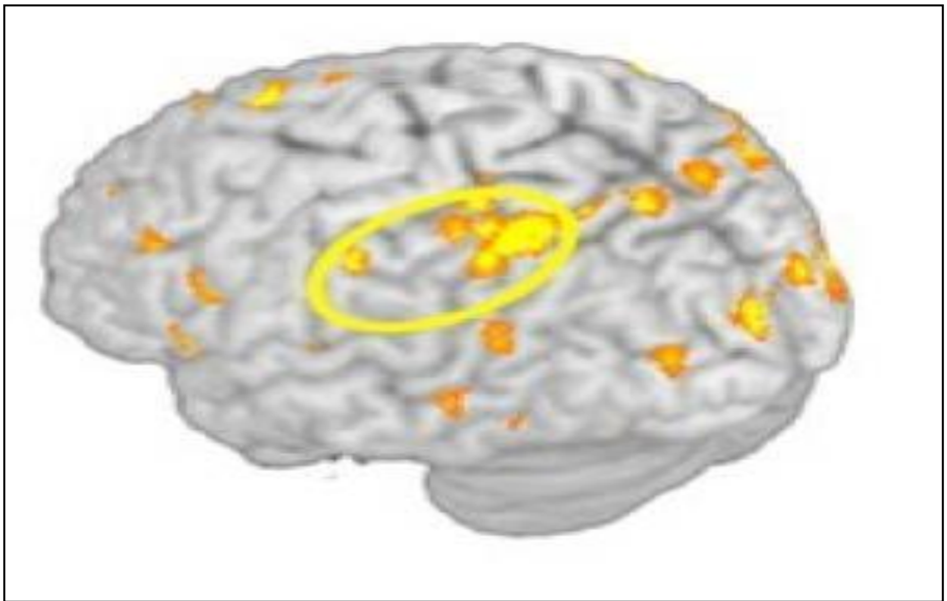
إن الطفل يتعلم الكثير من كلمات لغته بالربط الذهنى بين تلك الكلمات وبين ما لديه من مفاهيم مُسبَقة، تلك المفاهيم التى باتت واضحة بفضل ما لديه من نظم معرفية مُسبَقة.

إن ما يقوم به الطفل هو الربط بين معانى الكلمات وتحويلها إلى تعبيرات مُعقَّدة مما يمنحه القدرة على الربط بين ما لديه من مفاهيم مسبقة وتحويلها إلى مفاهيم جديدة؛ أى بناء نظم معرفية جديدة أكثر تعقيدًا(٣٣).

وجاءت الأبحاث العلمية الحديثة لتُثْبِت وجود قاسم أو سِمَة فطرية مُشترَكة ***commonality*** بين الأمخاخ البشرية المختلفة فى طريقة تمثيلها للأشياء نفسها؛ حيث توصَّل فريق من علماء الحاسوب وعلماء الأعصاب المعرفيين بجامعة ***Carnegie Mellon***، عن طريق الدمج بين طريقتى تعلم الآلة ***machine learning*** وتصوير المخ ***brain imaging*** بالرنين المغناطيسى إلى طريقة (تقنية) جديدة يمكن من خلالها تحديد أماكن نشوء الأفكار والمُدْرَكات الحِسِّية عن الأشياء فى المخ، وذلك بتحديد الأنماط الاستفعالية العصبية ***neural activation patterns*** التى تَحْدُث (تظهر) فى المخ عند رؤية هذه الأشياء.

لقد استغرق تطوير هذا المشروع ما يزيد على العامين بقيادة كل من عالم

الأعصاب البروفيسور "مارسيل جاست" ***Marcel Just*** وعالم الحاسوب البروفيسور " توم ميتشل" ***Tom M. Mitchell***.



Locations of the discriminating voxels in object exemplar classification for one participant. (Credit: Image courtesy of Carnegie Mellon University) (٣٤)

شارَك فى هذه التجربة اثنا عشر شخصًا تم وضعهم تحت جهاز التصوير بالرنين المغناطيسى ***MRI Scanner*** وعُرِضَ عليهم عشر صور لعشرة أشياء مختلفة: خمس أدوات وخمس بنايات. وعند عرض الصور عليهم طُلِبَ منهم التفكير فى خصائص الأشياء التى تُعبِّر عنها هذه الصور. لم يتم التركيز فى هذه التجربة على ما يطرأ على القشرة الدماغية البصرية ***brain's visual cortex*** فى

أثناء عملية العرض، وإنما كان التركيز كله على الأجزاء المسئولة عـن التفكـير فى المخ.

وبهذه الطريقة اسـتطاع كـل مـن "جاسـت" ***Just*** و"ميتشـل" ***Mitchell*** التوصُّـل إلى نتيجـة هامَّـة، وهـى أن الأنـماط الاسـتفعالية المُسـتدعاة اسـتجابَة للمثيرات (الصور) كانـت هـى نفسـها عنـد كـل المبحـوثين، وكـذلك أمـاكن ظهورها.

فعلى سبيل المثال استفعل (أثار) التفكير فى المِطْرَقَة (وهى إحدى الأدوات المعروضة) عدة أجزاء فى المـخ؛ فحركـة الضربـب بالمطرقـة اسـتفعلت السـاحة الحركية ***motor area*** فى المخ (وهى قسم من القشرـة الدماغيـة مسـؤول عـن الحركات العضلية البسيطة) أمّا شكل المطرقة والغرض الذى تُستخدَم من أجله فقد استفعل مناطق أخرى.

لقد صرَّح كل من "جاست" ***Just*** و"ميتشل" ***Mitchell*** بأن هذه الدراسة هى الأولى من نوعها؛ حيث إنهما استطاعا من خلالها البرهنة على إمكانية تحديـد (التعرُّف على) العملية الفكرية ***thought process*** المرتبطة بشىء (مثير) واحد مُحدَّد. فالدراسات السابقة لم تتوصَّل إلا إلى إمكانية التمييز بين أصناف الأشـياء جملَة ـ وليس بين شئ محـدد وآخـر ـ كـالأدوات فى مقابـل البنايـات، أمّـا هـذه الدراسة فقد كشفت عن إمكانية التمييز بين شـيئين ينتميـان إلى الصـنف نفسـه (بين أداة وأداة أخرى).

جـدير بالـذكر التنويـه بالـدور الكبـير الـذى لعبتـه طريقـة تعلـم الآلـة ***machine learning*** فى التوصُّل إلى هذه النتيجة؛ حيث تم توجيـه (تـدريب) النظـام الخـوارزمى ***algorithm*** للحاسـوب بطريقـة معينـة؛ نحـو اسـتخراج (استخلاص) الأنماط الاستفعالية من مـخ أحـد المبحـوثين باسـتخدام بيانـات ***data*** تم تجميعها من أحد أجزاء هذه الدراسة، ثم اختبار (تجريب) هذه الصيغة الحسابية باستخدام بيانات أخرى متعلقة بجزء آخر مختلف من الدراسة نفسـها. لقد أثبتت هذه الصيغة الحسابية قدرتها الفعليـة عـلى تحديـد الأفكـار (الأنـماط الاستفعالية المُمَثِّلة للأشياء التى تعبِّر عنها الصور المعروضة) التى تـدور بـذهن أحـد المبحـوثين عـلى أسـاس الأنـماط الاسـتفعالية التـى تـم اسـتخراجها مـن المبحوثين الآخرين.

إن هذه الدراسة تثير تساؤلًا مهمًّا: هل الأنـماط الاسـتفعالية المُمَثِّلـة لهـذه الأشياء (التى تعبر عنها الصور) واحدة عند كل الناس أم أنها تختلـف مـن مـخ بشرى إلى آخر؟

يقول "ميتشل" ***Mitchell*** فى هذا الصدد: "يُثْبِت هذا الجزء من الدراسة ـ كما لم يَحْدُث من قبل ـ أن هنـاك قاسـمًا أو سِـمَة مُشْـتَرَكة ***commonality*** بـين الأمخاخ البشرية المختلفة فى طريقة تمثيلها للأشياء نفسها ".

وتضيف "سفيتلانا شينكاريفا" ***Svetlana Shinkareva*** ـ أستاذ مساعد علم النفس بجامعة كارولينا الجنوبية وكاتبة مُقدِّمة الدراسة ـ قائلة:

" إن استخدام الصيغ الخوارزمية الحاسوبية لتحديد أماكن نشـوء الأفكـار البشرية عن الأشياء عن طريق النشاط الدماغى ***brain activity*** يُمثِّل الخطـوة الأولى نحو مزيد من الاكتشافات العلمية الجديدة، ونأمل أن نتوصَّل يومًا ما إلى إمكانية تحديد الأفكار المرتبطة ليست بالصور ***pictures*** فحسب، وإنما المرتبطـة بالكلمات ***words*** كذلك، ومن بَعْدِها الجُمَل ***sentences*** "(٣٥) (٣٦).

❁ ❁ ❁

مصادر ومراجع الفصل الثانى

(١) *Fodor, Jerry (1975). The Language of Thought. Thomas Y.Company, 1975, P. 70 Crowell*

(٢) *Pinker, Steven (1994). The Language Instinct. Penguin Books, 1994, P. 79.*

(٣) انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبى القاسم الأنبارى، تحقيق وتعليق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م، ص٣٧٢.

(٤) انظر: لسان العرب، مادتى: ب ص ر، س ل م.

(٥) *Pinker (1994), Op.Cit., P. 71.*

(٦) *Pinker, Op. Cit., PP. 46-48, 67.*

(٧) *Donald, Merlin (1991). Origins of the Modern Mind.Harvard University Press, 1991, PP. 82-86.*

(٨) *Lecours, Andre.R., and Yves, Joanette (1980). "Linguistic and Other Aspects of Paroxysmal Aphasia" in Brain and Language. 10, 1980, PP. 1-23.*

(٩) *Wittgenstein, Ludwig (1958). The Blue and Brown Books. Oxford: Blackwell, 2nd edition, 1960.*

(١٠) *Carruthers, Peter (1996). Language, Thought and Consciousness. Cambridge University Press, 1996, P. 2.*

(١١) *Carruthers (1996), Op. Cit., P. 36.*

(١٢) *Piaget, Jean (1932). The Language and Thought of the Child. New York: Harcourt Brace. 1932. P. 9.*

(١٣) *Malson, Lucien (1964). Wolf Children. Translated by Edmund Fawcett, Peter Ayrton and Joan White. London: NLB, 1972. PP. 81 – 82.*

(١٤) *Carruthers (1996), Op. Cit., P. 42.*

(١٥) *Curtiss, Susan (1977). Genie: A Psycholinguistic Study of a Modern-day "Wild Child". New York: Academic Press. P. 204.*

(١٦) *Keller, Helen (1909). The World I Live In. London:Hodder and Stoughton. P. 141.*

(١٧) *Keller (1909), Op. Cit., P. 143.*

(١٨) *Keller (1909), Op. Cit., P. 145.*

(١٩) *Fodor (1975), Op. Cit., PP. 56 – 58.*

(٢٠) *Garfield, Jay (1997). "Mentalese Not Spoken Here" inPhilosophical Psychology. 10: 4. 1997. P. 429.*

(٢١) *Piaget, Jean. (1953). The Origins of Intelligence in the Child. Translated by Margaret Cook. London: Routledge &Kegan Paul, 1953. P. 211; Piaget, Jean. (1983). "Piaget's Theory" in Handbook of Child Psychology. Edited by Paul H. Mussen. Volume editor: William Kessen. P. 104.*

(٢٢) *Garfield (1997), Op. Cit., P. 429; Clark, Andy. (1993). Associative Engines. Cambridge, MA: MIT Press, 1993;Dennett, Daniel C. (1991b). "Mother Nature Versus The Walking Encyclopedia" in Philosophy and Connectionist Theory. Edited by Ramsey, W., Stitch, S., and Rumelhart, D. Laurence Erlbaum Associates, Inc., Publishers, 1991.*

(٢٣) *Dennett, Daniel C. (1996). Kinds of Minds. Weidenfeld & Nicolson, 1996. P. 51.*

(٢٤) *Crane, Tim (1995). The Mechanical Mind. Penguin Books. 1995. P. 149.*

(٢٥) *Sterelny, Kim (1990). The Representational Theory of Mind. Cambridge, Mass. Basil Blackwell, Inc, 1991. P. 32.*

(٢٦) *Fodor, Jerry (1987). Psychosemantics: The Problem of Meaning in the Philosophy of Mind. Bradford/MIT, 1987. P. 18.*

(٢٧) *Fodor (1987), OP. Cit., P. 19.*

(٢٨) *Carruthers (1996), Op. Cit., P. 57.*

(٢٩) *Freud, Sigmund (1940). "Some Elementary Lessons" in The Complete Psychological Works of Sigmund Freud, Volume xxIII (1937 – 1939). PP. 281 – 286.*

(٣٠) *Crane (1995). Op. Cit., P. 148.*

(٣١) *Wittgenstein, Ludwig (1953). Philosophical Investigations. Edited by G.E.M. Anscombe and R. Rhees.Trans. G.E.M. Anscombe. Oxford: Blackwell. Section 332.*

(٣٢) لبنى الجادرى، لغتنا قارئة فنجان لأفكارنا، الحوار المتمدن، العدد: ١٨٦٧، ٢٠٠٧/٣/٢٧، **http://www.ahewar.org/debat/show.ar**

(٣٣) *Spelke, Elizabeth S. (2003). "What Makes Us Smart? Core Knowledge and Natural Language" in Language in Mind: Advances in the Study of Language and Thought. (2003). Edit. By Dedre Gentner and Susan Goldin-Meadow. MIT Press. Cambridge, Massachusetts: London, England. PP. 305 – 307.*

(٣٤) صورة معتمدة من جامعة كارنيجى ميلون - أمريكا، وهى صورة ثلاثية الأبعاد لمخ أحد المبحوثين فى أثناء عملية العرض.

http://www.sciencedaily.com/releases/2008/01/080102222813.htm.

(٣٥) *Carnegie Mellon University (2008 January). Brain Imaging Shows If You Are Thinking Of Familiar Object. ScienceDaily. Retrieved.*

(٣٦) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Judge, Brenda (1985). Thinking about things: a philosophical study of representation. Edinburgh: Scottish Academic Press, c1985.*
- *Lakoff, George (1987). Women, fire, and dangerous things: what categories reveal about the mind. Chicago: University of Chicago Press, 1987.*
- *Astington, J., and Jenkins, J. (1999). A Longitudinal Study of the Relation Between Language and Theory-of- Mind Development. Developmental Psychology, 35, 1311 – 1320.*

- ***Bickerton, D. (1995). Language and Human Behavior. Seattle: University of Washington Press.***
- ***Bruner, J. (1986). Actual Minds, Possible Worlds. Cambridge, MA: Harvard University Press.***
- ***Jackendoff, R. (1996). How Language Helps Us Think. Pragmatics and Cognition, 4, 1 – 34.***
- ***De Villiers, Jill G., and De Villiers, Peter A. Language For Thought: Coming to Understand False Beliefs. In "Language in Mind: Advances in the Study of Language and Thought". (2003), Edit. By Dedre Gentner and Susan Goldin – Meadow. MIT Press.***

الـفـصـل الثـالـث

العلاقة بين اللُّغة والفكر

تساؤلات مطروحة:

- **ما العلاقة بين اللُّغة والفكر؟**
  - ما ضرورة كل من اللُّغة للفكر والفكر للغة؟
  - هل يمكن أن تكون بِنْيَة اللُّغة هى المُوَجِّهة لعمليَّة التفكير؟
  - هل اللُّغة هى الأداة الوحيدة للتعبير عن الفكر؟
- **ما طبيعة العلاقة بين اللُّغة والفكر؟**
  - هل هى علاقة اتصال أم انفصال؟
  - لأى منهما الأسبقيَّة فى الوجود: للغة أم للفكر؟
  - هل يمكن التفكير دون لغة؟
- **ما العلاقة بين الفكر، وبين الكلام أو الكلمات التى تعبير عنه؟**
  - هل يؤدى غموض الفكر إلى غموض اللُّغة التى التعبير عنه؟
  - هل ثمة علاقة بين ثراء اللُّغة وعمق التفكير؟
- **هل حدود الفكر هى حدود اللُّغة؟ وأنه حيث تتوقف هذه يتوقف ذاك؟**
  - متى تعجز الكلمات عن التعبير عن المشاعر والأفكار؟

أولا : ما العلاقة بين اللُّغة والفكر؟

" الإنسان كائن يتمتع بالعقل الذى يمنحه القدرة على التفكير فى كل الأحداث والموجودات التى حوله ماضيها وحاضرها، وتوقع المستقبل، ويأتى دور اللُّغة للتعبير عن فكر الإنسان فى هذه الأحداث ".

ما ضرورة كل من اللُّغة للفكر والفكر للغة؟

اللُّغة والتفكير يرتبطان معًا برباط وثيق فى نشاط عقلى بحيث لا يَنْفَصِل أحدهما عن الآخَر، ودون اللُّغة لا يستطيع العقل أن يَصِل إلى المراتب العُليا من الأفكار النظرية، والمعانى الكُلّيَّة التى هى من أخَصِّ وظائف العقل(١).

وللغة دور مهم فى عمليَّة التفكير. فالمعانى أو المفاهيم التى يكتسبها الانسان لا بُدَّ أن يُرْمَز إليها برموز تُمَكِّنه من استخدامها فى التفكير، والتعبير عنها. والرموز هى الكلمات أو الأعداد أو العلامات، التى تصبح بدورها قوالب تُصَبُّ فيها المعانى؛ حتى يمكن الاحتفاظ بها، ثم الإفادة منها. فالمعانى تظل حائرة فى الذهن حتى تستقر فى رموز ملائمة، فتثبت، وتتبلور، ويَسْهُل تذكُّرها واستخدامها فى التفكير. فدون اللُّغة يستحيل علينا الاحتفاظ بالمعانى، أو توصيلها إلى الآخرين(٢).

واللُّغة كذلك تُعَدُّ شرطًا لكل علاقة يُقيمها الانسان مع ذاته ومع الآخَر

والعالَم من حوله، وكل هذا لا يكون ممكنًا دون توسُّط مَلَكَة الفكر؛ لذلك تعنى اللُّغة: " رغبة فكر شخص ما فى قول شىء ما لشخص آخر"، وذلك بترتيب الألفاظ وتأليف الكلمات؛ للتعبير عن الخواطر التى تضطرم فى النفس، والإفصاح عن الأفكار التى تتدافع فى العقل(٣).

وإذا كانت اللُّغة تُعين الإنسان على تجسيد فكره أو بلورته وصوغه وتداوله، فالفكر بدوره يُعين اللُّغة على الدِّقَّة ويُثريها بالمصطلحات.

ومن الجدير بالذكر أنَّ كلمة ***"Logos"*** اليونانيَّة تعنى: الخطاب أو الكلام أو اللُّغة، كما تعنى العقل والفكر أو المنطق(٤)، وفى هذا الصَّدد يقول "هيجل":

"إذا كان العمل هو الوسيط بين الإنسان والطبيعة، حيث يتمُّ تحويل المادّة الخام بواسطة العمل الذى عن طريقه يُمَوْضِع الإنسان طبيعته وجوهره فيما يصنعه وما ينتجه، فإنَّ اللُّغة هى الأخرى وسيط بين الفكر والوجود، فالفكر يسعى دائمًا إلى عقلنة الوجود وفهمه، واللُّغة هى المرآة التى تعكس لنا الصورة التى يشكّلها الفكر عن الوجود، فاللُّغة دالّة الفكر".

وتتجلّى فعاليّة اللُّغة وحيويتها فى أنّها أداة لتنظيم موضوعات العالم وتصنيفها؛ مثل تصنيف الكائنات إلى نبات وحيوان وإنسان، وتصنيف الأنواع والأجناس، يقول "دى لا كروا" ***Delacroix:***

"إنَّ كلَّ تربية وكلَّ تطوير للقدرة على التجريد والحكم ليس سوى تهذيب

للُّغة، إنَّ الفكر يصنع اللُّغة بصناعة نفسه باللُّغة"[٥] [٦].

هل يمكن أن تكون بِنْيَة اللُّغة هى المُوَجِّهة لعمليَّة التفكير؟

تلعب اللُّغة دورًا كبيرًا فى عمليَّة التفكير؛ فقد تُسهِّل اللغة عملية التفكير، وقد تجعلها أكثر تعقيدًا، أو أكثر كفاءة ودقة، وقد تعيق هذه اللُّغة عمليَّة التفكير فى بعض الحالات وتوجهها توجيهًا خاطئًا، وأخيرًا قد تكون بِنْيَة اللُّغة هى المُوَجِّهة لعمليَّة التفكير[٧].

ولا تتألَّف اللُّغة من الكلمات وحدَها، وإنما تتألَّف كذلك من أشكال لغويَّة أخرى أصغر من الكلمات وأكبر منها، كما تتألف أيضًا من تراكيب. يَرْمز كل شكل لغوى وكل تركيب إلى مفهوم معين (ويُعرَّف المفهوم بأنه تمثيل داخلى لصنفٍ موجود من الخبرات والمفهوم يشكل أساس الاستجابة اللغويَّة)، ولعل ذلك يقودنا إلى البحث فى أنواع المفاهيم المُمثَّلة فى اللُّغة.

يتعلَّم المرء عديدًا من مفاهيم اللُّغة دون أن يكون على دراية بها. يَنْطَبِق هذا على معظم المفاهيم النحوية، وعلى الرغم من أن هذه المفاهيم تشير إلى أصنافٍ معيَّنة من الخبرة، إلَّا أن كثيرًا من الناس يظلون على غير دراية بهذه الأصناف. فإذا عُرِضَ عليهم جملتان يُوجَد تشابه جزئى بين بِنْيَتيهما تجدهم يواجهون صعوبة كبيرة فى تحديد الأجزاء المتماثلة؛ كما فى المثال الآتى:

He showed him the way to get there.

(أراه طريق الذهاب إلى هناك).

He wanted to buy his mother a present.

(أراد أن يشترى لوالدته هديَّة).

تَكْمُن الصعوبة فى المثال السابق فى تحديد الكلمة فى الجملة الثانية التى تُماثِل وظيفتها النحوية وظيفة ***"him"*** فى الجملة الأولى.

هناك بعض التراكيب التى تَحْمِل مفاهيم يبدو اكتسابها على المستوى الشعورى صعبًا فى أغلب الأحيان؛ نحو المفهوم الذى تحمله هذه الجملة:

The faster I ran the better I felt.

(كلما جريت أسرع شعرت بأننى أفضل).

ألا وهو مفهوم الترابط ***Correlation*** الذى أحيانًا ما يَصْعُب على طلاب الإحصاء المبتدئين فهمه، ولن تتسنَّى مساعدة هؤلاء الطلاب على فهم المفهوم إلَّا بالإشارة إلى هذا التركيب اللغوى ومعناه.

من هنا تصبح بِنْيَة اللُّغة ذات عَوْنٍ حقيقى لعمليَّة التفكير؛ فبمساعدة التراكيب النحوية يستطيع المرء تعلُّم المفاهيم الأكثر تعقيدًا، وتذكُّرها واستخدامها، مثل:

(قُبَّعة الولد) ***The boy's hat***

(الثدييات الآكلة العشب) ***Herbivorous mammals***

(قِمَّة صخرة جبل طارق) ***The top of the rock of Gibraltar***

(زيادة الدخل عن المصروف) ***Excess of income over outgo***

(أثارت المشكلات الأخلاقية علماء النفس)

Psychologists aroused over ethical problems

يُطْلَق على التفكير الـذى تُعيِّنـه اللُّغـة: الاسـتدلال، أو التفكـير المنطقـى **"Reasoning"**، وتعتمد القدرة على الاستدلال إلى حَدٍّ كبير عـلى القـدرة عـلى الصياغة اللفظية لخطوات معيَّنة فى العمليَّة الاستدلالية. والسؤال المطروح هنا:

إلى أى مدًى يجب أن تكون هذه الصياغة تامَّة و"نحوية"؟

تَصْعُب الإجابة عن هذا السؤال؛ ذلك لأن عمليَّـة الاسـتدلال عـادةً مـا تَحْدُث داخليًّا. وقد أُجْرِيَت عديد من المحاولات والتجـارب لملاحظـة ورَصْـد هـذه العمليـات الداخليَّـة باسـتخدام طريقـة "التفكـير المنطـوق" **Spoken thinking**، والتى يُطْلَب من المبحوث فيها التفكير بـ"صوت عال"؛ أى التعبير عمَّا يفكر فيه بالكلام، مع ملاحظة أنه لا توجد ضمانة واحـدة عـلى أن المبحـوث يستطيع التعبير عن عمليات تفكيره تعبيرًا لفظيًّا كاملًا، حتى وإن قام بذلك عن قصد، فضلًا عن إمكانية أن تؤثر عمليَّة الإنتاج اللفظى الجهرى على سَيْر عمليَّـة الاستدلال؛ فقد كشفت إحدى الدراسات عن أن الربط بـين التفكـير والكتابـة على نحو سريع يؤخر النمو الكامل للتفكـير، ويَنْطَبِـق هـذا الشـىء نفسـه عـلى "التفكير المنطوق".

فى الواقع، لم تكن معظم التقارير اللفظيـة التـى تـم الحصـول عليهـا مـن المبحوث باستخدام هذه الطريقة إلَّا تقارير عن أشياء حدثت بالفعل، كما لم يَبْـدُ

الكلام الذى ينطق به المبحوث فى أثناء حَلِّ المشكلة مُطابقًا لعمليات الاستدلال التى يقوم بها، ولكنه كان على الأحرى كلامًا غير دقيـق ومُـبْهَمًا لا يطـابق تلـك العمليات.

من هنا، كان من الصـعب إثبـات الفرضـيَّة التـى تقـول أن القـدرة عـلى التفكير (أى القيام بالعمليـات المنطقيـة وحـل المشـكلات) تعتمـد عـلى القيـام بخطوات استدلالية مصوغة لفظيًّا، ومع ذلك لا يمكـن التعبـير عـن مضـمون عمليات الاستدلال فى كثير من الأحيان إلَّا بالطريقة اللفظية، على الرغم من أن النتيجة النهائية لعمليَّة الاستدلال قد تكون فى صورة فِعْـل كاتِّخـاذ قـرار بشرـاء سيارة مثلًا.

دور اللُّغة فى النمو المعرفى (الإدراكى) :

تستطيع الحيوانات أداء عديد من المهام التى يبدو أنها تتطلَّـب "التفكـير"؛ فعلى سبيل المثال: يمكن تدريب قِرْد راشد على حَـلِّ "مشـكلة التغيـير المـزدوج" ***Double-Alternation Problem***؛ أى أن يـتعلم فى سلسـلة متعاقبـة مـن المحاولات البحث عن الطعام إمَّا أسفل أحد الصناديق فى جهة اليمـين (ى) أو أسفل آخَر فى جهة الشمال (ش)، ويكون التعاقب ***Sequence*** الـذى دائـمًا مـا يَحْصُل من خلاله على الطعام هو: ى ى ش ش ى ى ش ش. يبدو أن ما يقوم به القرد هنا هو نوع من أنواع النشاط الرمزى؛ لأن عليه أن يتذكَّر مـا إذا كـان قـد قام من قبل بالبحث عن الطعام أسفل صندوق معيَّن أم لا؟ لا يمكننا معرفة مـا

إذا كان القرد يستطيع "العَدّ" أم لا؟ ولكن كل ما يمكننا معرفته حقًّا هو ما إذا كان القرد يستطيع تعلُّم أداء المهمة أم لا؟

من الأساليب المُفضَّلة لدى علماء النفس فى دراسة النمو العقلى ***Mental Development*** للأطفال الصغار: إعطاؤهم بعضًا من المشكلات التى يعطونها للحيوانات، ثم يطلبون منهم حلَّها؛ فعلى سبيل المثال: أُجْرِيَت تجربة مشكلة التغيير المزدوج المذكورة آنفًا على الأطفال، ثم اكْتُشِف أنهم لا يستطيعون تعلُّم أداء هذه المهمة حتى يبلغوا ثلاثة أعوام ونصف تقريبًا من العُمْر، ومن ذلك العمر حتى العام الخامس تقريبًا لا يستطيعون التلفُّظ بالقاعدة التى يؤدون من خلالها المهمة؛ أى لا يستطيعون أن يعبروا عنها بالكلام، ولكن بحلول العام الخامس يستطيع معظم الأطفال الطبيعيين تعلُّم المهمة والتلفُّظ بها.

يبدو واضحًا أنه إذا كان الطفل قد تعلَّم المفهوم من قبل بطريقة لفظية (أى تعلم الاسم الذى يرمز إلى المفهوم) فى سياق نموه اليومى، فإن احتمال نجاحه فى حل المشكلة فى أى موقف من المواقف التى يكون فيها هذا المفهوم حَرِجًا - يكون أكبر، على الرغم من عدم ظهور المفهوم بشكل واضح.

القضيَّة المهمة المُثارة هنا: هل تُسَهِّل المثيرات اللغويَّة عمليَّة التفكير أم تعوقه؟ وهل معرفة المرء لأسماء المثيرات يساعده على الاستجابة لها بشكل متباين؟ وهل يساعد المرءَ ذلك على تذكرها أو

استخدامها فى مشكلات أخرى؟

لقد تمت البرهنة فى عديد من التجارب على فائدة اللُّغة أو الكلمات وأهميتها للفرد فى المهام التى يؤدِّيها بأشكالها المختلفة، خاصةً تلك التى يكون عليه فيها "تخزين" الانطباعات المُدْرَكة ***perceived impressions*** فى الذاكرة وتذكرها بطريقة معيَّنة. فالعُمّال الذين يعملون فى مصانع الصِّباغة مثلًا يتعلمون كثيرًا من أسماء الألوان، ومن ثَمَّ تتحسَّن قدرتهم على تمييز الألوان. لا شك أن أسماء الألوان الخاصة التى يتعلمونها تساعدهم بالفعل؛ حيث إنها تُسهِّل عمليَّة التواصل، كما أنها تزيد وتحسِّن من قدرتهم على التعرف على الألوان المحفوظة فى الذاكرة وتسميتها. أثبت ذلك العالمان الأمريكيان "براون" ***Brown*** و"لينيبيرج" ***Lenneberg*** فى التجربة الآتية:

عُرِضَ على مجموعة من المبحوثين أربعة ألوان فى وقتٍ واحد لفترة ثلاث ثوان؛ ثم طُلِبَ منهم بعد نصف دقيقة العثور على هذه الألوان فى جدول كبير يضم مائة وعشرين لونًا مُرتَّبة وفقًا لنظام معين، وعندما سُئِلَ المبحوثون عن كيفية أدائهم لهذه المهمة أجابوا بأنهم فى أثناء عرض الألوان عليهم حدَّدوها وحفظوا أسماءها فى ذاكرتهم، ثم استخدموا هذه الأسماء التى استدعوها من ذاكرتهم فى العثور على الألوان الأربعة المطلوبة. مما يدل على أنه لو لم تكن أسماء الألوان معروفة لكان الأمر أصعب.

أجْرَى كذلك العالمان "كيرتز" ***Kurtz*** و" هوفلاند" ***Hovland*** تجربة على

مجموعتين من الأطفال عَرَضا عليهم مجموعة مـن الأشـياء. أُعْطِـى الأطفـال فى المجموعة الأولى ورقة بها عديد من الكلمات ثم طُلِبَ منهم وَضْـع دائـرة حـول الكلمات التى تُمَثِّل الأشياء التى عُرِضَت علـيهم، وفى المجموعـة الثانيـة أُعْطـوا ورقة بها عديد من الصور وطُلِبَ منهم وضع دائرة حول الصور التى تمثل هـذه الأشياء. بعد مُضِىِّ أسبوع وجدا أن المجموعة الأولى كانت أفضل من المجموعة الثانية فى تذكر الأشياء التى عُرِضَت عليهم والتعـرُّف إليهـا، وقـد توصَّـلا مـن ذلك إلى أن اللُّغة أو الكلمات تُسهِّل أنواعًا معيَّنة من التفكير.

أثبت بعض الباحثين فى عديد من التجارب أيضًا إمكانيـة تعـديل طريقـة تعلُّم المبحوثين بتنويع "معانى" الكلمات المستخدمة لوصف المثيرات، فإذا ما قام مُجْرى التجربة بتسمية شيئين (أو مثيرين) مختلفين بالاسم نفسه، سيكون احـتمال استجابة المبحوثين لهما بالطريقة نفسها أكبر منه فى حالة ما إذا ما سمَّاهما باسـمين مختلفين.

اكتشف "وينيفريد شيبرد" ***Winifred Shepard*** أن تعليم الطفل إطلاق نفس الأسماء التى تتألف من مقاطع لا معنى لها على الأضواء: الأحمر، البرتقـالى والأصفر سيجعله يُعمِّم استجابته لهذه الأضواء الثلاثة، حتى ولو كان التدريب الأصلى على اللون الأحمر.

إذا كان من الممكن أن تُغـيِّر الأسـماء (الكلـمات التـى تُسـتخدَم لوصـف الأشياء) التى تُطلَق على المثيرات استجابات المرء لهذه المثيرات، فمن الممكـن أن

تخدعه هذه الأسماء أو ـ على الأقل ـ تُغيِّر استجاباته للمثيرات على نحو قد لا يبتغيه فى حال ما إذا كان على دراية بها (للاطلاع على المزيد من الأدلة التجريبية، انظر ص٩٦-٩٨ من كتاب "اللُّغة والفكر" لـ "جون كارول").

تُعَد هذه الحقيقة هى الأساس لبعض المغالطات الدلالية ***Semantic Fallacies*** التى يمكن أن نكون عُرْضَة لها. يَذْكُر لنا "هاياكاوا" ***S.I.Hayakawa*** مثالًا على ذلك، وهو أن الشخص العاطل عن العمل ينظر إلى الإعانات التى تُمنَح له نظرة استحسان إذا ما أُطْلِقَ عليها "عوائد تأمين إجتماعى"، بينما ينظر إليها نظرة استياء إذا ما أُطْلِقَ عليها "إعانات"(٨).

مُجْمَل القول:

يُطوِّر الإنسان فى عُمْرٍ مُبكِّر عمليات داخليَّة تُمَثِّل خبراته ومُدْرَكاته الحِسّيَّة بطريقة يمكن معها تخزينها فى الذاكرة، ثم إعادتها إلى الوعى ***Consciousness*** ومعالجتها ببراعة فى غياب المثيرات التى أثارتها فى الأصل، ومن الممكن للإنسان أن يكون واعيًا بهذه العمليات الداخليَّة وأن يستجيب لها، وعند تعلُّمه للغة قد يُطْلِق عليها ألفاظًا مثل: "التفكير"، "التخيُّل"، "التصوّرات"، "الأفكار"، "المفاهيم"، "المعتقدات"، ونحو ذلك.

عادةً ما ينشأ الطفل فى بيئة اجتماعية حيث يستخدم الأشخاص الذين يعيشون فيها لغة معيَّنة للتواصل والتفاهم فيما بينهم. تَظْهَر العلاقة بين هذه اللُّغة وبين العمليات الداخليَّة التى يقوم بها مُتحدِّثوها

فى تعاملاتهم الخاصة مع بيئتهم.

فى أولى مراحل تعلُّم الطفل للغة يتم ربط العمليات الداخليَّة التى يقوم بها الطفل قبل تعلُّمه الكلام بالرموز التى يستخدمها الآخرون فى بيئته، ولكن عند استيعاب ***Assimilation*** الطفل لبِنْيَة لغته، تصبح عملياته الداخليَّة مماثلة لعمليات جماعته اللغويَّة أكثر فأكثر. والتفكير هو معالجة الإنسان الشعورية أو غير الشعورية للعمليات الداخليَّة، وعادةً ما يكون ذلك بهدف حَلّ مشكلة ما.

قد تَظْهَر الرموز اللغويَّة ـ أو بالأحرى العمليات الداخليَّة التى ترتكز على رموز لغويَّة مُحدَّدة ـ بوضوح فى عمليَّة التفكير، وغالبًا ما تُحدِّد اتجاهه، أى أنها هى التى تُوجِّه تفكير الفرد. وتُعَدُّ المفاهيم التى نستخدم فى تسميتها الرموز اللغويَّة ـ أى عمليات التوسُّط اللفظى أو ***Verbal mediation*** ـ "أدوات" للفكر، بمعنى أنها:

- تُزوِّدنا على الأقل ببعض المثيرات الداخليَّة والمثيرات المُسبِّبة للاستجابات التى تنقل تسلسلات الأحداث من المثيرات الخارجية التى تستهلُّ العمليَّة الداخليَّة إلى الاستجابات الظاهرة التى تُنهيها.
- تُمثِّل بِنْيات أو أنظمة لعمليات داخليَّة، تُكْتسَب عن طريق التعلُّم أو عن طريق الخبرات الماضية، يمكن أن تلعب دورًا مهمًّا وحاسمًا فى تحديد ما إذا كان تسلسل الفكر سينتهى إلى استجابة ظاهرة ناجحة أم مُعزَّزة؟

يُعَدُّ امتلاك الإنسان لمفاهيم معيَّنة اكتسبها عن طريق الخبرة الماضية من

العوامل الرئيسية المُساعِدَة له على حَلِّ المشكلات وأداء المهام المختلفة. إن تدريس مثل هذه المفاهيم يُعَد فى الواقع من الوظائف الرئيسية للعمليَّة التعليمية. وعادةً ـ وليس دائمًا ـ ما يتم ترميز هذه المفاهيم لغويًّا؛ حيث يتم ترميز أكثر المفاهيم أهمية فى حَلِّ المشكلات ـ كمفاهيم المُماثَلة، ومقارنة الأحجام، والموقع المكانى، والتسلسل الزمنى، والسببية... ونحوها ـ فى مُعْجَم اللُّغة وبِنْيَتها النحوية. ومع ذلك يُمْكِن أداء عديد من المهام الفكرية دون استخدام الرموز اللغويَّة[٩][١٠].

هل اللُّغة هى الأداة الوحيدة للتعبير عن الفكر؟

ليست اللُّغة هى الأداة الوحيدة التى نُعبِّر بها عن أنفسنا؛ فقد نستخدم أساليب أخرى إلى جانب اللُّغة؛ كالإيماءات ***gestures***، وتعبيرات الوجه ***facial expressions***.

يُعبِّر البعض عن أفكارهم مثلًا عن طريق الرسم، فالصور التى يرسمها الفنانون ما هى إلَّا انعكاس لما يدور فى أذهانهم من أفكار[١١].

ولكن ثَبَت أن التمثيل اللغوى للأفكار يُعدُّ من الأنظمة التعبيرية التى تتميَّز ـ دون غيرها من أنظمة التمثيل الأخرى ـ بتنوعها وتعدد قدراتها. لنتناول نوعًا مختلفًا من الأنظمة التمثيلية التى تستخدم الصور فقط فى التعبير عن المعنى كلافتات الطرق؛ للبرهنة على ذلك.

قد تحمل إحدى اللافتات صورة لسيارة تنحدر على الطريق؛ لتنقل إلى

سائقى السيارات رسالة معيَّنة تتمثَّل فى تحذيرهم من القيادة على هذا الطريق حيث الثلوج تُغطِّيه، وقد تحمل لافتة أخرى صورة لطفلين تُعبِّر عن الحَذَر من عبور الأطفال للطريق. مما لا شك فيه أن هذا النظام التمثيلى يفتقر إلى القواعد التركيبيَّة؛ مما سيؤدى إلى استحالة الربط بين هاتين اللافتتين لاستخلاص المعنى الذى تحمله اللافتة الثانية، ألا وهو تحذير الأطفال من العبور فوق الثلج الذى يغطى الطريق(١٢).

لا يمكن أن يَتَّسم العقل الذى يحوى نظامًا تمثيليًّا كهذا ـ على عكس العقل الإنسانى ـ بإنتاجية الفكر ونظاميته ***productivity and systematicity of thought***، بل على العكس سيتَّسم بالجمود وعدم المرونة؛ لأن مَن يفكر بعقل كهذا لن يستطيع التفكير إلَّا فى أفكار ذات مضامين مُحدَّدة ودقيقة للغاية. أما العقل الإنسانى الذى يستخدم النظام اللغوى التمثيلى فى التعبير عمَّا يدور به من أفكار فلديه القدرة على تركيب أفكار جديدة؛ فالقواعد اللغويَّة التى يزخر بها تمنحه القدرة على إنتاج أعداد لا حصر لها من الأفكار من عدد محدود من الكلمات(١٣).

وإذا كان نظام البنيات اللغويَّة من أنظمة التمثيل الفعَّالة التى تساعد على تفسير طبيعة الفكر الإنسانى، فلا ينبغى علينا فى الوقت نفسه أن نُغْفِل وجود عديد من أنظمة التمثيل الأخرى.

لا يسمح المجال فى بعض هذه الأنظمة بتفسير طبيعة الفكر الإنسانى

(كلافتات الطرق فى المثال السابق)، إلَّا أن تمثيل الأفكار باستخدام الخرائط يُعَدُّ من الأنظمة المُنافِسَة لأنظمة التمثيل اللغويَّة، فالنظام الذى يستخدمه العقل الإنسانى فى تمثيل الأفكار يُشبه ذلك النظام التمثيلى الجغرافى؛ فكما يستخدم العقل جُمَل اللُّغة فى تمثيل ما يدور بداخله من أفكار، تُستخدَم الخرائط فى تمثيل المعلومات الجغرافية. قد تحوى التمثيلات التى تتم باستخدام الخرائط كثيرًا من المعلومات، وقد تُستخدَم هذه التمثيلات فى التعبير عن أى سمة من سمات العالم التجريبى[١٤].

تختلف طريقة تمثيل الخرائط للمعلومات عن طريقة تمثيل الجمل لها، وذلك من حيث قدرة الجمل ـ بعكس الخرائط ـ على نقل أدقِّ المعلومات وأكثرها تحديدًا كالمعلومة التالية مثلًا:

Auckland city is in the north island of New Zealand.

(أى تقع مدينة أوكلاند بالجزيرة الشمالية لنيوزيلندا).

إذا ما تأمَّلنا الخرائط الجغرافية سنجد العكس، فلن يستطيع شخص ما بالنظر فى خريطة لنيوزيلندا مثلًا أن يستخلص معلومات عن موقع مدينة "أوكلاند" دون أن يقوم فى الوقت نفسه باستخلاص معلومات أخرى ترتبط بهذه المدينة. إذا ما نظر أحدهم فى موقع مدينة "أوكلاند"، فلن يكتشف موقعها بالنسبة إلى المدن الأخرى فحسب، وإنما سيعرف على الفور كذلك معلومات أخرى تتعلق بها: كحجمها التقريبى، وشكلها، وحقيقة أنها تقع فوق مستوى

سطح البحر، وما إلى ذلك. ترتبط كل هذه المعلومات بعضها ببعض وتوجد فى جزء صغير للغاية من الخريطة، كما أنها مُتاحة لمن يريد معرفتها.

بالنظر فى كَمِّ المعلومات الذى يمكن أن تحويه خريطة ثنائية الأبعاد ***Two-dimensional map*** نستطيع أن نتخيَّل أن إضافة المزيد من الأبعاد لها من شأنه زيادة المعلومات التى تحملها بشكل ملحوظ، فالخريطة الرباعية الأبعاد مثلًا ***Four-dimensional map*** تحمل معلومات تربط بين الأحداث الماضية والحاضرة، وقد تربط بين هذه الأحداث وأحداث أخرى مستقبلية.

يمكن أن يمنحنا نظام الخرائط التمثيلى تفسيرًا لتنوُّع الفكر الإنسانى وتعدُّد قدراته؛ فعلى سبيل المثال: يستطيع أى شخص إنتاج أعداد لا حصر لها من الأفكار المختلفة، باستخدامه لعناصر مختلفة فى الخريطة، وترتيبه لهذه العناصر بطرق مختلفة. يمكن تحقيق ذلك باستخدام مُجسّم للكرة الأرضية حيث تحمل كَمًّا هائلًا من المعلومات التى يمكن الربط بينها بطرق مختلفة؛ لاستخراج كم آخر هائل من المعلومات.

يمكن أن يمنحنا نظام الخرائط التمثيلى كذلك تفسيرًا للطريقة التى يتم من خلالها نشوء الأفكار وتطوُّرها بمرور الوقت. يمكن حدوث هذه العمليَّة بدمج خريطتين بعضهما ببعض، أو بتحديث خريطة موجودة بالفعل عن طريق تزويدها بآخر المعلومات. يمكن مثلًا دمج خريطة مناخية بأخرى جغرافية، ثم

الاستمرار فى تحديث الخريطة المناخية مع وصول معلومات جديدة عن الطقس؛ من هنا نجد أن تطوُّر الخريطة يَحدُث بموجب وصول بيانات جديدة، وبموجب مجموعة من القواعد هى التى تُحدِّد الكيفية التى يتمُّ بها دمج البيانات الجديدة الصادرة بالخريطة الموجودة بالفعل. وهكذا تكون الخريطة الثانية التى تمَّ تحديثها نتاجًا للخريطة الأولى مُضافًا إليها بيانات مُدخَلة وفقًا لقواعد تحديثية:

الخريطة الأولى+ بيانات مُدْخَلَة = الخريطة الثانية.

تَحدُث هذه العمليَّة وفقًا لقواعد صورية ***Formal rules*** مُحدَّدة تماثل القواعد الصورية المنطقية التى نستخدمها فى معالجة البنيات اللغويَّة؛ لذا يمكننا استخدام هذه العمليَّة فى تفسير قدرتنا على التفكير المنطقى.

يواجه نظام التمثيل بالخرائط بعض الصعوبات:

١. تتعلق الصعوبة الأولى بالترابط المُتبادَل بين المعلومات التى تحويها الخريطة، وتَتمثَّل فى عدم إمكانية اختصار المعانى المُعقَّدة بالخريطة بتحويلها إلى عناصر بسيطة ذات معانٍ أبسط. لنتناول إحدى الخرائط الصغيرة الحجم كخريطة لمكتب مثلًا، قد تحوى هذه الخريطة ـ ضمن أشياء أخرى ـ معلومات عن عدد الأشياء الموجودة على سطح المكتب، وكذلك عن المساحة الخالية المتبقية عليه. الفكرة هى أنه لا يمكن التعبير عن إحداهما دون الأخرى، فكلاهما مرتبط بالآخر، حيث لا يمكن إفراد المعلومات المتعلقة بعدد الأشياء

الموجودة على المكتب دون أن يتم فى الوقت ذاته تمثيل معلومات أخرى تتعلق بحجم المساحة الخالية عليه. أمَّا باستخدام اللُّغة، فيكون الأمر على العكس من ذلك، حيث يستطيع الإنسان إفراد كل معلومة على حدة، فيمكنه التفكير فى عدد الأشياء على المكتب دون أن يتوجَّب عليه التفكير فى حجم المساحة الخالية عليه.

٢. عدم قدرة نظام التمثيل بالخرائط على تمثيل الأفكار المُعقَّدة ***Complex Thoughts***، أو الأفكار التى تعبر عن النفى ***Negation***. لننظر مثلًا إلى الجملة الإنجليزيَّة الآتية: ***It is not raining.*** (أى إنها لا تمطر) كيف يمكن أن تُمثّل الخريطة هذه الجملة؟

قد تُصوِّر الخريطة المناخيَّة هذه الحقيقة بعدم إدراج أى صور فوق المدينة تعبر عن سقوط الأمطار، إلَّا أن هذه الطريقة لن تنجح فى التعبير عن معنى الجملة الإنجليزيَّة؛ لأن الخريطة بذلك تمثل انعدام سقوط الأمطار بعدم إدراج رمز يمثل الأمطار، وبالتالى خلوّها من أى معلومة تفيد معنى انعدام سقوط الأمطار. إن الخريطة لن تنجح فى التعبير عن هذا المعنى إلَّا بإدراج جملة تفيد المعنى؛ أى أن استخدام اللُّغة مع الخريطة حتميٌّ وضروريٌّ فى هذه الحالة.

٣. يتمثَّل الاعتراض الأكبر على نظرية التمثيل باستخدام الخرائط فى فشل هذا النظام التمثيلى فى تفسير الطرق التى نُكوِّن بها أفكارنا، وكذلك حقيقة عجزنا عن ربط معتقداتنا بعضها ببعض بطريقة صحيحة فى الكثير من

الأحيان. إذا افترضنا أن "جـين" ***Jane*** تعتقـد أن "فريـد" ***Fred*** يقطـن بمدينـة ***Christchurch***، سنجد أنها إذا أرادت تكوين مُعتقَد آخَر بأن مدينة "أوكلانـد" تقع شمال ***Christchurch***، سيكون لزامًا عليها الاعتقاد بوجوب سفر "فريـد" شمالًا للذهاب إلى مدينة "أوكلاند" (أى أنه لا يمكن تكوين معتقد إلَّا إذا ارتـبط بآخر)؛ نظرًا للترابط بين المعلومات فى نظام الخرائط، فإن تمثيـل المعتقـدات عـن طريقه سيتخذ الصورة التالية:

"إذا كانت جين تعتقد (س)، وإذا كانت (س) تدل ضمنًا على (ص)، فـإن جين تعتقد (ص) ".

ليست هذه هى الطريقة التى يُكوِّن بها البشر معتقداتهم؛ لأن لديهم نظامًـا لغويًّا للفكر. تستطيع "جين" باستخدام اللُّغة أن تُكوّن اعتقادًا بأن "فريد" يقطـن بمدينـة ***Christchurch***، واعتقـادًا آخـر بـأن مدينـة "أوكلانـد" تقـع شــمال ***Christchurch*** دون أن يتوجَّب عليهـا تكـوين اعتقـاد آخـر بوجـوب سـفر "فريد" شمالًا للذهاب إلى مدينة "أوكلاند".

يُجرى علماء الحاسوب تجارب متواصلة على أنظمة التمثيل الأكثـر تشـابهًا مع نظام التمثيل بالخرائط منه مع نظام التمثيل بالجمل(١٥).

وأعتقد أن أنظمة الخرائط ***Map systems*** تُبشِّر بظهور طـرق واعـدة فى مجال تصميم أجهزة الحاسوب خاصَّةً أجهزة الإنسان الآلى ***Robots*** التى تحتاج إلى أن تعمل فى بيئات مُتغيِّرَة. ولكن الحقيقة التى يجب أن نُسـلِّم بهـا هـى عجـز

نظريات التمثيل بالخرائط عن تفسير بعض سمات الفكر الإنساني؛ مما وضع المُعالجَات اللغويَّة في مُقدِّمة الأنظمة التمثيلية؛ نظرًا لقدرتها على تفسير جميع سمات الفكر الإنساني[١٦].

مُجْمَل القول:

لا يتمتع أي نظام تمثيلي بالمرونة نفسها التي يتمتع بها النظام التمثيلي اللغوي، فالأفكار البشرية تتسم بالتعقيد الشديد من الناحية الدلالية، واللُّغة هي الوَسَط الوحيد المعروف القادر على الوصول إلى هذه الدرجة من التعقيد، ومن ثَمَّ التعبير عنها. اخْتَرَ ـ عشوائيًّا ـ على سبيل التدريب أي جملة طويلة من كتاب "نقد العقل الخالص" للفيلسوف الألماني "كانط" (يحوي الكتاب عديدًا من الجمل الطويلة). حاوِل قَدْر استطاعتك إيجاد وَسَط آخَر غير اللُّغة يكون قادرًا على التعبير عن مُحتوَى تلك الجملة. ستُدْرِك بوضوح أن من المستحيل ـ حتى مع استخدام الصور والخرائط ونحوها ـ التعبير عن محتوى هذه الجملة الطويلة المُعقَّدة؛ من هنا يبدو أن الفرضيَّة التي تقول بلغويَّة الفكر هي الفرضيَّة الوحيدة الفعَّالة القادرة على تفسير السبب وراء تمتُّعنا بالقدرة على التفكير والتعبير عن أفكار تحمل مثل هذه المحتويات المُعقَّدة[١٧][١٨].

❁ ❁ ❁

ثانيًا: ما طبيعة العلاقة بين اللُّغة والفكر؟

لا شكَّ أن قضيَّة العلاقة بين اللُّغة والفكر لا تقتصر دراستها على العلوم البيولوجية، وفى مُقدِّمتها عِلْم تشريح الدماغ وفسيولوجيا المخ، وإنما هى تمتدُّ أيضًا وبالدرجة نفسها من الأهمية - إلى العلوم الاجتماعية، وفى مُقدِّمتها الفلسفة وعِلْم النَّفْس وعلم الاجتماع، وبخاصَّة علم النفس الاجتماعى.

وقد ثَبَتَ بشكل لا يقبل الشك أو الجدل أنه من غير الممكن أن يكشف الباحث عن جوهر اللُّغة والفكر دون أن يستوعب الصلة العضويَّة بينهما والأثر المُتبادَل الذى يتركه كل منهما فى صاحبه من الناحية التطورية فى النوع الإنسانى بأسره، وفى مجرى حياة الفرد. هذا مع العلم أن دراسة العلاقة بين اللُّغة والفكر - من حيث نشوء كل منهما وتطوره عَبْر الأجيال المتعاقبة وفى مجرى حياة الفرد - تدل على انتفاء وجود اعتماد متقابل بين الجذور النشوئية للفكر واللُّغة، معنى هذا أن الارتباط المتداخل الذى نلاحظه بينهما فى الوقت الحاضر لم يكن شرطًا مُسبقًا ضروريًّا لحدوث التطوُّر التاريخى فى الوعى الإنسانى، بل هو نتيجته[19].

هل هى علاقة اتصال أم انفصال؟

بَرَزَت فى هذه المسألة اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأوَّل:

أشهر مُمثِّليه: الفيلسوف الفرنسى "رينيه ديكارت" ***René Descartes***

(1596 – 1650)، والفيلسوف الفرنسى "هنرى برجسون" **_Henri Bergson_** (1859–1941).

وشعاره: العَزْل المُطْلَق بين اللُّغة والفكر، ونُكْران وجود أى أثَر لأحدهما فى الآخَر.

يُرْجِع "ديكارت" أساس وجود اللُّغة لدى الإنسان إلى وجود الفكر لديه، وعلَّة غيابها عند الحيوان مَرَدّه إلى افتقاره إلى الفكر؛ إذ إنه لو كانت له أفكار لعبَّر لنا عنها مثلما يُعبِّر لنا عن انفعالاته؛ فاللُّغة إذن ـ حسب ديكارت ـ مستقلة عن الفكر السابق على وجودها، كما أنها مُجرَّد أداة للتعبير عنه؛ لهذا يُنْعَت مثل هذا التصوّر بـ"التصوّر الأداتى للغة".

وإذا كان" برجسون" ينخرط فى هذا التصور الأداتى للغة **_Instrumentaliste_** فإنه يختلف عن "ديكارت" فى كونه يعتبر اللُّغة – فوق كونها مجرد أداة –غير قادرة؛ إذ هى قاصرة حتى أن تُعَبِّر عن الفكر، مُستدلًّا بكوننا غالبًا ما نُحِسُّ بقصور اللُّغة عن الإحاطة بمُجْمَل مشاعرنا، وتصويرها بصدق ودقة وأمانة(٢٠).

وهكذا نجد أن هذا الاتجاه ينفى وجود أى رابطة أو علاقة أو صلة بين اللُّغة والفكر؛ وذلك لاختلافهما من وجهة النظر هذه فى الطبيعة والوظيفة. معنى هذا أن اللُّغة لا تؤثِّر فى الفكر ولا تتأثَّر به؛ لأنها وعاؤه أو أداته المادية، أو الوسيلة التى يُعبِّر بها عن نفسه.

ومثلها فى ذلك مثل الإناء بالنسبة إلى السائل الذى يملؤه، أو مثل الطائرة بالنسبة إلى رُكَّابها، أو كاللباس بالنسبة إلى الجسم، فلدينا فكر نقى أو مَحْض أو خالص من ناحية، ولغة هى الأخرى محضة تُجسِّده أو تُغلِّفه وإن كانت تختلف عنه جذريًّا، من ناحية أخرى.

يتضح - إذن - أن هذا الاتجاه يُحلِّل أو يجزِّئ جسم اللُّغة المتماسك إلى عنصرين منعزلين، هما: أصوات الكلمات عند نُطْقها ورموزها أو إشاراتها المكتوبة من جهة، ومعناها أو الفكر الذى تحمله من جهة أخرى، تمامًا كما يفعل الكيميائى فى مُخْتَبَره عندما يحلِّل الماء إلى عنصريه المتلاحمين: الأوكسجين والهيدروجين، ومعلوم أن الماء غير الأوكسجين وغير الهيدروجين؛ لأنه كيان مستقل جديد له خواصُّه التى تختلف اختلافًا جذريًّا عن خواصِّ كلٍّ من الأوكسجين والهيدروجين؛ فالماء سائل وهما غازان، والماء يُستعمَل للشرب وللتنظيف وطهى الطعام وإطفاء الحريق وللنقل البحرى والنهرى وسقى المزارع، وهما لا يُستعملان فى أوجه النشاط الإنسانى المُشار إليها. وكذا الحال فى اللُّغة التى تختلف اختلافًا جذريًّا عن الأصوات المنطوق بها، وعن الإشارات أو الرموز المكتوبة المُبهَمة أو غير ذات المعنى من جهة، وعن المعنى أو الفكر المعزول عزلًا اصطناعيًّا عن تلك الأصوات والرموز المكتوبة، والذى لا سبيل لمعرفته وتجسيده ونقله إلَّا عن طريق الأصوات والرموز المكتوبة من جهة أخرى.

لا شكَّ فى أن أصوات الكلمات ورموزها المكتوبة ظواهر مادّية محسوسة كما سلف أن ذَكَرنا، فى حين أن معانيها أو الأفكار التى تحملها أو الصور الذهنيَّة ***Mental images*** التى تُعبِّر عنها أو تدل عليها ظواهر غير مادّية، وأن الكلمات تفقد جوهرها الفكرى إذا اعتبرناها مُجرَّد أصوات أو رموز مكتوبة؛ لأن أهميتها الفكرية تَكْمُن فى أنها تنقل ذهن السامع أو القارئ إلى أشياء أخرى تختلف عن وجودها المادّى المحسوس، فالفكر إذن يأخذ مُنطلَقه من معانى الكلمات. وبما أن إحدى وظائف الكلام الجوهرية ـ كما هو معلوم ـ هى الاتصال الفكرى بين الأفراد، فإن هذه الوظيفة تفقد أهميتها عندما تُجَزَّأ الكلمة إلى صوت أو رمز مكتوب وإلى معنى منعزل عنها؛ لأن هذا التقسيم المُفتعَل يعزل الوظيفة الاجتماعية للغة من حيث هى أداة الاتصال الفكرى بين أفراد المجتمع، عن وظيفتها الفكرية الملتحمة بوظيفة الاتصال الاجتماعى، ويُفكِّك عرى الروابط العضويَّة النشوئية أو التطوّرية التى نشأت بينهما.

صحيح أن مَنْ يتتبَّع تطور الطفل منذ ولادته يلاحظ أنه يَمُرّ فى أول الأمر بمرحلة فكر بُدائى غير مرتبط باللُّغة، كما أن لغته هى الأخرى منعزلة عن الفكر؛ وذلك لعدم وجود صلة فى الأساس الفسيولوجى المُخى بين مُحْتوَى اللُّغة والفكر؛ لأن هذه الصلة التى تَحْدُث بعد ذلك بينهما هى رابطة مُكْتسَبة من البيئة المحيطة تنشأ فى مجرى تطور الفرد. وقد حدث شىء مُشابه بالنسبة إلى تطوُّر النوع الإنسانى من الناحية التاريخية، غير أن هذا ينبغى ألَّا يُفسَّر بأن اللُّغة

والفكر عمليتان منعزلتان عن بعضهما كل الانعـزال ولا توجَـد رابطـة عضـويَّة بينهما، وأن العلاقات التى تحصل بينهما فى مجـرى نمـو الفـرد التـى حصـلت فى مجرى نمو النوع الإنسانى هى علاقات ميكانيكية أو آلية؛ أى أن فقدان الرابطـة الفسيولوجية المُخيَّة بينهما لا يعنى أن ارتباطهما المُكْتسَب الـذى يحصـل فى أثنـاء نمو الفرد ـ والذى حصل بالفعل فى مجرى تاريخ النوع الإنسـانى ـ هـو ارتبـاط ميكانيكى عارِض يَظْهَر على هيئة فكر لفظى أو فكر مُعبَّر عنه بالكلمات المنطوق بها أو المكتوبة، وأن هذا الفكر اللفظى هو عمليَّة انـدماج أو انصـهار أو ذوبـان تحصل بين الفكر المحض الذى لا يرتبط باللُّغة فى الأساس، وبين اللُّغة الصرـفة التى لا علاقة لها فى الأصل بهذا الفكر المحض كما ظَنَّ أصحاب هذه النظرية.

لقد أحدثت نظرية عزل اللُّغة عن الفكر التى حصرت اللُّغـة بالأصـوات المُتحدَّث بها وبالرموز المكتوبة، واعتبرت كلًّا مـن اللُّغـة والفكـر مسـتقلًّا عـن صاحبه أضرارًا بالغة فى دراسة جانب اللُّغة الصوتى وجانب المعنـى؛ فدُرِسَـت أصوات الكلمات بمعـزل عـن معانيهـا أو دلالاتهـا أو ارتباطاتهـا بـالفكر؛ كـما دُرِسَت من الجهة الثانية تلك المعانى المُجرَّدة باعتبارها فكرًا لا يـرتبط بأصـوات الكلمات ورموزها المكتوبة، وهـذا تقطيـع مُصْـطَنَع لأوصـال اللُّغـة المتماسـكة يُسىء إلى طبيعة اللُّغة بمعناها الإنسانى الاجتماعى الذى يتضمن ـ كـما ذكرنـا ـ تلاحم أصوات الكلمات وإشاراتها المكتوبة بمعانيها التى لا يمكـن عزلهـا عنهـا دون الإساءة إليها، وقد نَتَجَ عن ذلـك العـزل المبـدئى اللغـوى المغلـوط الـذى

أشرنا إليه، والذى مفاده أن عِلْم الأصوات علم مستقل فى حد ذاته ومنعزل عن عِلْم المعانى، وأن العلاقة بينهما علاقة آلية خارجية عارِضَة مؤقتة؛ مما أدَّى إلى دراسة هذين العِلْمَيْن المتلاحمين أو هذا العلم الواحد بجانبيه بالطريقة الكلاسيكية القديمة(٢١).

الاتجاه الثانى:

أشهر مُمَثِّليه: عالِم النَّفْس الروسى "ليف فيجوتسكى" ***Lev Vygotsky*** (1896-1934). والفيلسوف وعالِم النَّفْس السويسرى "جان بياجيه" ***Jean Piaget*** (1896-1980).

شعاره: استقلال اللُّغة عن الفكر استقلالًا نِسْبيًّا، مع تلاحمه العضوى بها والأثَر المُتبادَل بينهما.

يرى "فيجوتسكى" ***Vygotsky*** اللُّغة والفكر كنظامين مُسْتَقِلَّيْن عن بعضهما بعضًا فى الأساس، إلَّا أنه يرى فى الوقت ذاته أن الاثنين يندمجان مع بعضهما بعضًا عند بلوغ الطفل عامه الثانى مُكَوِّنَيْن بذلك تفكيرًا لغويًّا(٢٢).

يتصوَّر "فيجوتسكى" أن الكلام لدى الطفل يكون اجتماعيًّا فى البداية، ثم يليه الكلام المتمركز حول الذات ***Ego-centric speech***، وبعده الكلام الداخلى ***inner speech*** (أو التفكير)، وهو بالطبع يُناقض التصوّر السلوكى والتتابع الارتقائى لدى "بياجيه" (٢٣).

ويُقرِّر "فيجوتسكى" صراحةً: "أنَّ تدفُّق التفكير لا يُصاحبه ظهور

مُتزامن للكلام، فالعمليتان ليستا مُتماثلتين، ولا يوجد تطابق جامد بين وحدات التفكير ووحدات الكلام. ويتضح ذلك عندما يُساء تنفيذ عمليَّة التفكير، فالتفكير لا يُدْمَج فى الكلام، وإنما له بناؤه الخاص، والانتقال من التفكير للكلام ليس مسألة يسيرة".

فالتفكير ـ إذن ـ فى رأى "فيجوتسكى" لا يتم التعبير عنه فى كلمات، ولكنه يأتى إلى الوجود من خلال هذه الكلمات. والكلام الداخلى – بالنسبة لـ "فيجوتسكى" – ليس مُجرَّد النطق الصوتى للجُمَل، كما يرى "واطسون" ***Watson*** مؤسِّس السلوكية القديمة، إنه صورة أو شكل خاص من أشكال الكلام يقع بين التفكير والكلام المنطوق(٢٤).

أمّا "بياجيه" فيرى أن الارتقاء المعرفى يَحْدُث أوّلا، ثم يتبعه الارتقاء اللغوى، أو أنه ينعكس – أى التفكير – على لغة الطفل. وينمو تفكير الطفل خلال تفاعل الطفل مع الأشياء والناس فى بيئته، ويتأثر ارتقاء اللُّغة حسب مدى تدخلها فى هذه الأشكال من التفاعل، لكنها لا تنمو عبر النمو المعرفى. معنى ذلك أن اللُّغة تعتمد فى تطورها على الفكر(٢٥).

ويُركِّز "بياجيه" على وصف بِنْيَة النمو المعرفى "أو ما يحدث فى تكوين المفهوم"، ويربطه بنمو القدرة على استخدام الصور الذهنيَّة والرموز عند الطفل، فإنه يدخل (فى رأى بياجيه) إلى مرحلة ما قبل العمليات، وهى المرحلة التالية للمرحلة الحسّية الحركية، وتبدأ من سن الثانية حتى السابعة تقريبًا، وقد

أطلق "بياجيه" على هذه المرحلة (من مراحل النمو المعرفى عند الطفل) اسم "ما قبل العمليات"؛ لأن الطفل ـ فى رأيه ـ لا يكون قد اكتسب القدرة على القيام بالعمليات المنطقية التى تتصف بها المراحل التالية فى النمو العقلى؛ ذلك أنه مع بداية التمثيل الرمزى للبيئة ونمو قدرة الطفل على التصوّر الذهنى للأشياء والأحداث، فإنه يتكوَّن لديه مفاهيم غير ناضجة يُسمّيها "بياجيه" ما قبل المفاهيم. قد يكون لدى الأطفال فى هذه المرحلة مثلًا فكرة عامَّة، وهى أن الطيور لها أجنحة وتطير وغالبًا ما توجد على الشجر، أو أن السيارات لها عجلات وأبواب وتوجد فى الشوارع، إلَّا أنهم لا يستطيعون أن يُميّزوا بين الأنواع المختلفة من الطيور أو السيارات(٢٦).

وبمُجرَّد دخول الطفل إلى هذه المرحلة تأخذ القدرة على استخدام الرموز والصور الذهنيَّة فى الازدياد بشكل واضح، وبسرعة كبيرة، فتزداد قدرته اللغويَّة زيادة هائلة، ويصبح فى إمكانه أن يتصوَّر أساليب جديدة للَّعبِ الإبداعى(٢٧).

تتلخَّص الحقائق الأساسيَّة التى لم تتكشَّف من خلال الدراسة الارتقائية للتفكير والكلام فى أن العلاقة بينهما تخضع لتغيُّرات كثيرة، ولا يسير التقدُّم فى التفكير والتقدُّم فى الكلام بطريقة مُتوازية، فمُنْحَنيات نموهما تتلاقى وتتباعد، ويمكن أن نَذْكُر الحقائق الآتية:

١. للتفكير والكلام فى تطوّرهما أصول مختلفة.

٢. يمكن أن نُحدِّد مرحلة لما قبل النشاط العقلى فى النمو الكلامى للطفل، ومرحلة لما قبل اللُّغة فى نمو تفكيره.

٣. يسير نمو الكلام والتفكير ـ حتى فترة معيَّنة ـ فى خطوط مختلفة دون ارتباط أحدهما بالآخَر.

٤. عند نقطة معيَّنة تتلاقى هذه الخطوط، وبعدها يصير التفكير كلاميًّا، والكلام عقليًّا.

ويمكن أن نتصوَّر ـ من الناحية التخطيطية ـ التفكير والكلام كله كدائرتين متداخلتين، فى أجزائهما المتداخلة يتَّحِد الكلام والتفكير ليُنْتِجا ما يُسمَّى التفكير الكلاميَّ الذى لا يتضمن كل أشكال التفكير أو كل أشكال الكلام(٢٨).

إذن يَرَى أصحاب هذا الاتجاه أن اللُّغة، وإن كانت غير الفكر من حيث طبيعتها ووظيفتها من ناحية نشوئها التاريخيِّ، إلَّا أنها مع ذلك مُلْتَحِمَة به التحامًا عُضْويًّا غير قابل للعزل فى مَجْرَى تطوّر النوع الإنسانى، وضمن حدود تطور الفرد من المهد إلى اللحد. ومع أن هذا الالتحام أو الاندماج ليس بذى بذور فسيولوجية فطريَّة فى الأصل، إلَّا أن جذوره تاريخية نشوئية على الصعيدين الفردى والنوعى على حد سواء. فاللُّغة والفكر جانبان مشتركان ملتحمان ومتكاملان وإن كانا متميِّزين فى عمليَّة واحدة، أو كيان متماسك مُوحَّد.

يُعبِّر الفكر عن ظواهر البيئة المُحيطة على هيئة صور ذهنيَّة أو انطباعات فكرية تحمل المعرفة فى شَتَّى فروعها.. معنى هذا أن الفكر يرتبط بالبيئة المحيطة الطبيعيَّة والاجتماعية ارتباطًا مباشرًا؛ أى أنه يُصوِّر الظواهر البيئية أو يُسجِّلها مع ارتباطاتها الفعلية الموضوعية، وقوانينها على صفحة المخ، ويساعد الإنسان على فهمها والسيطرة عليها.

أمّا اللُّغة فهى فى الأساس وسيلة تجسيد الفكر ذاته ونقله وتداوله بين الناس فى التحدُّث والكتابة. ولهذا فإنها ترتبط بالبيئة ارتباطًا غير مباشر، وذلك عن طريق الفكر؛ أى أن اللُّغة تُعين الإنسان على تجسيد فكره أو بلورته وصوغه وتداوله، ولولاها لاستحال ذلك، والفكر بدوره يُعين اللُّغة على الدِّقَّة ويُثْريها بالمصطلحات... وهكذا دواليك.

يُعبِّر معنى الكلمة عن رابطة التلاحم العضوى بين الفكر والرموز التى تُشير إليه تلفُّظًا وبالكتابة؛ لأن المعنى ظاهرة لغويَّة وفكرية فى آن واحد.. فالصوت المنطوق به دون معنى هو صوت أجوف مُبْهَم أو أعجم لا يدخل فى حيز اللُّغة، وكذا الحال فى الرمز المكتوب، فالمعنى من هذه الزاوية ظاهرة لغويَّة تعبيرية؛ لأنه يُعبِّر عن الصورة الذهنيَّة على هيئة تجريد وتعميم تحملها الأصوات والرموز المكتوبة.. فهو من هذه الناحية عمليَّة فكرية دون مُنازِع.. وهذا يدل على أن معنى الصوت والإشارة المكتوبة ظاهرة فكرية إذا نظرنا إلى الكلمة من ناحية كونها أداة التعبير تحدُّثًا، وبالكتابة التى تحمل ذلك المعنى الذى

لولاه لَمَا اعْتُبِرَ ذلك الصوت وتلك الإشارة المكتوبة ضمن حدود اللُّغة.

أمَّا الكلمة ـ من حيث هى رسم مكتوب أو صوت منطوق به ـ فهى ظاهرة لغويَّة إذا نظرنا إليها من حيث كونها الأداة الاجتماعية التى تحمل الفكر وتُجسِّده وتُوَضِّحه وتنقله بين الناس؛ فالكلمة إذن كيان فكرى واحد متماسك، وأداة فى الوقت نفسه تُعبِّر عن الفكر على هيئة صوت ورمز مكتوب، وهذا هو جوهر اللُّغة وأصغر وحدة فى بنائها؛ أى أن الكلمة بالتعبير الكيميائى "جُزىء" اللُّغة، وهى كجُزىء الماء الذى هو أصغر وحدة مُتماسكة فيه (مؤلَّفة من الهيدروجين والأوكسجين)، وكالخلية فى حالة النبات والحيوان (مؤلَّفة من النواة والسيتوبلازم بالدرجة الأولى)، وكالذرَّة بالنسبة إلى الجماد (مؤلَّفة من الجُسيمات).

والكلمة تجريد وتعميم من حيث معناها؛ أى أن المعنى جزء لا يَتَجزّأ من الكلمة، والمعنى فكر فى الوقت نفسه.

فالكلمة فكر ملتحم بصوت يشير إليه ورمز مكتوب يدل عليه، والاتصال الفكرى الحقيقى الذى يَحْدُث بين الناس يستلزم المعنى التام، كما يستلزم الأصوات والرموز المُدَوَّنة التى تُجسِّده. وهذا الذى تفتقر إليه الحيوانات؛ لأنها تنقل إلى بعضها الأصوات البدائية المُبْهَمَة، والحركات الجِسْمِيَّة التى تُعبِّر عن حالاتها الانفعالية، فالطائر الذى يخفق بجناحيه، ويصيح عند شعوره بالذعر لا يقوم بنقل المعرفة إلى زملائه، بل هو يُعبِّر عن مخاوفه(٢٩).

الاتجاه الثالث:

أشهر مُمثِّليه: اللغوى السويسرى "فرديناند دى سوسير" ***Ferdinand de Saussure*** (1857 – 1913). والفيلسوف النمساوى "لودفيج فيتجنشتاين" ***Ludwig Wittgenstein*** (1889–1951). وعالِم النَّفْس الأمريكى "جون واطسون" ***John B. Watson*** (١٨٧٨ – ١٩٥٨). والفيلسوف الفرنسى "موريس ميرلوبونتى" (1908–1961) ***Maurice Mearleau-Ponty***. والفيلسوفة البلغارية الفرنسيَّة "جوليا كريستيفا" ***Julia Kristeva*** (1941).

وشعاره: لا فَرْق بين اللُّغة والفكر. اللُّغة والفكر شىء واحد. اللُّغة هى الفكر والفكر هو اللُّغة

يَرَى أصحاب هذا الاتجاه أن اللُّغة والفكر وجهان لعُمْلَة واحدة؛ إذ لا يمكن الفصل بينهما، فهما مُتلازمان تلازم صفحتى الورقة الواحدة، ومن ثم فلا استقلاليَّة للفكر عن اللُّغة ولا للُّغة عن الفكر، كما أنه لا أسبقيَّة لهذا على تلك أو العكس.

فإذا كانت اللُّغة هى جسم الفكر ـ كما تقول "كريستيفا" ـ فإن الفكر هو روح اللُّغة، ومِنْ ثَمَّ فلا حياة لأحدهما فى غياب الآخر، فكلامنا تفكير خارجى، وتفكيرنا كلام داخلى، كما يقول الصحفى الفرنسى "أنطوان ريفارول" ***Antoine Rivarol*** (1753–1801).

يرى "دى سوسير" أن الفكر بمعزل عن الكلمات لا يعدو أن يكون سديمًا

أو عماءً ضبابيًّا، أى كتلة غير مُتميِّزة؛ لذلك يتعذَّر التمييز بين فكرتين أو معنيين، كالاحترام والتقديس مثلًا، دون الاستعانة بالوحدات اللسانية المقابلة لهـا، ممـا يسمح بهذا الاستنتاج: الفكر كتلة مُتَّصلة مُمتدَّة لايمكن أن نتبيَّن منه شيئًا ما لم يتجزَّأ وينقسم وفق الوحدات اللسانية، أى الكلمات؛ فهناك ـ إذن ـ علاقة جدلية: الفكر واللُّغة فيها أشبه بوجهى ورقة النقد لايمكن تمزيق وجه دون المساس بالآخر[٣٠].

واللُّغة عند "فيتجنشتاين" هى الفكر، والفكر هو اللُّغة، وهو لا يُفرِّق بينهما، فلا وجود لفكر دون لغة، ولا وجود للغة ذات معنى دون فكر؛ ذلك أن اللُّغة عند "فيتجنشتاين" هى الوسيلة الحسّية التى نُعِّبر بواسطتها عن أفكارنا. إذن فالفكر هو جُمْلة القضايا القائمة فى الذهن والُمعبَّر عنها بواسطة اللُّغة[٣١].

وانتهى "واطسون" مؤسِّس السلوكية القديمة كذلك إلى أن التفكير هو اللُّغة.

وبناءً على ذلك، فإن التفكير عبارة عن تناول الكلمات فى الذهن، أو أن التفكير عبارة عن عادات حركية فى الحنجرة، أو هو حديث داخلى يَظْهَر فى الحركات قبل الصوتية لأعضاء الكلام؛ أى أن التفكير لغة خفية أو صامتة، وربما يكون ذلك هو الذى قاد المدرسة السلوكية الأمريكية فى مراحلها المبكرة إلى رفض التسليم بوجود أى مُتغيّرات وسطيَّة بين الُمنبِّهات والاستجابات[٣٢].

ويُعْتبَر الفيلسوف الفرنسى "موريس ميرلوبونتى" واحدًا من الفلاسفة

المعاصرين الذين توقفوا طويلًا عند هذه العلاقة الإشكالية بين اللُّغة والفكر، مستخدِمًا المنهج الفينومينولوجى (الظاهراتى) المُعتمِد على وصف المعطيات المباشرة للوعى قبل تدخل النشاط الإدراكى التنظيمى للعقل؛ ليُبيّن المآزق النظرية للتصوُّر الأداتى الذى يعتبر اللُّغة والفكر كيانين مُتمايزين، والحقُّ أنهما سيرورتان مُتزامنتان.

من هنا لا ينبغى وصف اللُّغة بكونها علامة أو لباسًا للفكر؛ لما يفيده ذلك من اعتباطية العلاقة وانفصالها كما ينفصل الدخان عن النار على الرغم من كونه علامة عليها، والأجدر بنا وصفها بجسد الفكر أو شعاره؛ لأنَّ كلًّا منهما مُتضمَّن فى الآخر: فالمعنى يؤخد من الكلام؛ أو كما تقول اللسانيات البنيويَّة عند " جوليا كريستيفا " مثلًا؛ فالمعنى لا يوجد خارج شبكة التقابلات والاختلافات التى تجمع بين الكلمات المُنْتَمِيَة لنسقٍ لسانىٍّ ما.

بل يمكن القول إن الكلام يملك قوة للدلالة خاصة به؛ بدليل أن المعانى الجديدة تظهر دائمًا بمناسبة اشتقاق ألفاظ أو تراكيب أو تعابير جديدة كما يفعل الأدباء. بل إن فعالياتنا الذهنيَّة والمعرفية تتعامل مع الكلمات أكثر مما تتعامل مع الأفكار، وإلَّا لماذا نتذكر كلماتٍ وجملًا على نحو أيسر مما نتذكر أفكارًا؟ بل إن استدعاء هذه يتطلَّب أوَّلًا استدعاء تلك.

وبعبارة أخرى: فالكلام هو الوجود الخارجى للمعنى وحضور الفكر داخل العالم المحسوس، مثلما أنَّ الفكر هو الصورة الداخلية للكلام، وليس

التفكير الصامت ـ كما يعتقد البعض ـ تفكيرًا دون كلمات، إنَّه بالأحرى ضجيج خافت من الكلمات، وهذا ما أكَّدته الدراسات العلميَّة الحديثة فى مجال فسيولوجيا الدماغ، فقد وُجِدَ أن المناطق المسئولة عن الكلام تَنْشَط (أى تصدر إشارات كهرومغناطيسية) حتى عندما يفكر المرء فى صمت.

هكذا ينتهى "ميرلوبونتى" إلى التوحيد بين اللُّغة والفكر باعتبارهما وجهين لنفس السيرورة المعرفية، رافضًا التصورات الفلسفيَّة القائمة على ثنائية اللُّغة/ الفكر، أو الخارج/ الداخل.

وفى موضع آخَر من كتابه "فينومينولوجيا الإدراك"، يؤكد" ميرلوبونتى" وحدة اللُّغة والفكر متسائلًا: لماذا تكون الذات المُفكِّرة نفسها فى حالة عدم معرفة بأفكارها ما دامت لم تعبِّر عنها ولو لذاتها؟

ومن ثم فالفكرة التى تكتفى بأن توجد بذاتها خارج نسيج الكلمات ستسقط فى اللاوعى بمجرد أنْ تظهر، ومِنْ ثَمَّ فنزوع الفكر نحو التعبير ليس نزوعًا بَعْديًّا ثانويًّا، بل هو نزوع صميمى نحو الوجود والاكتمال(٣٣).

يتضح ـ إذن ـ أن العلاقة بين اللُّغة والفكر تفقد وجودها، ناهيك عن أهميتها لدى أصحاب هذا الاتجاه؛ إذ إنهم ـ بمثل هذا الرأى ـ يدعون إلى التخلِّى عن المشكلة من أساسها. فلا مجال للتساؤل عن علاقة التفكير باللُّغة أو الكلام؛ إذ لا وجه للسؤال عن علاقة الشىء بذاته(٣٤). هكذا ينتهى أصحاب هذا الاتجاه إلى التوحيد بين الفكر واللغة، والتطابق التامِّ بينهما(٣٥).

لأىٍّ منهما الأسبقيَّة فى الوجود: للغة أم للفكر؟

الإنسان كائن يتكلم ويُفكِّر، ورُبَّما إشكالية أسبقيَّة الفكر على اللُّغة أو العكس لم تُفْصَل حتى الساعة. إنه كسؤال البيضة والكتكوت: أيُّهما يأتى أوَّلا: البيضة أم الكتكوت؟ هل نفكر أولًا قبل أن نتحدَّث، أم العكس؟

اختلف كثيرون من علماء النفس فى الإجابة عن هذا السؤال.

- فيرى بعضهم - مثل "جلبرت رايل" ***Gilbert Ryle*** ـ أن التفكير لا بدَّ من أن يسبقه تعلُّم الإنسان الكلام بصوت عالٍ، ويستدل على صِحَّة رأيه بأن الطفل يكتسب اللُّغة أولًا قبل أن يتعلم فى مرحلة لاحقة التفكير مع نفسه(٣٦).

- فى حين ترى "إليزابيث سبيلك" ***Elizabeth Spelke*** أستاذ علم النفس بجامعة هارفارد - بعد إجرائها عديدًا من التجارب على الأطفال - أن الأطفال يتعلمون التفكير فى الأشياء قبل تعلمهم للغة، تقول "سبيلك" فى هذا الصدد:

"يولَد الأطفال بنظام معرفى فطرى مُستقل عن اللُّغة يفكرون من خلاله فى الأشياء، والمفاهيم التى تتكوَّن لديهم عن الأشياء هى التى تعطى المعنى للكلمات التى يتعلمونها فيما بعد"(٣٧).

- كذلك يرى عالم النفس "جان بياجيه" ***Piaget*** - كما ذكرنا من قبل - أن النمو الذهنى للطفل يتقدَّم مستقلًّا، وبصفة عامَّة يتبعه النمو اللغوى. ويوضِّح "بياجيه" أنه يستحيل على الأطفال فهم التعبير اللفظى قبل أن يتمكَّنوا من إتقان

المفهوم الأساسى الذى يقوم عليه هذا التعبير؛ بمعنى أنهم لا يفهمـون عبـارات أو كلمات مثل "الأسبوع القادم" و "مال" و "الموت"[٣٨].

- أمَّا عالم النفس "فيجوتسـكى" **Vygotsky** فـيرى أن التفكـير واللُّغـة يبدآن فعاليتين منفصلتين، وأن تفكير الأطفال صغار السن يشبه تفكير الحيوان؛ لأنه يحدث دون لغة. ومن الأمثلة على ذلك الطفل الـذى لم يـتعلم الكـلام بعـد والذى يحل مشكلات بسيطة مثل تناول الأشياء وفتح الأبواب (أى تفكـير دون كلام).

ومن ناحية أخرى، فإن أصوات المناغاة عند الطفل هى كلام بدون تفكـير مُوَجَّه نحو تلبية أغراض اجتماعية مثل جذب الانتبـاه إلـيهم، وجلـب السرـور للكبار؛ أى كلام بدون تفكير.

أما النقطة الحرجة فى علاقة التفكير باللُّغـة فتحـدث عنـدما يبلـغ الطفـل حوالى السنتين من عمره، ففى هذا العمر نجد أن مُنْحَنَـى التفكـير الـذى يسـبق اللُّغة ومنحنى اللُّغة التى تسبق التفكير يلتقيان ويترابطان؛ لكى يبدأ نوع جديـد من السلوك يصبح فيه التفكير لفظيًّا والكلام معقولًا، وهذا لا يحدث للحيـوان الذى يظل "التفكير" و "اللُّغة" عنده نظامين مستقلين[٣٩].

ومن المفيد أن نعرف أنه حتى سن السابعة فإن الطفل يكون غير قادر عـلى التمييز بين الوظيفتين الداخليَّة (التفكير) والخارجية (الاتصال) للُّغة؛ ولذا تبرز ظاهرة "الكلام المتمركز حول الذات" ***Ego-centric speech***[٤٠].

وقد يكون من الطريف أن نشير إلى أن بعض الكبار الذين يعيشون بمفردهم يتحدثون أحيانًا إلى أنفسهم بتعليقات عن أفعالهم ونواياهم(٤١).

كثيرة هى الوقائع والملاحظات التى تدفع للاستنتاج بأن الفكر سابق مستقلٌّ عن اللُّغة: فهناك من جهةٍ تعدُّد الأنظمة الدالَّة بتعدد الألسن، بل وتعدُّد أنساق العلامات التى يستخدمها الفرد الواحد للتعبير عن نفس الفكرة من حركات وإيماءات ورموز متنوعة؛ مما يدفع إلى القول باستقلال الفكرة عن العبارة؛ لإمكانية انفصال الفكرة عن علامة ما وارتباطها بأخرى. هناك ـ إذن ـ نوع من تعالى الفكر على أداته اللغويَّة. ومن ناحية أخرى يتبدَّى الفكر سابقًا على اللُّغة عندما يبحث المرء طويلًا أو دون جدوى عن كلمات مناسبة لفكرة يُحسُّها حاضرة قبلًا وبإلحاح؛ لهذه الأسباب يفترض الحِسُّ المُشترَك أننا نفكر أوَّلًا ثم نُعبِّر ثانيًا؛ أى ننتقل بعد التفكير إلى إلباس أفكارنا كلمات ملائمة.

وفى مثل هذه الحالة لن تكون الكلمات والجمل سوى أداة بَعْدِيَّة تساعد على إظهار ناتج عمليَّة التفكير التى تتم قبل وبدون اللُّغة. وإذا كانت الكلمات والجمل ضرورية لتبليغ نتاج عمليَّة التفكير للآخرين، فإنها بالمقابل غير ضروريَّة لحدوث عمليَّة التفكير ذاتها، وهنا تحصل مقابلة أو معارضة الوظيفة المعرفية للفكر بالوظيفة التواصليَّة للغة.

يمكن أن نجد سندًا لهذه الأطروحة فى الموقف الفلسفىِّ لـ "ديكارت" عن العلاقة بين اللُّغة والفكر، وبالأخصِّ فى ثنائيَّة: النفس/ الجسم، فالفكر ليس

ماديًّا مرتبطًا بالنفس، بل هو طبيعتها المميِّزة لها، أما اللُّغة فتنتمى إلى الجسم بسبب طبيعتها الماديَّة (الأصوات، الكتابة...)، ومن غير الممكن تصوُّر علاقة اتصال بين هاتين الطبيعتين المتمايزتين، إلَّا أن تكون اللُّغة مجرد أداة أو وسيلة للتعبير عن الفكر القائم بذاته؛ لهذا يُوصف مثلُ هذا التصوُّر بالتصوُّر الأداتىِّ للُّغة. فإلى أيِّ حَدٍّ يَصْمُد هذا التصوُّر أمام النقد؟ وإلى أيِّ حد يُعَبِّر فعلًا عن حقيقة العلاقة بين اللُّغة والفكر؟(٤٢).

مُجْمَل القَوْل:

إن التفكير والمُلاحَظة تُولَد مع الأطفال بالفطرة حيث يتفاعل الطفل مع البيئة التى حوله؛ يتفاعل مع الضوء والظلام، مع الصور والنقوش الجميلة على الحائط، يتجاوب مع وجوه البشر بين الاستغراب والارتياح والبهجة، هذا كله مع عجزه عن تفسير الأشياء وتفاعله معها.

ويتعلَّم الطفل ـ عن طريق المُلاحَظة ـ اكتشاف الأشياء وسلوكها، واكتشاف القوانين المادِّية التى تَحْكُمها شيئًا فشيئًا:

أولًا: يُدْرِك وجود الأشياء دون تمييز بينها.

ثانيًا: ينمو إدراكه للتمييز بين الأشياء المختلفة، عن طريق إدراكه لأسلوب هذه الأشياء وسلوكها فى البيئة الحيَّة التى حوله.

ثالثًا: يُنظِّم هذه الأشياء فى ذهنه.

وهكذا يستمر نموُّ الذهن ونضوج الفكر بالممارسة والتعليم؛ لتفجير

الطاقات الكامنة التى أودعها الله فى مُخِّ الإنسان.

والشأن فى اللُّغة أيضًا شبيه بهذا النمو اللغوى لدى الطفل، الذى يأخذ خَطًّا موازيًا للنمو الذهنىِّ والفكرىِّ عند الطفل.

فالطفل أولًا ينتبه لوجود أصوات تُسْمَع دون التمييز بين هذه الأصوات، ثم شيئًا فشيئًا يستطيع التعرُّف على بعض الأصوات وتمييزها عند سماعها؛ كصوت أُمِّه وصوت جرس الباب مثلًا، وغير ذلك من الأصوات المُتكرِّرة اللصيقة به فى بيئته الحيَّة، ثم تتسع دائرة تمييز الأصوات، ثم يبدأ مُحاكاة ما سمع من أصوات عن طريق مُحاوَلة النطق وبدايات التكلُّم.

والمَعْنَى فى هذا أن الله ﷻ أودع فى الإنسان هذه الطاقات والإمكانات الفكريَّة واللغويَّة، وهى تبدأ فى الظهور منذ لحظة الولادة وصرخات الطفل الأولى وهو يستقبل الحياة الجديدة.

والفكر سابق على اللُّغة فى حياة الطفل؛ لأنه يُفكِّر عن طريق الصور المرئية، ثم ينمو الأمر شيئًا فشيئًا ليستخدم الكلمات. وعلى أى حال فإن الفكرة تأتى أولًا، ثم يأتى دور اللُّغة فى التعبير عن هذه الفكرة، أو دعم التفكير فى هذه الفكرة.

وأحيانًا يُفكِّر الراشدون بطريقة الأطفال عندما يُصادفون أشياء لا يعرفونها فيتعاملون معها بصورتها فى أذهانهم.

هل يمكن التفكير دون لغة؟

ما الحاسَّة الأهم للموسيقى؟ السمع؟ ربَّما! لكنَّ موسيقارًا عظيمًا مثل "بيتهوفن" **_Beethoven_** بدأ سمعه يضعف فى سن السابعة والعشرين، حتى فقده تمامًا فى أواخر عمره، فكيف تمكَّن من متابعة تأليف سيمفونياته على الرغم من إصابته بهذه العاهة التى تبدو مُعوِّقة تمامًا لشخص يتعامل مع الموسيقى؛ أى مع الصوت؟

الجواب هو: بفضل صوته الداخلى الصامت الذى كان يجعل الموسيقى تتردَّد داخل رأسه، تمامًا كما تتردَّد الكلمات بصمت فى أعماق رأسك فى أثناء قراءتك لهذه السطور.

لقد كرَّس "بيتهوفن" نفسه ووقته للتأليف الموسيقىِّ مُصْغِيًا إلى موسيقى تعزف فى داخل رأسه؛ ليُسجِّلها نوتة موسيقية على الورق(٤٣).

إذَن، هل يمكن التفكير دون لغة؟!

مثلما انقسم العلماء فى الإجابة عن اللُّغة أم الفكر: أيهما يسبق الآخر؟! انقسموا أيضًا حول الإجابة عن هذا السؤال فريقين، لكل منهما حُجَجه وبراهينه.

الفريق الأول:

ويُمَثِّله: "أفلاطون" **_Plato_** من القدماء، وعالِم النفس الأمريكى "جون واطسون" **_John Watson_** من المُحْدَثين. ويرى هذا الفريق أن التفكير يتم فى

لغة صامتة بألفاظها وتراكيبها، كما لو كان الإنسان يحاور شخصًا آخَر(٤٤)، وهذا يعنى أن اكتساب الإنسان للغة شرط لقدرته على التفكير(٤٥).

ولإثبات تدخُّل اللُّغة فى عمليَّة التفكير قام فريق من العلماء فى بعض الدراسات بوضع أقطاب كهربائية مُتَّصلة بـ "جلفانومتر" على اللسان والشَّفَتَيْن؛ لتسجيل أيِّ حركة تَحْدُث فى عضلات اللسان والشفتين، وطُلِبَ من الفرد أن يفكر فى بعض الأشياء، فلُوحِظَ تحرُّك مؤشِّر الجلفانومتر، مما يدل على وجود نشاط حركىٍّ فى عضلات اللسان والشفتين فى أثناء عمليَّة التفكير(٤٦).

ويرى الدكتور "الطيب بو عزة" ــ أستاذ الفلسفة ـ أن المعطَى اللغوىَّ والمعطَى الفكرىَّ مُتَّحِدان إلى درجة التداخل والتلازم، بل إلى درجة التماهى المطلق، واستنادًا إلى هذه القناعة ينفى وجود أىِّ فكرة خارج اللُّغة، ويدعوك إلى محاولة تفنيد هذه القناعة إن استطعت أن تحاول إيجاد فكرة ما خارج اللُّغة، حاوِل دون نطق أو كتابة فى داخل نفسك الإمساك بفكرة ما مُجرَّدة من تجاويف اللُّغة وأسمائها، أو أفعالها أو حروفها!!

لا شك ستتوصَّل إلى ضرورة اللُّغة للتفكير ضرورة أكيدة، فالشكل اللغوى ليس شرطًا لإمكان التبليغ فقط، بل هو ـ قبل كل شىء ـ شرط تحقُّق الفكر(٤٧).

وكذلك يرى الدكتور "طه حسين" فى كتابه "مستقبل الثقافة فى مصرـ" أننا نفكر باللُّغة، وأنها هى أداة التفكير؛ إذ يقول:

"نحن نَشْعُر بوجودنا وبحاجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلَّا بالتفكير، ونحن لا نفكِّر في الهواء ولا نستطيع أن نَفْرِض الأشياء على أنفسنا إلا مُصوَّرة في هذه الكلمات التي نُقدِّرها ونُديرها في رؤوسنا، ونُظْهِر للناس منها ما نريد، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللُّغة"(٤٨).

ماذا لو سألنا أنفسنا: ما التفكير؟

إنه من الوظائف العُليا للدماغ، وهو مفهوم يجمع جزئيَّاتٍ كثيرة مثل: التذكُّر، والتحليل، والتركيب، والمقارنة، والترتيب، والتجميع، والتمييز، والربط، والفصل...إلخ. ومن البيِّن أن هذه العمليات المجرَّدة غير ممكنة دون أدوات رمزية هي الوحدات اللسانية.

الفريق الثاني:

ويرى أن اكتساب اللُّغة ليس شرطًا حتميًّا لحدوث التفكير؛ حيث تشير بعض الدراسات إلى أن اللُّغة ليست شرطًا ضروريًّا للتفكير؛ إذ من الممكن أن يحصل التفكير دون اللُّغة، فاللُّغة ليست الأداة الوحيدة للتفكير، والدليل على ذلك:

١. أن الصُّم والبُكْم يفكِّرون ويصلون إلى تفكير سليم وإن عبَّروا عنه بالإشارات:

ويُدلِّل العالم "هوتسينو فندلر" على هذا بأن الشخص الأصمَّ الأبكم قادر

على التفكير؛ لأنه يشعر بما حوله ويتخذ قرارات، وقد يغيِّر رأيه، وهو يقوم بهـذا كله على الرغم من أنه لا يعرف كلمة واحدة من اللُّغة، ولم يسمع لفظـة واحـدة منذ ولادته، فضلًا عن النطق بها. ويضرب "فندلر" مثلًا بالأمريكية "هيلين كيلر" أعجوبة المعاقين فى كل العصور؛ لأنها كانت صماء بكماء عمياء، وعلى الرغم من ذلك استطاعت – بمساعدة معلِّمتها ـ أن تتعلم القراءة والكتابة، وحصلت على البكالوريوس، وعملت مُحاضِرة وباحثة وكاتبة.

ويشير "فيرث" ***Firth*** فى كتابه "التفكـير بـدون لغـة: الـدلالات النفسـيَّة للصَّمَم" إلى أن الأطفال الصُّم لا يختلفون اختلافًا كبيرًا عن الأطفال العاديين فى أدائهم الذهنى، وأن نموَّهم الذهنىَّ يتبـع فى كلتـا الحـالتين المراحـل الأساسـيَّة نفسها، على الرغم من أنه فى بعض الحالات قد يكون مُعدَّلُ النمو أبطـأ بالنسـبة إلى الصُّم، ولكن من المحتمل أن هذا البطء قد لا يرجع إلى نقص اللُّغة بقدر مـا يرجع إلى نقص عام فى الخبرة إزاء نوع البيئة أو الظروف التى ينمو فيها كثير مـن الأطفـال الصُّـم. وقـد توصَّـل "فـيرث" إلى نتـائج مشـابهة فـيما يتعلـق بالصُّـم البالغين(٤٩).

ويتفق معه اللغوى الأمريكىُّ "جون كـارول" ***John Carroll*** فى ذلـك؛ إذ يرى أن الأطفال الذين حُرِموا نعمة السمع والذين لم يكتسبوا اللُّغة ـ أو حتى لغة الإشارات ـ يستطيعون أداء جميـع العمليـات الإدراكيَّـة والمعرفيَّـة (تقريبًـا) التى يؤدِّيها الأطفال الطبيعيُّون الذين أنعم الله عليهم بنعمة السـمع ممَّـن هـم فى

مثل أعمارهم تقريبًا، طالما أن هذه العمليَّات لا تستلزم استخدام اللُّغة بأيِّ حال من الأحوال، وقد يرجع السبب فى ظهور أعراض التأخُّر الذهنى عند الأطفال الصُّم إلى حقيقة أن خبراتهم عن العالم من حولهم محدودة ومحصورة فى أشياء معيَّنة، ولا يكون ذلك بالضرورة نتيجة لغياب اللُّغة.

وبالبحث الذى أجراه كل من "هانز فيرث" ***Hans Firth*** فى الولايات المتحدة و"بيير أوليرون" ***Pierre Oléron*** فى فرنسا، ثبت أن الأطفال الصُّم الذين لم يكتسبوا اللُّغة يمكنهم اكتساب المفاهيم، ومقارنة الأحجام، وتذكُّر تسلسلات الأحداث والأشياء المترابطة ذهنيًّا، وحَلُّ المسائل البسيطة التى تتضمَّن الأشكال والألوان ونحوها، كل هذا دون استخدام اللُّغة.

إن هذه النتائج توحى ـ بقوَّة ـ بإمكانيَّة وجود نوع من التفكير دون لغة[٥٠].

٢. التفكير سابق على اللُّغة:

فكثيرًا ما تنبثق الفكرة فى أذهاننا ونظلُّ نبحث عن العبارات التى تؤدِّيها وتنقلها... ألَا نقول عادةً: "لا أجد الألفاظ المناسبة للتعبير عن آرائى"، أو "لا تسعفنى اللُّغة فى نقل مشاعرى وأفكارى".

إن الطفل يُولَد مزوَّدًا بآليَّات فكريَّة، ثم يكتسب اللُّغة فيما بعد، ولا يولَد مزوَّدًا باللُّغة ثم يكتسب الفكر، فهو يتعلَّم اللُّغة والفكر فى آنٍ واحد؛ حيث إنه يكتشف أفكاره فى العبارات التى يستعملها[٥١].

يشير اللغوى الأمريكى "لانجاكر" ***Langacker*** إلى أن أنواعًا معيَّنة من الفكر يمكن أن تَحْدُث مستقلة تمامًا عن اللُّغة. ومن الأدلة على ذلك الرغبة فى التعبير عن فكرةٍ ما مع عدم القدرة على صوغها فى كلمات، ويشبه هذا محاولتنا تذكر اسم شخص نعرفه، فلو كان التفكير مستحيلًا دون لغة لَـمَا ظهرت هذه المشكلة أبدًا(٥٢).

وقد تَحْدُث مشكلة عكسيَّة عندما يبدأ الإنسان فى الكلام قبل أن يفكِّر، وما قد يُسبِّبه ذلك من إحساس مزعج(٥٣).

ويؤيِّد هذا ما قاله علماء وفنانون كبار عن فكرهم الإبداعىِّ، من أن هناك فترة من "الحضانة" لفكرة أو مشكلة، يتبعها حلٌّ مفاجئ، بعدَها يواجه المُبْدِع صعوبة هائلة فى وضع نتائج تفكيره فى كلمات. يقول "ألبرت أينشتاين" ***Albert Einstein***:

"إن كلمات اللُّغة ـ مكتوبة أو منطوقة ـ لا يبدو أنها تقوم بأىِّ دور فى آليَّة التفكير الخاصَّة بى".

ويتحدَّث "أينشتاين" عن علامات أو إشارات معيَّنة، وصور واضحة أو غير واضحة يمكن فيها بعد إعادة صياغتها والربط بينها، بوصفها عناصر تفكيره(٥٤).

معنى ذلك أن واقع تفكيره لم يكن متضمِّنًا كلمات اللُّغة، بل كان التخيُّل هو العنصر الأساسىَّ الذى حسَّن قدرته على حل المشكلات الصعبة.

ويذْكُر الكيميائيُّ الشـهير "كيكيـول" المعنـى ذاتـه بالنسـبة إلى التخيُّـل فى اكتشافه لعنصر البنزين[٥٥].

ويَذكُر بعض الموسيقيين كذلك أن بإمكانهم "الاستماع" إلى الموسيقَى التـى يقومون بتأليفها، وذلك حتى قبل أن يعزفوهـا عـلى إحـدى الآلات الموسـيقيَّة، بـل قبل أن يكتبوها على الورق.. ويمكننـا أن نسـمى هـذا النـوع مـن النشـاط الذهنى تفكيرًا غير لغوى أو قبل لغوى[٥٦].

ولعلَّ هذا النوع من التفكـير هـو الـذى مكَّـن الموسـيقىَّ "بيتهـوفن" مـن الاستمرار فى التأليف الموسيقىِّ بعد إصابته بالصَّمَم فى أواخر حياته، فـلا تـزال سيمفونياته التسع ومؤلفاته العديدة نبعًا ينهل منه كل مُحِبّ للموسيقى، وكانـت أعظم موسيقاه على الإطلاق تلك التى أنتجها فى مرحلته الأخيرة الصمَّاء[٥٧].

ينطبق هذا النوع من التفكير على حالات أخـرى مماثلـة؛ كالرسّـام الـذى يتخيل الصورة ويرسمها فى ذهنه قبل أن يرسمها على الورق[٥٨].

ويَذْكُر لنا الدكتور "أحمد عزت راجح" أستاذ علم النفس فى كتابه "أصـول علم النفس" [٥٩] أدوات التفكير، وهى:

- الصور الذهنيَّة.
- الكلام الباطن أو اللُّغة الصامتة.
- التصوُّر العقلى.

ويَـذْكُر أن التجـارب الاسـتبطانيَّة دلَّـت عـلى أننـا نسـتطيع أن نسـترجع

الماضى، وأن نفكِّر دون صور ذهنيَّة ودون كلام باطن، بـل عـن طريـق التصـوُّر العقلى لمعانٍ وأفكار غير مَصُوغَة فى ألفاظ؛ كما فى التفكير الريـاضىِّ والفلسـفىِّ. بل إنَّ ظهور الصور والكلام الباطن فى مثل هـذه الأحـوال قـد يعـوق التفكـير ويُعطِّله عن السير فى مجراه المُتدفِّق(٦٠).

وهذا لا ينفى مُطلقًا علاقة اللُّغة بالتفكير، بل يؤكِّدها، لكنَّـه ينفـى فكـرة عدم القدرة على التفكير من غير لغة، ويؤكِّد أن اللُّغة أهمُّ أدوات التفكير.

٣. اللُّغة ليست الوسيلة الوحيدة للتعبير:

للتعبير عن العواطف نسـتخدم أسـلوبًا آخَـر غـير الألفـاظ، نفهمـه مـن دلالات غير لفظية تتمثَّل فيما يبدو على وجوهنا وأجسامنا من ملامح وإشارات تدل عليها. وقـد كشـفت إحـدى الدراسـات أن (٩٠٪) أو أكثـر مـن رسـائلنا العاطفيَّة غير لفظيَّة، ومن هذه الرسائل حركة العين، ونبرة الصوت، ومـا يبـدو علينا من مظاهر القلق والتوتُّر، وحركة الأجسام، ومظاهر الشوق أو الحنـان أو الحزن أو الفرح والابتهاج، وغيرها.

وللتأكُّد من صدق الفكرة المُعبَّر عنهـا لا يكفـى تحليـلٌ ظـاهرىٌّ للكـلام المسموع، فالتحقُّق من صدق الأفكار المنقولة يَكْمُن فى القدرة على الإدراك غـير اللفظى، وليس فى مجرد فهم الكلمات، وفى هذا كلِّه دليـلٌ عـلى أن اللُّغـة ليسـت الأداة الوحيدة للتفكير(٦١).

غير أن العلماء يتفقون بصفة عامَّة على أن اللُّغة أو الكلمات تُسهِّل إلى حـدٍّ

كبير أنواعًا معيَّنة من التفكير؛ وذلك عن طريق تقديم مقابلات أو رموز يمكن تناولها بسهولة. فنحن جميعًا لدينا فكرة جيدة عن ماهية علم الحساب، ونعرف كيف نجمع ونطرح ونضرب ونقسم، ونحن أيضًا نعرف كلمة "علم الحساب"، التى تُستخدَم علامةً على هذا الإطار المفاهيميِّ المُرَكَّب. وعندما نفكِّر فى الحساب فإننا يمكن أن نستخدم كلمة "حساب" رمزًا فى عمليات تفكيرنا.

إذن فاستخدام الرموز اللفظيَّة يجعل الفكر أسهل فى كثير من الحالات، بل قد يذهب المرء إلى أن بعض أنواع التفكير قد يكون مستحيلًا دون وجود هذه المقابلات السهلة للتعامل معها، خاصَّة فى مجال الأفكار المجرَّدة مثل "العدل" و "الحرية" و "التربية" مثلًا. بل إن مثل هذه المفاهيم ربما لم تكن لتوجَد على الإطلاق لو لم تكن هناك كلمات تُعبِّر عنها[٦٢].

اللُّغة ـ إذن ـ ضروريَّة لاكتساب بعض الجوانب المعرفية، إنها قناةُ تعلُّمٍ. وهناك مفاهيم لا يمكن إدراكها دون لغة؛ مثل "الإلكترون". إنَّها أيضًا نوع من المُرْتَقَى الذى يساعد على الارتقاء نحو قابليات معرفيَّة أكثر تطوُّرًا[٦٣].

يقول اللغوى "جون كارول" ***John Carroll*** فى كتابه "دراسة اللُّغة":

"إن اللُّغة والفكر يُكوِّنان ثُنائيًّا مُتعدِّد العلاقات لا يمكن فصله، بل إن الأفضل القول إن اللُّغة هى أحد الأساليب الأساسيَّة للفكر، وإن الكلام أحد نتائجه المُمْكِنَة، وليس معنى ذلك أن اللُّغة لا تلعب دورًا مُهِمًّا جِدًّا فى الفكر، بل على العكس، فإن آليَّة الاستجابات اللغويَّة ***Linguistic responses*** وتنوُّعها

ـ متى أصبحت هذه الاستجابات مُكْتَسَبَة ـ تجعل من المستحيل أن نُدْرِك أن اللُّغة لا تقتحم باستمرار ما نَصِفه بالفكر"(٦٤).

ثالثًا : ما العلاقة بين الفكر وبين الكلام أو الكلمات التى تعبير عنه؟

إن العلاقة بين اللُّغة والفكر علاقـة جوهريَّـة ذات تـأثير مُتبـادَل؛ فاللُّغـة تصوغ الفكر، والفكر يصوغ اللُّغة؛ ومن هنا يكون العقل فى حركـة دائمـة مـن التفكير؛ فالتفكير يتألَّف مـن عنـاصر لغويَّـة، ومـن ناحيـة أخـرى فـإن العقـل البشريَّ يكتسب الإدراكات الأوَّليَّة عن طريق اللُّغة التى يتلقَّاها منـذ السـنوات الأولى فى حياة الإنسان.

وكُلَّما كانت الأفكـار ناضجة فى الذهن واضحة المَعالم كان التعبـير عنهــا واضحًا، وإذا كانت الأفكار فى مَهْدِها لم تنضج بَعْد انعكـس ذلـك عـلى التعبـير عنها بالكلمـات، حيـث يأتـى التعبيـر عنهـا هُلاميًّا غيـر واضـح المعالــم.

هل يؤدى غموض الفكر إلى غموض اللُّغة المُسْتخدَمة فى التعبير عنه؟ وهل ثمة علاقة بين ثراء اللُّغة وعُمْق التفكير؟

يقول الروائيُّ والكاتب السياسـيُّ الشـهير "جـورج أورويـل" **George Orwell** مُعبِّرًا عن إيمانه بالعلاقة المُتبادَلَة بين اللُّغة والفكر:

" إذا أفسد الفكرُ اللُّغةَ، فاللُّغة أيضًا يمكنها أن تفسد الفكر".

ويقول الصحفى الأمريكى "نيكولاس ويد" ***Nicholas Wade:***

"ما لا يستطيع المرءُ التعبيرَ عنه بالكلمات يَصْعُب عليه التفكير فيه"[(٦٥)].

إنَّ اللُّغـة هـى المعـانى التـى تولَّـدت فى أغـوار الـذهن، وهـذا يعنـى أن

اللُّغـة تعكـس الفكـر تمامًـا، فغموضـها لـيس عَيْبًـا فى الألفـاظ، وإنـما هـو غموض فى الفكر نفسه[٦٦].

ولا شكَّ أن التفكير العميق يستلزم ثـراءً لغويًّـا وعُمْقًـا فى فهـم دلالات وإيحاءات الكلمات المُكوِّنة للبناء اللغوى، فاللُّغـة تلعـب دورًا كبـيرًا فى تكـوين المفاهيم وفى العمليات العقليَّة؛ لذا كانت ضرورة تنمية الثروة اللغويَّـة؛ فتقـديم خبرات لفظيَّة ذات معنى ـ يُسْـهِم فى تطـوير البنـاء المعـرفىِّ، ويُسْـهم فى تطـوير خبرات جديدة، وزيادة مفاهيم جديدة يُضيفها الإنسـان إلى مخزونـه، ومـن ثـم يسهم كل هذا فى تحسين استراتيجيات التفكير.

إن الخبرات اللفظيَّة ذات المعنى تُشكِّل أبنية معرفية، ولذلك تَسْهُل عمليَّة الاحتفاظ بها واسترجاعها، وهى فى الوقـت نفسـه وحـدات التفكـير التـى تـمَّ تخزينها فى البناء المعرفىِّ للفرد؛ حيث إنه بزيادتها تزداد قدرة الفـرد عـلى مُعالجـة الخِبْرات والقضايا والمواقف الجديدة التى يواجهها[٦٧].

نَتبيَّن من ذلك أن الشخص الذى يكـون مخزونـه اللغـوى محـدودًا يكـون تفكيره بالمثل محدودًا، والشخص الذى يكون مخزونه اللغوى غير واضـح وغـير سليم، يكون تفكيره مُـماثلًا فى الغموض والتشويش، والشخص الذى لا يُفـرِّق بين طبيعة المعانى يكون تفكيره مُـماثلًا فى التعمـيم واللَّـبْس؛ مما قـد يـؤدِّى إلى نتائج سلبيَّة، وهكذا تؤثِّر اللُّغة فى تكوين الفكر.

الفكر ـ إذَن ـ يصوغ اللُّغة، ويَعْمَل على تركيب العنـاصر اللغويَّـة؛ حتـى

يَخْرُج التعبير قويًّا ومؤثِّرًا، وعن طريق اللُّغة يمكن للفرد توصيل ما يريد للآخَرين.

فاللُّغة الرديئة تعنى تفكيرًا مُضطربًا مُشوَّشًا.

والتفكير القاصر يعنى لغةً رديئة وتعبيرًا ضعيفًا[٦٨].

واللُّغة هى إحدى وسائل التعبير عن مُكوِّنات العقل البشرىِّ، والتفكير يتطلَّب رموزًا تحمل المعنى الذى يريده الإنسان، والكلمات هى خير ما يُرْمَز به إلى المعانى، وخير وسيلة لتوصيل المعانى إلى الآخرين، فاللُّغة ـ إذن ـ هى القالب الذى يصب فيه التفكير، وكلما ضاق هذا القالب واضطربت أوضاعه ضاق الفكر واختلَّ إنتاجه؛ ومن هنا فإن اللُّغة تُعتبَر من أهم مُقوِّمات المجتمع وعوامل وحدته ونموه الحضارى[٦٩].

❁ ❁ ❁

رابعًا : هل حدود الفكر هى حدود اللُّغة؟ وأنه حيث تتوقَّف هذه يتوقَّف ذاك؟

"إنَّ الفَشَلَ فى التعبير عن المشاعر والأفكار يعنى أن يظلَّ الفكر صامتًا دون كلمات".

متى تَعْجَزَ الكلمات عن التعبير عن المشاعر والأفكار؟

توجَد دلائل كثيرة على امتداد الفكر إلى خارج دائرة اللُّغة وأبعد من حدودها: منها لجوء العلماء إلى اصطناع لغات رمزيَّة للتعبير عن العلاقات أو الوقائع التى يكتشفونها، ومنها تجاربنا الوجدانيَّة التى تَبْلُغ أحيانًا من الخُصوصيَّة والحِدَّة درجة يستحيل معها كلُّ تعبير لغوىّ.

كما يمدنا المُتصوِّفة بدليل آخَر من تجاربهم الروحية، فما يعيشونه من أحوال وما يحصل لهم من مشاهدات، وما يبلغونه من مراتب إيمانيَّة ـ يتجاوز بكثير كل الإمكانات التعبيريَّة للغة المُتداوَلة؛ من هنا جاء لجوؤهم إلى الرمزيَّات أو إحجامهم عن التعبير كما قال "الغزالىّ":

وكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ   فَظُنَّ خَيْرًا وَلَاتَسْأَلْ عَنِ الخَبَرِ

أو قول أكثرهم: "نحن أصحاب أحوال لا أقوال".

أمّا الذين غامروا وتجرَّءوا على الإفصاح والتعبير، فقد غمُضت عباراتهم

وبدت صادمة للحِسِّ المُشترَك؛ كقول "الحلاج":

رَأَيْتُ رَبِّى بِعَيْنِ قَلْبِى فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنْتَا!

ولقد رَدَّ الفيلسوف الفرنسى "هنرى برجسون" ***Henri Bergson*** عجز اللُّغة هذا إلى مَنشئها نفسه، فهى أصلًا أداةٌ ابتكرها العقل المنطقىُّ المُنْشَغِل بالتعامل مع المادَّة والاستفادة منها عن طريق تجزيئها وإخضاعها للقياس، وتصنيفها ضمن مقولات عامَّة، ولا يمكن لمثل هذه الأداة أن تُعبِّر عمَّا هو وجدانى خاصٌّ مُتصل غير قابل للتجزئة وغير منطقىٍّ بالضرورة، وعن تيَّار مُتدفِّق يتصف بالديمومة. يقول "برجسون":

"كل منا يُحِبُّ ويَكْرَه بطريقته الخاصة، وهذا الحبُّ وتلك الكراهية يعكسان شخصيته بكاملها، إلَّا أنَّ اللُّغة ترمز إلى هاتين الحالتين بنفس الكلمات لدى كل الناس، فلا تُعبِّر ـ من ثَمَّ ـ سوى عن الجانب الموضوعىِّ اللاشخصىِّ ـ فى الحبِّ والكراهية وآلاف العواطف الأخرى".

إن الكلمات لا تأتى فقط غير مُتوافقة، بل ومتأخِّرة أيضًا، ففى ذروة الألم لا نملك غير الصياح فقط، ولا نتكلم عن الألم لنَصِفَه، أو بالأحرى لنَصِفَ ذكرياته ومُخلَّفاته إلَّا بعد هدوئه أو زواله؛ لذا يقول "ألفونس دوديه":

" لنتساءل فى البداية عن مَدَى قدرة الكلمات على التعبير عن الألم الحقيقىِّ، إنها تأتى دائما مُتأخِّرة بعد أن يكون كل شىء قد عاد إلى سابق أوانه، إن الكلمات لا تُعبِّر سِوَى عن ذكريات، فهى ـ إذن ـ كاذبة عاجزة "(٧٠).

لقد تطرَّق المُتذرِّعون بأزمة اللُّغة ـ إذن ـ إلى أنها عاجزة أصلًا عن أن تلتقط مُتناهيات الوجدان، والغريب فى هذا الأمر أن كثيرًا من أدباء الغرب الذين انهالوا على اللُّغة باللوم، حُجَّتهم أنها لا تُظْهِر مكنونات الفكر إظهارًا كاملًا، يَعنُون بذلك أن الإنسان عاجز باللُّغة عن إخراج مكنونات قلبه؛ فالكلمات ـ فى نظرهم ـ خدَّاعة، إنها آنية فارغة، والنَّفْس حشو ملىء. هذه الفئة من كُتَّابهم لم تَرَ فى اللُّغة غير تخريب لكيان الوجدان، وليس المقصود هنا الوجدان العادى لكلِّ إنسان، بل الوجدان الطافح بالأخيلة والأفكار المُفْعَمة بأعلى درجات الثقافة. ويُدلِّلون على ذلك بأن المرء يبدأ الكتابة من أوَّل طرف الورقة إلى آخِر طرفها الأسفل دون أن يترك فيها فراغًا، ثم يَشْعُر بأنها أضْيَق من أن تَسَع خواطره الفائضة المُضطربة على أجنحة الخيال، بل وأعْجَز من أن تُصوِّر عواطفه المُلتهبة.

يُفْهَم من هذا أن اللُّغة لا تعبِّر تمام التعبير عن الوجدان؛ إذ هى قاصرة عنه، وكأنها تطفئ لهيب النفس، ونحن نرى كثيرًا ممن يكتبون ـ وهى رؤية لا غُلُوَّ فيها ولا مكابرة ـ لا تعبِّر لغتهم عن الوجدان الجيَّاش، فمعانيهم جِدُّ بسيطة، بحيث يوجَد بين عباراتهم فضاءات ومسافات. فمثل هذه اللغات ـ كمثل هؤلاء الكتاب ـ عاجزة عن أن تفرز الوجدانيات الباطنيَّة؛ لأنها لغات تُوقِفُ تدفُّق الوجدان وتهبط به إلى المستوى العادى ـ إن لم نقل العامِّىّ ـ وهى لا تذوب ذوبان المشاعر؛ لأن مدخلها على صومعة الفكر جِدُّ عسير؛ فالفكر سريع

التحوّل، خفىٌّ الطُّرُقات، يسهل ثم يتعسَّر، والفكـر لا يُعـاد بـالقلم ولا يُرْسَـم بالخط، ولا يتقيَّد بالكلمـة. وبهـذا البـون الشاسـع يقـع التبـاين بـين الوجـدان واللُّغة، خاصَّة عند فطاحل الشعراء ونوابغ الأدباء.. إن الحالة الوجدانيَّـة تهـتمُّ بالكَيْف، والكَيْف لا يخضع لمنطق الكمِّ، كما أن الوجدانيات تتميَّز بطـابع آخَـر، وهو أنَّ الحالة النفسيَّة لا تعود ثانيةً إلى الوجود، فمتى عَـبَرَت صـارت ماضـيًا، وعالَم الباطن لا يرتدُّ إلى الوراء.

على الرغم من كل ما سَبَقَ ذِكْره من آراء المُنادين بالغَضِّ مـن قَـدْر اللُّغـة؛ لعجزها ـ فى زعمهم ـ عن التأدية الوجدانيَّة، فإن اللُّغة فى صميم الوجدان، فإذا توقَّف الوجدان عن أن يكـون لغـة، توقَّـف عـن أن يكـون دلالـة، وإن شـعور الإنسان بالحاجة إلى التعبير يزيد كُلَّما أوغل الفكر فى أعماقـه الغامضـة. وقصـور اللُّغة فى التعبير امتداد لقصور الفكر فى الإدراك، فلـو كـان القصـور فى التعبـير ناتجًا عن اللُّغة لجاء الصمت خَيْر حَلٍّ لهذا الصراع المؤلم بين قوَّة الوجدان وفِعْـل اللُّغة، ولكنْ ما من أحد يُسَلِّم بأنَّ الصَّمْت يَحُلُّ المُعْضِـلَة، ولَـوْلا اللُّغـة لبَقِيَـت اللطيفة الإنسانيَّة كامنة محجوبة يستولى الخفاء على قاصيها ودانيها(٧١).

مجمل القول:

إنَّ علاقـة اللُّغـة بـالتفكير قضـيَّة شـغلت كثـيرًا مـن البـاحثين القـدماء والمعاصرين، وعلى الـرغم مـن أنهـا كانـت دائـمًا موضـع خـلاف، إلَّا أن جميـع الباحثين يكادون يتفقون على وجود مثل هذه العلاقة. والجدل القـائم ـ بحـق ـ

هو حول ماهية هذه العلاقة: هل هى علاقة اتصال أم انفصال؟ ويثير ذلك عديدًا من التساؤلات:

هل اللُّغة ضروريَّة لوجود الفكر، والفكر ضرورى لوجود اللُّغة؟ أيُّهما يسبق الآخر فى الوجود؟ هل يمكن التفكير دون لغة؟ هل ثَمَّة علاقة بين ثراء اللُّغة وعمق التفكير؟ هل يمكن أن تعجز الكلمات عن التعبير عن المشاعر والأفكار؟

تساؤلات وتساؤلات وتساؤلات لم يتم تقديم إجابات جازمة بشأنها حتى الآن، وكل ما لدينا نظريات وفرضيات يطرحها فريق من علماء اللُّغة وعلماء النفس والفلاسفة، ويَرُدُّ عليها فريق آخر بنظريات وفرضيات أخرى داحضة لها. المثير للعجب وللجدل فى الوقت نفسه أن معظم الأفكار المطروحة من قِبَل الفريقين تكاد تكون مُقْنعة، ولكن على الرغم من كل هذا الانقسام والاختلاف حول هذه القضيَّة يمكننا أن نَخْلُص إلى النتائج الآتية:

١. لا يمكن القول بالتطابق أو التلازم بين اللُّغة والفكر فى جميع الحالات، ولا يمكن القول كذلك إن كِلَيْهما مستقلٌّ عن الآخر فى جميع الحالات، ولكن يجب ألَّا نغفل الدور المهمَّ الذى تلعبه اللُّغة سواء فى التفكير أو فى بعض العمليات العقليَّة.

٢. بغضِّ النظر عن أسبقيَّة اللُّغة على الفكر أو أسبقيَّة الفكر على اللُّغة، فلا شكَّ أن كِلَيْهما ضروريٌّ للآخر، وكلًّا منهما يُعزِّز دور الآخر؛ فاللُّغة تساعد

الإنسان على تجسيد فكره وصياغته ونقله إلى الآخرين، ولولاها لاستحال ذلك، والفكر ـ بدوره ـ يُعِين اللُّغة على الدقة والوضوح ويُثريها بالألفاظ.

٣. دون اللُّغة لن يتحقق التواصل بين فكر المتحدِّث والمستمع؛ فعند الكلام يضع المتحدِّث ما لديه من أفكار فى كلمات، وعند الاستماع يقوم المستمع بتحويل الكلمات التى يتلقَّاها إلى أفكار؛ أى أن الكلمات التى يتلقاها تثير لديه أفكارًا معيَّنة... وهكذا دواليك.

٤. اللُّغة أداة تساعد على الفكر؛ فالطفل يتعلَّم التفكير بتعلُّمه للكلام، وكلَّما نَمَت الثروة اللغويَّة لديه زادت قدرته على التفكير المجرَّد والمنطقىِّ.

٥. يتَّسم التفكير الإنسانىُّ بدرجة كبيرة من التطوُّر، ولا شكَّ أن هناك شيئًا ما وراء هذا التطور. هذا الشىء هو اللُّغة؛ فبِنْيَتها التركيبيَّة هى التى تساعد الأفكار على أن تتَّسم بالإنتاجيَّة ***Productivity*** والنظاميَّة ***Systematicity***.

٦. لا ينفى هذا تمتع الأطفال قبل تعلُّمهم الكلام، أو الحيوانات بمَلَكَة التفكير، وإنما يمكن تفسير الأمر بأن اللُّغة تمنح البشر طريقة جديدة ومتطورة فى التفكير عند بلوغهم مرحلة معيَّنة من النمو.

٧. يمكن التعبير عمَّا يدور فى ذهن الإنسان من أفكار بأكثر من وسيلة؛ كالرسم أو الموسيقَى، إلَّا أن اللُّغة تُعَدُّ أكثر الأنظمة التمثيليَّة تميُّزًا فى التعبير عن الأفكار، بل هى أكثرها دقةً وشمولًا ومُباشَرةً؛ فالقواعد التركيبيَّة التى يزخر بها النظام اللغوى هى التى تمنحه هذا التميُّز دون غيره من أنظمة التمثيل الأخرى.

٨. توجد أشكال متعددة من التفكير يمكن أن تتمَّ دون استخدام اللُّغة، إلَّا أن اللُّغة تدعم الأفكار وتجعلها أكثر وضوحًا. قد تُسْتَخْدَم الصور مثلًا ـ كما يذكر البعض ـ فى عمليَّة التفكير، ولكن هذا مشروط بتعزيز هذه الصور بكلمات اللُّغة حتى يكون لها معنى؛ فلا يمكن مثلًا تمثيل محتوى فكرة مُعقَّدة فى الذهن بصورة أو حتى بسلسلة من الصور دون استخدام أى بِنْيَة تركيبيَّة. ولا نستطيع من خلال الصور البصريَّة وحدها التفكير فى أفكار تتضمَّن مثلًا مفاهيم زمانيَّة أو احتماليَّة؛ لأنه لا يمكننا بالصور وحدها تمييز هذه المفاهيم، من هنا يأتى دور اللُّغة فى تمييز هذه المفاهيم وتحديدها تحديدًا دقيقًا.

٩. يتطلَّب التفكير العميق ثراءً لغويًّا وعُمْقًا فى فهم دلالات وإيحاءات الكلمات المُكوِّنة للبناء اللغوى، فلا يمكننا التفكير فى شىء لا تسمح به كفاءتنا اللغويَّة.

١٠. لا يمكن اتِّهام اللُّغة بالقصور والعجز عن التعبير عن المشاعر والأفكار، أو عن الإحاطة بمجملها وتصويرها بدقة ووضوح.

١١. اللُّغة هى المرآة التى تعكس الصورة التى يكون عليها الفكر؛ لذا فإن قصور اللُّغة فى التعبير يُعدُّ امتدادًا لقصور الفكر فى الإدراك، والصعوبة التى يجدها المرء فى التعبير عن فكرة معيَّنة قد ترجع إلى:

- عدم القدرة على تكوين الفكرة نفسها.
- عدم اكتمال الفكرة فى الذهن.

- وجود ضعف فى القدرة على الاسترجاع أو التذكُّر.
- عدم فهم الفكرة من الأساس، فيأتى التعبير عنها هُلاميًّا غامضًا. من هنا لا يكون غموض اللُّغة عيبًا فى الألفاظ، وإنما هو غموض فى الفكر نفسه.

❁ ❁ ❁

مصادر ومراجع الفصل الثالث

(١) د. رضا الموسوى، المدخلات الحسيَّة وآثار غياب الإثارة فى التفكير، جريدة الزمان، العدد: ٢٣٨٠، ٢٢/٤/٢٠٠٦.

(٢) اللُّغة، موسوعة مقاتل من الصحراء، www.moqatel.com.

(٣) د. زهير الخويلدى، الضاد من لغة الهويَّة إلى لغة الفكر، جريدة إيلاف الإلكترونية، www.elaph.com.

(٤) المغنى الأكبر.

(٥) الإنسان والعالَم، www.edunet.tn/ resources/ residsc/ philo.

(٦) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Lawson, Chester A. (1958), Language, Thought, and the Human Mind, East Lansing, Michigan State University Press.*
- *Adams, Parveen (1972), Language in Thinking: selected readings, Harmondsworth, Penguin.*
- *Crystal, D. (1987), "Thought and Language "in Cambridge Encyclopedia of Language", Cambridge: Cambridge Univ. Press.*
- *Castañeda, Hector-Neri (1989), Thinking, Language, and Experience, Minneapolis: University of Minnesota Press.*
- *Carruthers, Peter (2002), The Cognitive Function of Language, Behavioral and Brain Sciences, 25, 657-674.*
- *Lund, Nick (2003), Language and Thought, London; New York: Routledge.*

(٧) *Carroll, John B.(1964). Language and Thought, Englewood cliffs, New Jersey: prentice Hall Inc, 1964, p. 89.*

(٨) *Carroll (1964), Op. Cit., PP. 90 – 96.*

(٩)*Carroll (1964), Op. Cit., PP. 110 – 111.*

(١٠) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Hayakawa, S. I. (1963), Language in Thought and Action, New York, Harcourt, Brace.*

- *Slagle, Uhlan von (1974), Language, Thought and Perception: a proposed theory of meaning, The Hague: Mouton Davidson.*
- *De Cecco, John P. (1967), The Psychology of Language, Thought, and Instruction, New York, Holt, Rinehart and Winston.*

(١١) *Does Thought Depend on Language?*

www.putlearningfirst.com

(١٢) *Crane, Tim (1995). The Mechanical Mind. PenguinBooks. 1995. P. 140*

(١٣) *Silby, Brent (2000). Revealing the Language of Thought. Department of Philosophy. University of Canterbury. NewZealand. PP. 11 – 12.*

(١٤) *Braddon-Mitchell, David., and Jackson, Frank (1996).Philosophy of Mind and Cognition. Blackwell Publishers, 1996. P. 172.*

(١٥) *Braddon-Mitchell & Jackson (1996), Op. Cit., P. 173.*

(١٦) *Silby (2000), Op. Cit., PP. 13 – 15.*

(١٧) *Kaye, Larry, The Language of Thought, University of Massachusetts, Boston. P. 5. www.host.uniroma3.it.*

(١٨) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Stevenson, Rosemary J. (1993), Language, Thought, and Representation, Chichester, England; New York: J. Wiley & Sons.*
- *Kaye, Lawrence J. (1995a), The Languages of Thought, Philosophy of Science, 62, 1, pp. 92-110.*
- *Marmaridou, Sophia, et al. (2005), Reviewing Linguistic Thought, Berlin: Mouton de Gruyter*

(١٩) د. نورى جعفر، اللُّغة والفكر، مكتبة التوفى، تونس، ١٩٧١.

(٢٠) اللُّغة: *www.said-harit.africa-web.org/philosophie/lelangue.htm*

(٢١) د. نورى جعفر، مصدر سابق.

(٢٢) *Butterworth, George. The Origins of Language and Thought in Early Childhood, www.massey.ac.nz.*

(٢٣) *Foulkes, D. (1978). A Grammar of Dreams. New York: Basic Books, Inc., 1978. PP. 178 – 180.*

(٢٤) د. جمعة سيد يوسف، سيكولوجيَّة اللُّغة والمرض العقلى، سلسلة عالَم المعرفة، الكويت، عدد: ١٤٥، ١٩٩٠، ص ١٤٥.

(٢٥) *Slobin, D.I. (1971). Psycholinguistics. London: Scott-Foresman and Comp. Glenview. Illinois. 1971. P. 101.*

(٢٦) د. جمعة سيد يوسف، مصدر سابق، ص ١٤٦.

(٢٧) محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع: النمو النفسى الاجتماعى للطفل فى سنوات تكوينه الأولى، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد: ٩٩، ١٩٨٦، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٢٨) جون ماكفى، الدلالات التشخيصيَّة لاضطرابات الوظائف العصبيَّة العُليا، ترجمة صفيَّة مجدى وآخرين، مرجع فى علم النفس الإكلينيكى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥، ص ١٥٠.

(٢٩) د. نورى جعفر، مرجع سابق.

(٣٠) اللُّغة، موقع فضاء الفلسفة، www.philosophie.jeeran.com.

(٣١) عقبة زيدان، الفكر واللُّغة، جريدة الثورة، ٢٠٠٥/٨/٢٢، www.thawra.alwehda.gov.sy

(٣٢) *Slobin (1971), Op. Cit., P. 98;* دنيس تشايلد، علم النفس والمعلم، ترجمة عبد الحليم محمود السيد، وزين العابدين درويش، وحسين الدرينى، مراجعة عبد العزيز القوصى، القاهرة، مؤسسة الأهرام، ١٩٨٣، ص ١٨١.

(٣٣) اللُّغة، موقع فضاء الفلسفة، www.philosophie.jeeran.com.

(٣٤) فيجوتسكى، (ل. ف.)، التفكير واللُّغة، ترجمة طلعت منصور، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦، ص ٨٣.

(٣٥) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Piaget, Jean (1926), The Language and Thought of the Child, New York: Harcourt Brace.*

- *Piaget, Jean (1953), The Origin of Intelligence in the Child, Translated by Margaret Cook, London: Routledge & Kegan Paul.*
- *Wittgenstein, Ludwig (1953), Philosophical Investigations, Edited by G.E.M. Anscombe and R. Rhees, Trans. G.E.M. Anscombe, Oxford: Blackwell.*
- *Vygotsky, L.S. (1962), Thought and Language; edited and translated by Eugenia Hanfmann and Gertrude Vakar, Cambridge, Mass: M.I.T. Press.*
- *Hildum, Donald C. (1967), Language and Thought; an enduring problem in psychology, Princeton, N.J.: Van Nostrand.*
- *Sellars, Wilfrid (1969), "Language as Thought and as Communication", Philosophy and Phenomenological Research 29: 506-527.*
- *Cowan, Joseph Lloyd (1970), Studies in Thought and Language, Tucson: University of Arizona Press.*
- *Donald (1975), "Thought and Talk", in Samuel Guttenplan, ed., Mind and Language, Oxford University Press, pp. 7-23. (Reprinted in Davidson 1984a.).*
- *Piaget, Jean. (1983), "Piaget's Theory" in Handbook of Child Psychology, 1983. Edited by Paul H. Mussen, editor: Willian Kessen.*
- *Harris, R. (1988), Language, Saussure and Wittgenstein, London: Routledge.*
- *Chomsky, Noam (1993), Language and Thought, Wakefield, R.I.: Moyer Bell.*
- *Garfield, Jay (1999), "Thought as Language: A Metaphor Too Far". Paper presented as part of the Erskine lecture series at the Department of Philosophy, University of Canterbury, 18th May 1999.*
- *Westendorp, Grard (2006), From Language as Speech to Language as Thought: the great leap in evolution, Lewiston, NY: Edwin Mellen Press*

(٣٦) أحمد شوقي رضوان، عثمان بن صالح الفريح، الرياض: عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الملك سعود، ط٣، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م، ص٧.

(٣٧) *Cromie, William J. (2004). Which Comes First: Language or Thought? Babies Think First. Gazette Newspaper. 2004,. www.news.harvard.edu/gazette/2004/07.22/21-think.htm*

(٣٨) جوديث جرين، التفكير واللُّغة، ترجمة: عبد الرحمن عبد العزيز العبدان، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠، ص ١١١.

(٣٩) جرين، المرجع السابق نفسه، ص ١١٩.

(٤٠) عبد العزيز محمد الذكير، التفكير بصوت مسموع، جريدة الرياض، ١٤١٦/١/٣ هـ (١٩٩٥/٦/١م)، ص ٨.

(٤١) د. أحمد شفيق الخطيب، اللُّغة والفكر، ٢٠٠٦، *www.arabswata.org*.

(٤٢) اللُّغة، موقع فضاء الفلسفة، *www.philosophie.jeeran.com*.

(٤٣) صوتنا الداخلى الصامت، ماذا يقول لنا؟، المجلة الثقافية، *www.ju.edu.jo*

(٤٤) أحمد شوقى رضوان، مصدر سابق، ص٦.

(٤٥) د. أحمد شفيق الخطيب، مصدر سابق.

(٤٦) د. رضا الموسوى، مصدر سابق.

(٤٧) د. الطيب بو عزة، هل يمكن أن نفكر بدون لغة؟ مجلة العربى، العدد: ٤٢٦، ذو القعدة ١٤١٤ هـ.

(٤٨) ما هى علاقة اللُّغة بالتفكير؟ صحيفة الجزيرة اليومية، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الخميس ٢٢ رجب ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى، *www.suhuf.net.sa*.

(٤٩) *Slobin (1971), Op. Cit., PP. 116 – 117;* د. أحمد شفيق الخطيب، مصدر سابق.

(٥٠) *Carroll (1964), Op. Cit., PP. 73 – 74.*

(٥١) ما هى علاقة اللُّغة بالتفكير؟ صحيفة الجزيرة اليومية، مصدر سابق.

(٥٢) *Langacker, Ronald W. (1973). Language and its Structure.*

San Diego: Harcourt Brace Jovanovich,Publishers. Secondedition. 1973. P. 36.

(٥٣) جرين، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٥٤) *Slobin (1971), Op. Cit., P. 100*

(٥٥) د. رضا الموسوى، مصدر سابق.

(٥٦) *Carroll (1964), Op. Cit., P. 76.*

(٥٧) د. سامر سقا أمينى، صُم عظماء، *scs-net.org*.

(٥٨) د. أحمد شفيق الخطيب، مصدر سابق.

(٥٩) د. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص ٢٩٦.

(٦٠) المرجع السابق نفسه، ص ٢٧٠.

(٦١) ما هى علاقة اللُّغة بالتفكير؟ صحيفة الجزيرة اليومية، مصدر سابق.

(٦٢) *Langacker (1973), Op. Cit., P. 37*، د. أحمد شفيق الخطيب، مرجع سابق.

(٦٣) محمد الدنيا، دور اللُّغة فى تكوُّن الفكر عند الطفل، العلم والحياة الفرنسيَّة، *www.an-nour.com/204/science-01.htm*

(٦٤) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- ***Keller, Helen (1909), The World I Live In, London: Hodder and Stoughton.***
- ***Weiskrantz, L. (1988), Thought Without Language, Oxford [England]: Clarendon Press; New York: Oxford University Press.***
- ***Schaller, Susan (1991), A Man without Words, Forward by Oliver Sacks. USA: University of California Press, 1991.***
- ***Gauker, Christopher (1994), Thinking Out Loud: An Essay on the Relation between Thought and Language, Princeton University Press.***
- ***Marschark, Marc... [et al.], (1997), Relations of Language and Thought: the view from sign language and deaf children, New York: Oxford University Press.***

• *Cole, David (1997). "Hearing Yourself Think: natural language, inner speech, and thought", http://www.d.umn.edu/~dcole/hearthot.htm.*

• *Zheng M.& Goldin-Meadow S. (2002), Thought before language: how deaf and hearing children express motion events across cultures,*

• *Cognition, Volume 85, Number 2, September 2002, Elsevier*

• *pp. 145-175(31).*

• *Napoli, Donna Jo (2003), Language Matters, Oxford University Press.*

• *José Luis Bermúdez (2003), Thinking without Words, Oxford University Press US.*

• *Lurz, Robert W. (2007), In Defense of Wordless, Thoughts About Thoughts, Mind & Language, Volume 22, Number 3, June 2007, Blackwell Publishing, pp. 270-296(27)*

(٦٥) *Wade, Nicholas (1999) The Science Times Book of Language and Linguistics, 1999.*

(٦٦) مبارك محمد برير، اللُّغة والفكر، صحيفة الرأى العام السودانية، جامعة أم درمان الإسلامية، www.rayaam.net.

(٦٧) ما هى علاقة اللُّغة بالتفكير؟ صحيفة الجزيرة اليومية، مصدر سابق.

(٦٨) مبارك محمد برير، مصدر سابق.

(٦٩) وفاء البيه، علم النفس اللغوى، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤ ص ١٢٦.

(٧٠) اللُّغة، موقع فضاء الفلسفة، www.philosophie.jeeran.com.

(٧١) عبد الله بن تركى البكر، اللُّغة وعلاقتها بالفكر والوجدان: دراسة تحليلية، النادى الأدبى بحائل، www.mnaabr.com.

الفصل الرابع

تأثير اللُّغة على الفكر

تساؤلات مطروحة:

- هل للغة تأثير على الفكر؟
  - هل تؤثِّر اللُّغة فى تشكيل الفكر؟
  - هل المُتحدِّثون بلغات مختلفة يرون العالَم بطرق مختلفة؟
- هل تَعْكِس اللغات المختلفة ثقافات وأفكارًا ومُعتقدات مختلفة؟
- هل يُمْكِن استخدام اللُّغة فى التأثير على عقول البَشَر وأفكارهم ومُعتقداتهم وتوجُّهاتهم؟
- هل اللُّغة الأم هى لغة التفكير الوحيدة؟

أولا : هل للغة تأثير على الفكر؟

هــل تــؤثِّر اللُّغــة فــى تشــكيل الفكــر؟ وهــل يــرى المُتحــدِّثون بلغــات مختلفة العالَم بطرق مختلفة؟

يقول "بنيامين لى وورف": "تُشكِّــل اللُّغـة الطريقــة التــى نُفكِّــر بهــا، وتُحـدِّد مـا نستطيـع التفكـير فيـه".

ذلك أن للُّغة دورًا أساسيًّا فى تكوين نظرة الإنسان للكون، فاللُّغة ليست فقط أداة ووسيلة يستخدمها الفكر، بـل هـى أيضًـا الوعـاء الـذى فيـه يَتشـكَّل الفكر. والبرهان على ذلك أن الطفل منذ ولادته يتعلَّم التفكير بواسطة كلمات لغة مُجْتَمَعِهِ الذى يشبُّ فيه؛ ويتوقَّف عالَمـه الفكـرى عـلى إمكانـات لغتـه الأمِّ. وخُصوصيَّةُ الأُمَّة وخصوصيَّةُ اللُّغة مُترابطتان معًا؛ ومن ثـم فـإن تفكـير الأُمَّـة وكلامها مُترابطان أيضًا؛ فتصبح اللُّغة مَخْزَنًا لتجارب الأُمَّة فتنقلها من جيـل إلى جيل، أى أنها ناقلة للتراث الذى ـ بدوره ـ يُحـدِّد النظـرة إلى قـيم الحـق والخـير والجمال، وإلى الكون بشكل عام.

فاللُّغة أوسع من أن تكون أداة، بل أوسع من أن تكـون مُحْتـوَى، بـل هـى معنى يُحدِّد المعرفة تمامًا كما يُحدِّد المهندس المَنْزِل على رغبة المالِك.

تُفكِّر الجماعة داخل لغتها التى تتكلَّمها، فهى ـ إذن ـ التى ترسم تصـوُّرها للعالَم، وهى الناظِم لتجاربها، وهـى المُحـدِّد للتفكـير، فالإنسـان يُفكِّـر حسـبما يتكلَّم.

أى أن اللُّغة هى التى تُحدِّد قدرة الإنسان على الكلام، وهى التى تُحدِّد قدرته على التفكير، والبرهان على ذلك هو أن الشخص الذى يتحدَّث عِدَّة لغات هو عِدَّة أشخاص، تُحدِّده اللُّغة التى يتحدَّث بها[1].

هل نَفْهَم من ذلك - إذن - أن المُتحدِّثين بلغات مختلفة يُفكِّرون بطرق مختلفة؟

أجاب لنا عن هذا السؤال كل من اللغوى والأنثروبولوجى الأمريكى الشهير "إدوارد سابير" ***Edward Sapir*** (1844 –1939) وتلميذه اللغوى الأمريكى "بنيامين لى وورف" ***Benjamin Lee Whorf*** (1897–1941).

لم يكتفِ "سابير" و"وورف" فى دراستهما للعلاقة بين اللُّغة والثقافة بمُجرَّد إيضاح الصِّلات الخارجيَّة بين مفردات اللُّغة ومُحْتَوَى الثقافة، وتبيان أن هذه المفردات تعكس - إلى حَدٍّ كبير - اهتمامات المجتمع وأوجه نشاطه المختلفة، بل توصَّلا إلى أن اللُّغة تتدخَّل فى تحديد وتركيب أنماط التفكير السائدة.

فكما أن الفنان وعالِم النبات ينظران إلى الأشجار والنباتات والأزهار من وجهتين مختلفتين، كذلك الحال بالنسبة للجماعات التى تتكلَّم لغات مختلفة، فهى تنظر إلى العالم نظرات مختلفة، وتُدْرِكه بطرق مختلفة، وهذا معناه أن الاكتفاء بدراسة العلاقة الواضحة بين اللُّغة والثقافة لا تَعْنِى أكثر من أن اللُّغة لها أساس ثقافى.

وقد جاءت مُحاوَلات "سابير" و"وورف" فى دراسة التأثير الفاعل بين اللُّغة

وأنماط التفكير بمنزلة نقض للتصوُّر السائد الذى يرى أن اللُّغة مِرْآة للواقع الذى نَعِيه دون وساطة من اللُّغة، ثم تجيء اللُّغة بعد ذلك لوصف هذا الواقع. ولـمَّا كان هذا الواقع مُتشابهًا إلى حَدٍّ بعيد لدى الجميع، اعتبارًا من عدم اختلاف البيئة والمجتمع فى نظرهم، فإن اللغات تتماثل جميعًا فى جوهرها، وفى طريقة وصفها لهذا الواقع.

وتعارضت هذه المحاولات كذلك مع الفكرة القائلة بأن سلوكنا هو الذى يُحدِّد أقوالنا؛ أى أن الناس يفعلون أوَّلًا، ثم يصفون أفعالهم بعد ذلك. ويمكن رَدُّ هذه المحالاوت إلى ما قدَّمه فى ألمانيا "يوهان هيردر" ***J.Herder*** و"يوهان فيخته" ***J.Fichte*** و"ماكس نورادو" ***M.Noradow***، و"فلهلم فون همبولت" ***W.Von Humboldt***، ممَّن توصَّلوا إلى أن معرفة صورة العالم أو رؤية العالم تتأتَّى من خلال اللُّغة، حيث تَكْمُن فى كل لغة رؤية مُحدَّدة للعالم؛ ومِنْ ثَمَّ فإن اللغات لا تختلف فى أصواتها ورموزها فحسب، بل أيضًا فى رؤيتها للعالم.

وفى هذا الصَّدَد، قدَّم "سابير" محاولته فى إثبات أن الجماعات التى تتكلم بلغات مختلفة تعيش فى عوالمِ من الواقع مختلفة، وأن هذه اللغات تؤثر بدرجة كبيرة فى مُدْرَكاتهم الحسيَّة وفى أنماط تفكيرهم ورؤيتهم للعالم.

ويتلخَّص مبدأ "سابير" فى أن اللُّغة التى تنتمى إلى مُجتمع مُعيَّن، ويتكلمها أبناء هذا المجتمع، ويفكرون بواسطتها، هى المُنَظِّم لتجربة هذا المجتمع، ولذا

فهى التى تصوغ عالم أعضائه وواقعهم، حيث كل لغة تنطوى على رؤية خاصَّة للعالم[٢].

إن اللُّغة لديه نظام ثقافى اجتماعى، يتميَّز بالنِّسْبِيَّة والتغيُّر والاصطلاح، وهى تحمل وظيفة أساسيَّة هى الاتصال، ما دام هدفها الأساسى هو التعبير عن الأفكار والرغبات والعواطف عند الجماعة التى تتكلمها.

وعلى الرغم من أن المجتمع يَحْظَى بوسائل اتصال أخرى، فإن اللُّغة تَبْقَى أهَمّها؛ نظرًا لكونها: "تحقيقًا صوتيًّا لَمِيْل الإنسان إلى رؤية الواقع بطريقة رمزية"[٣]، وهو ما يَعْنِى أن الواقع الخارجى يتمثَّل فى الذهن ضمن نظام من الرموز يُدْعَى "الفكر".

وإذا كانت اللُّغة تتأثر مُباشرةً بالإطار الواقعى الذى يُحيط بمُستعمليها، فمن البدهى أن تعكس ـ بدرجات مُتفاوتة ـ عناصر هذا الإطار وترتيباته. ويُميِّز "سابير" بين المجال الطبيعى والمحيط الاجتماعى؛ حيث: "إن اللُّغة لا تعكس المجال الطبيعى إلَّا فى نطاق تأثُّره بالعوامل الاجتماعية؛ أى أن تأثير هذا المجال على اللُّغة يَنْحَصِر فى المحيط الاجتماعى، لكن لا بُدَّ من الإشارة إلى وجود عوامل اجتماعيَّة تَنْتُج عن احتكاك الإنسان بالعالم الطبيعى؛ لذلك فإن مفردات اللُّغة تعكس بصورة واضحة المجال الطبيعى والمحيط الاجتماعى للجماعة التى تتكلمها"[٤].

ويذهب "سابير" إلى القول أن اللُّغة لا تَدُلُّ فقط على المَرْجِع الاجتماعى،

بل تعكس كذلك بعض الخصائص النفسيَّة للمُتكلِّم أو الجماعة من زاوية اختيار المفردات أو العبارات أو البِنَى النحوية، ويتمُّ ذلك بطريقة شبه مُسْتَقِلَّة عن محتوى الرسالة اللغويَّة ومضمونها التعبيرىِّ.

فاللُّغة ليست مُجرَّد نَسَق مَرْجِعى ***System of reference***، بل هى نَسَق تعبيرى ***Expressive*** أيضًا. فكل رسالة لغويَّة تَحْمِل مجموعة رموز موجودة دائمًا، لكنها تظهر وتختفى وفقًا للسياق والقرينة؛ إذ: "لا يُفْتَرَض لفهم قصيدة مثلًا معرفة مُخْتَلف كلماتها فى معناها العادىِّ وحسب، بل كذلك معرفة مُجْمَل حياة الجماعة والمجتمع التى تنعكس فى هذه الكلمات، أو التى توحى بها"(٥).

وعندما يقول "سابير": إن اللُّغة دليل الواقع الاجتماعى ومِرْآة العالم الحقيقية، فإنه يعنى بذلك أنها نتيجة إسقاط لا إرادى للعادات اللغويَّة على الواقع المحيط. وهو يتَّفِق مع "فرديناند دى سوسير" ***F.de Saussure*** فى قوله إن اللُّغة ليست كما يظن البعض لائحة تضم مختلف عناصر التجربة التى يستطيع الأفراد تمييزها، فهى فى رأيه نظام رمزى خلَّاق لا يرجع إلى التجربة المباشرة للإنسان فحسب، بل يُحدِّد كذلك أبعاد هذه التجربة ويُقنِّنها؛ لأن المرء يُسْقِط بِنْيَة لغته الداخليَّة على حقل تجاربه.

وهكذا، فاللُّغة التى تتشكَّل لحاجة اجتماعيَّة وضمن إطار الجماعة تؤثِّر بشكل مباشر على كيفيَّة إدراك هذه الجماعة لمحيطها وواقعها، وهى تتمتَّع بدور أساسى وفعَّال فى عمليَّة المعرفة، ما دامت أهمُّ وظائفها تَكْمُن فى تقصِّى الواقع؛

أى أنها تؤثر تأثيرًا مباشرًا فى التجربة الفرديَّة والاجتماعيَّة على حَدٍّ سـواء؛ ومـن ثَمَّ "فمن الخطأ تصوُّر أن الإنسان يتكيَّف مع واقعه دون اسـتخدام اللُّغـة، أو أن اللُّغة هى مُجرَّد وسيلة عارضة لحَـلِّ مشـكلات الاتصـال والتفكـير؛ وذلـك أن جوهر القضيَّة يَكْمُن فى أن العالم الواقعى مَبْنِيٌّ بطريقـة لا واعيـة، عـلى أسـاس عادات الجماعة اللغويَّة"(٦).

وقد وسَّعَ هذه الفكرةَ وأعطاها أبعادها التجريبية تلميذُ "سابير" ومُساعده "بنيامين وورف"، الذى كان أوَّل من قام بدراسة شاملة للُغاتِ القبائل الهنديَّة فى أمريكا الشمالية، وبخاصَّة لغة قبيلة "الهوبى **Hopi**". وقد طبَّق مبـدأ "سـابير" فى هذا المجال، وتوصَّل إلى فرضيَّة عُرِفَت فيما بعد بـ " فرضيَّة سابير- وورف"(٧).

وتقوم هذه الفرضيَّة على رُكْنَيْن:

١. **الحتميَّة اللغويَّة *Linguistic Determinism***: وتعنى أن اللُّغة تَحْكُم الفكر؛ لذا فإن المتكلم لأى لغة يقع تحت سيطرة تلك اللُّغة ـ كما قال "سـابير"ـ؛ لأنها تفرض عليه الطريقة التى يفكر بها.

٢. **النسـبيَّة اللغويَّـة *Linguistic Relativity***: وتعنــى أنــه لا حَــدَّ للاختلافـات البنيويَّـة بـين اللغـات؛ أى أن المتكلمـين بلغـاتٍ مختلفـة لـديهم إدراكات وتصوُّرات مختلفة عن العالَم. يقول "وورف" فى هذا الصَّدَد:

"إن النَّسَق اللغوى ليس أداة لإعـادة إنتـاج الأفكـار المنطوقـة، وإنـما هـو المُشـكِّل للأفكـار، وهـو المُـبَرْمِج والمُوَجِّـه للنشـاط العقـلى للفـرد، ولتحليـل

الانطباعات، وصياغة وحدات التفكير. هذه الصياغة للأفكار ليست عمليَّة مستقلة، وإنما هى جزء من النحو، وتختلف من لغة إلى أخرى"[٨].

يُوجَد شكل آخَر لهذه الفرضيَّة اقترحه الفلاسفة الألمان فى القرن العشرين، حيث زعموا أن مَنْطِق "أرسطو" ***Aristotle*** كان من الممكن أن يكون مختلفًا عمَّا هو عليه الآن لو كان "أرسطو" مكسيكيًّا مثلًا [٩].

يُثير هذا تساؤلًا مهمًّا: هل البَشَر يتصوَّرون الأشياء بطرق مختلفة، أم أنهم فقط يتكلمون عن الأشياء بأشكال مختلفة؟

لنَضْرِب بعض الأمثلة فى مُحاوَلة للإجابة عن هذا السؤال:

- يستعمل أفراد قبيلة "الهوبى" الهنديَّة الحمراء كلمة واحدة للتعبير عن: الحشرة، والطائرة، وقائد الطائرة.
- فى مُقابِل هذا تستعمل قبائل "الإسكيمو" كلمات مُتعدِّدة لأنواع الجليد المختلفة.
- لا توجَد لدى قبيلة "الزونى" كلمتان مختلفتان للتعبير عن اللَّوْنَيْن الأصفر والبرتقالى، ولا توجد فى بعض اللغات سوى كلمة واحدة للونين الأخضر والأزرق. وبينما نجد ست كلمات مختلفة فى الإنجليزيَّة والعربيَّة للألوان الأرجوانى والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالى والأحمر، نجد أن المُتحدِّثين بلغة "الشونا" ***Shona*** فى "روديسيا" لديهم أربع كلمات فقط، أمَّا المُتحدِّثون بلغة "باسَّا" ***Bassa*** فى "ليبيريا" فلديهم كلمتان فقط.

- وفى الإنجليزيَّة تُتَرْجَم كلمة ***"Uncle"*** إلى أربع كلمات فى العربيَّة هى: العم، والخال، وزوج العمَّة، وزوج الخالة، ومثلها كلمة ***"Aunt"*** التى تُتَرْجَم إلى: العمَّة، والخالة، وزوجة العم، وزوجة الخال. أما كلمة ***"Cousin"*** فتُتَرْجَم إلى ثمانى كلمات هى: ابن العم وابن العمَّة، وابن الخال وابن الخالة، وبنت العم وبنت الخال، وبنت العمَّة وبنت الخالة.

هذا على مستوى المفردات. أمَّا على مستوى الفصائل النحويَّة فإن المُتحدِّثين بالإنجليزيَّة مثلًا يميلون إلى التفكير فى الأسماء كأشياء، وفى الأفعال كأحداث، بينما يُعبِّر أفراد قبيلة "الهوبى" عن أشياء مثل وميض البرق وألسنة النار ونفثات الدخان كأفعال(١٠).

ومن بين الفصائل النحويَّة الأخرى التى تختلف فيها اللغات فصيلة النوع؛ ففى الفرنسيَّة ـ كما هو الحال فى العربيَّة ـ يُصنَّف كل اسم باعتباره مُذكَّرًا أو مؤنثًا. فكلمة "جُبْن" مثلًا مُذكَّرة فى الفرنسيَّة، أما كلمة "لحم" فمؤنثة. وفى الألمانيَّة فإن كلمة "جُبْن" مُذكَّرة أيضًا، ولكن كلمة "لحم" جماد. وكلمة "الشمس" مؤنثة فى العربيَّة والألمانيَّة، فى حين أن كلمة "القمر" مذكرة فى هاتين اللغتين، ولكنهما عكس ذلك فى الفرنسيَّة وفى لغة الشعر فى الإنجليزيَّة المُعاصِرة(١١).

ومن أوجه الاختلاف بين اللغات استخدام ضمائر الخطاب. فالضمير ***"you"*** فى الإنجليزيَّة يقابل: أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، وأنتن (حيث لا تفرقة فى النوع، ولا فى العدد)، بل إن أوجه الاختلاف قد توجد بين لهجتين من لهجات

اللُّغة نفسها، وعلى سبيل المثال استخدام بعض التونسيين للضمير "أنتِ" فى مخاطبة المُفْرَد المذكَّر أحيانًا!

والآن ننتقل إلى مثال يوضِّح كيفيَّة اختلاف اللغات بعضها عن بعض، أو كيفيَّة اختلاف نظرة المُتحدِّثين باللغات المختلفة إلى حَدَث بسيط(١٢):

عندما نُلاحِظ جِسْمًا من النوع الذى نُسمِّيه "حَجَرًا" يتحرَّك فى الهواء فى اتجاه الأرض، فإننا نُحلِّل الظاهرة بين هاتين الفكرتين معًا تحليلًا شكليًّا أو نحويًّا معينًا مناسبًا للُّغةِ العربيَّة أو الإنجليزيَّة، ونقول إن "الحجر يسقط": ***The stone falls***.

ولكن ينبغى ألا نفترض أن هذا هو التحليل الوحيد المناسب؛ إذ إننا لو نظرنا فى الطرق التى تُعبِّر بها بعض اللغات الأخرى عن هذا الحدث البسيط، فإننا سرعان ما ندرك أنه من الممكن الإضافة إلى شكل تعبيرنا، أو أن نحذف منه، أو أن نُعيد تنظيمه، دون تغيير جوهرى لوصفنا للحقيقة.

- ففى الألمانيَّة والفرنسيَّة والعربيَّة لا بدَّ من أن نُحدِّد ما إذا كانت كلمة "حجر" مذكَّرة أو مؤنثة، فنقول: "الحجر يسقط" وليس "الحجر تسقط".
- أمَّا فى لغة "التشيبيوا" ***Chippewa*** ـ وهى إحدى لغات الهنود الحُمْر ـ فلا يُمْكِن أن نُعبِّر عن هذا الحَدَث دون الإشارة إلى أن الحجر جماد.
- أمَّا الروس فإنهم قد لا يجدون أهميَّة لتحديد ما إذا كان الحجر معرفة أو نكرة؛ بمعنى أنهم قد لا يُبالون بالفرق بين "حجر يسقط" و "الحجر يسقط".

- أمَّا هنود الكواكيتول فى كولومبيا فلا بدَّ من أن يفرقوا بين ما إذا كان الحجر مرئيًا أو غير مرئى للمُتكلِّم فى لحظة الكلام، وبين ما إذا كان أقرب إلى المتكلم أو المُخاطَب، أو لشخص ثالث، كما أنهم يمكن أن يُعمِّموا فيستخدموا جملة يمكن أن تنطبق على حجر واحد أو عدة أحجار، غير أنهم لا يُحدِّدون زمن السقوط.
- أمَّا الصينيون فإنهم يكتفون بالحَدِّ الأدنَى من التعبير فيقولون: "حجر يسقط"، أو ما يُقابِل **"Stone falls"** بالإنجليزيَّة.
- وأخيرًا، فى لغة "النوتكا" ***Nootka*** ليس هناك ضرورة للإشارة تحديدًا إلى الحجر، ولكن تكفى كلمة واحدة عبارة عن فعل يتكوَّن من جزأين: الأول يشير إلى شىء يُشْبِه الحجر، بينما يشير الثانى إلى الاتجاه إلى أسفل.

يوضِّح لنا هذا المثال أن الفصائل النحويَّة الإجباريَّة للُّغة التى نتكلمها ـ تجعلنا ننتبه بشكل خفىٍّ إلى مُكوِّنات أو خصائص مختلفة للمواقف، وإلى أن نلقى بالًا إلى جوانب معيَّنة من الواقع من حولنا، على الأقلِّ عندما نتكلَّم.

ومن الأمثلة الأخرى للاختلاف بين اللغات الذى قد يؤدى إلى بعض الصعوبات فى التواصل والتفاهم، ما يُعانيه اليابانيون عندما يزورون فرنسا مثلًا؛ إذ إن اليابانيين يضعون الفعل فى نهاية الجملة، ولذا لا بُدَّ من الاستماع للمُتحدِّث حتى النهاية لفهم ما يريد قوله. أمَّا الفرنسيون فيضعون الفعل بعد الاسم مباشرةً فى الجملة، ويفهم المُسْتَمِع معنى الجملة بسرعة، وقد لا يتورَّع

لهذا السبب عن مُقاطعة مُحدِّثه. بالإضافة إلى ذلك فإن اليابانى عندما يَرُدُّ على سؤال يبدأ بتقديم مختلف الآراء قبل أن يختم بتقديم رأيه الخاصّ. فإذا كان اليابانى لا يُجيد الفرنسيَّة، فإن الفرنسى قد يُقاطعه بسرعة مُعتقدًا أنه يُساعده بذلك، وتكون النتيجة أن يَشْعُر اليابانى بالإحباط؛ لأنه قدَّم رأيًا غير رأيه، كما يشعر بالتوتُّر؛ لأنه لم يجد الوقت الكافى للتعبير عن نفسه أو حتى فهم ما يقوله الفرنسىّ(١٣).

كانت هذه بعض الأمثلة التى حاولنا من خلالها الإجابة عن ذلك التساؤل المُثار بشأن الاختلافات بين اللغات، وما إذا كانت هذه الاختلافات تَكْمُن فى طرق تصوُّر البشر للأشياء، أم فى الأشكال التى يُعبِّرون من خلالها عن هذه الأشياء؟

لقد أثارت فرضيَّة "سابير ـ وورف" جَدَلًا وخِلافًا واسعًا؛ لذا نجد أن العلماء والباحثين قد انقسموا حولها فريقين: مؤيِّد ومُعارِض.

الفريق المؤيِّد:

تأثَّر عديد من الكُتّاب والباحثين بالنسبيَّة اللغويَّة، وقالوا بإمكانيَّة الرَّبط بين اختلاف بِنْيَة اللُّغة واختلاف طريقة رؤية العالَم، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

"Kluckhohn" و"لايتون" ***Leighton*** (1946)، و"لورا ثومبسون" ***Laura Thompson*** (1950)، و"هويجر" ***Hoijer*** (1953).

يَـذْكُر ***"Kluckhohn"*** و ***"Leighton"*** ــ عـلى سـبيل المثـال ـ أن لغـة "النافاهو" ***Navaho*** تختلف عن لغتهما الإنجليزيَّة اختلافًـا جـذريًّا، لدرجـة أن فهم عقليَّة المُتحدِّثين للنافاهو مشروط بفهـم بِنْيَـة لغـتهم، والـدليل عـلى ذلـك الصعوبة الكبيرة التى يواجهها المُترجِم الذى يحاول ترجمة نَصٍّ مـن النافـاهو إلى الإنجليزيَّة؛ وذلك نظرًا لأن اللغتين تُمثِّلان عالمَين مُختلفين(١٤).

أمّا "مارك آبلى" ***Mark Abley*** فيُجادل فى كتابه المُعَنْـوَن بـــ "مَحْكِيَّـة هنـا: رحلات بين لغات مُهدَّدة" بأن اللُّغة هى أكثر من مجرد وسيلة للاتصـال، حيـث يرى أنها طريقة "لبناء العالم" وبوَّابة تَنْفَتِح على ثقافة معيَّنة وهويَّة مُحدَّدة.

يتعاطف "آبلى" فى نظريتـه مـع أطروحـات "بنيـامين لى وورف" و"إدوارد سابير"، فعلى الرغم من أن نظـريتهما أصـبحت الآن هامشـيَّة بالنسـبة إلى التيَّـار العامِّ السائد فى فلسفة اللُّغة، إلَّا أننـا نجـده يـدعمها عـن طريـق الأمثلـة التـى يوردها فى الحالات التى يدرسها، وهذا يُذكِّرنا بقول "سابير":

"إن العوالم التى تعيش فيها الثقافات المختلفة هى عوالم مُتميِّـزة ومُنفصـلة بعضها عن بعض، وليست مجرد عالم واحد يَبْقَى هو نفسه بينما تختلف التسميات المُلْحَقَة به".

أى أنه من خلال اللُّغة تُتاح لنا وسيلة لتكوين هذه العـوالم، ولـيس فقـط النظر إليها من خلال شباك تلك اللُّغة.

فمثلًا، نلاحظ أن الناطقين بلغة "يوشى" فى "أوكلاهوما" لا يُميِّزون لغويًّـا

بين البشر والكائنات الحيَّة الأخرى، ولكن بين المُتكلِّمين بلغة اليوشى والمخلوقات الأخرى.

أمَّا الناطقون بلغة "ميكماك" - وموطنهم ولاية "مين" الأمريكية وذلك الجزء من كندا المُطِلّ على المحيط الأطلسيِّ- فلديهم تركيب لغوى يُلائم نظرتهم إلى عالم الواقع بصفته حالة من التغيُّر المستمر، حيث تتحوَّل المادَّة إلى طاقة، والطاقة إلى مادَّة باستمرار، وينعكس ذلك فى لغتهم؛ إذْ نلاحظ شُحًّا فى الكلمات التى تشير إلى أشياء صلبة وثابتة فى العالم حسب نظرهم.

فى بعض الأحيان تعطينا المصطلحات اللغويَّة فكرة قيِّمة تساعدنا على تفهُّم الرموز والآليَّات الاجتماعيَّة التى يستخدمها شعبٌ ما، فمثلًا فى لغة "الهورون" (التى يتحدث بها قوم يعيشون فى كندا قرب مقاطعة كويبك) يوجد تعبير يقول "دهنوا فروة رأسه بالزيت عدَّة مرات"، والمقصود به أنهم "سلَّموا عليه باحترام". وحسب لغة "جارو" التى يتحدَّث بها سكان أستراليا الأصليون فإن قولهم: "لديه آذان" يعنى أنه حكيم، لذلك فعبارة "ليس لديه آذان" تعنى أنه غير حكيم، أو سخيف. وعندما يقولون إن شخصًا ما أصمّ، فهم يقصدون بذلك أنه غبى أو أحمق[١٥].

يرى الدكتور "محمد شوقى الفنجرى" كذلك أن هناك علاقة عضويَّة وثيقة بين الفكر واللُّغة، ويبدو له أن العنصر الحاكم فى حياتنا هو اللُّغة لا الفكر؛ ذلك لأن الألفاظ والكلمات التى ننطق بها هى التى تُحدِّد الفكر وليس

العكس. وإذا كان الفكر هو الذى يصوغ المشاعر ويُحدِّد السلوك، والفكر هو نتاج اللُّغة؛ فإنه يتعيَّن الاهتمام باللُّغة أولًا. ويضرب مثلًا على ذلك بـ "اللُّغة القرآنية"، فإنَّ ما نفهمه ونحفظه من القرآن ويستقرُّ فى أعماق نفوسنا هو الذى يُكيِّف مشاعرنا، وهو الذى يُحدِّد مواقفنا وسلوكنا، ونقيس على ذلك ما قد يُحْفَظ من نثر أو شعر أو أغانٍ أو أمثال[١٦].

الفريق المعارض:

وُجِّهَت عديد من الأبحاث إلى التدليل على أن فرضيَّة "سابير- وورف" لا يُمْكِن أن تَصِحّ فى صياغتها تلك، ومن ذلك ما يقوله اللغوى البريطانى "جون ليونز" ***John Lyons***:

"من المُحتمَل أنه لا يوجد هذه الأيام أحدٌ يمكن أن يدافع عن الحتميَّة اللغويَّة والنسبيَّة اللغويَّة كلتيهما بشكلهما المُتطرِّف، لكنه يمكن أن يُدافع عن صيغة لهما أضعف وأقل لفتًا للنظر" [١٧].

فمن المعروف كما يَذْكُر "ليونز": أن الذاكرة والإدراك كليهما يتأثران بالكلمات والتعبيرات المُلائمة المُتاحة فى أى لغة، فقد أوضحت التجارب العلميَّة مثلًا أن الذاكرة البصريَّة تميل إلى أن تكون مُشَوَّشة حتى يمكن أن تُلائم التعبيرات المُتاحة فى اللُّغة، كما أن ذلك يجعل المُتكلِّمين يُلاحظون ويتذكَّرون الأشياء التى رُمِّزَت فى لغتهم؛ أى تلك الأشياء التى تقع فى حدود الكلمات والتعبيرات المُتاحة؛ ومثل ذلك أن فى اللُّغة الإنجليزيَّة كلمة لتعيين أخى الأب،

لكن ليس فيها كلمة لتعيين أخى الأم. وفى لغة الأستراليين الأصـليين لا توجـد كلمة واحدة لتسمية "الرَّمْل"، فى الوقت الذى توجد فيه كلمات مُتعـدِّدة لتسـمية أصنافه. غير أن هذه الأسماء المتعددة لأصناف الشىء الواحد ليسـت مقصـورة على هؤلاء، بل يمكـن أن تنتقـل إلى الآخـرين الـذين يتكلمـون لغـات أخـرى بشكل مباشر(١٨).

يُضاف إلى ذلك أنه ليس من الضرورى أن يكـون ترميـز مقولـة معيَّنـة فى لغة معيَّنة مُطَّردًا وعامًّا لدى أعضاء المجموعة اللغويَّـة جميعهم. يقـول "ليـونز" مُلخِّصًا هذا الرأى:

"إن من الممكن القول إن أغلب علماء النفس واللسانيين والفلاسفة يمكن أن يُقـرُّوا بـأن هنـاك تـأثيرًا مـا للغـة عـلى الـذاكرة والإدراك والفكـر، لكـنهم يتشكَّكون فى قبول الصيغة الأقوى لفرضيَّة سابير- وورف"(١٩).

ويوافق رأى "جون ليونز" هذا عددٌ كبير من الفلاسفة واللسـانيين أمثـال: "مايكل ديفيـت" و"كـيم سـتيرولينى"، و"ريتشـارد هدسـون"، و"تشومسـكى"، و"كيت ألان"، و"كلارك وكلارك"، و"روبرت هول"، و"ستيفن بينكر"(٢٠).

أمّـا الفيلسـوف الاجتماعـى "فيـوير" **Feuer** (1953) فكـان نقـده لاذعًـا لمنهجيَّـة "وورف" واسـتنتاجاته، فـلا يتوقَّـع "فيـوير" أن تَحَـدُّث الثقافـات المختلفـة للغـاتٍ مختلفـة يمكـن أن يـؤدِّى إلى اخـتلاف طريقـة إدراك هـذه الثقافـات للعنـاصر الأساسـيَّة المُكوِّنـة للعـالم كالمكـان، والزمـان،

والسببيَّة، وغيرها من العناصر الأخرى؛ ذلك لأن الإدراك السليم لهذه العناصر يُعَدُّ أمرًا ضروريًّا من أجل البقاء(٢١).

فهناك حالات من الاتساق والتماثل فى بيئات البشر ــ الفيزيائيَّة والبيولوجيَّة؛ فالشمس، والقمر، والماء، والنار.. جميعها أسماء لكيانات فيزيائيَّة أو بيولوجيَّة موجودة فى العالم كلِّه، كما يوجد فى كل لغة من اللغات شكل لغوىٌّ أساسىٌّ واحد يرمز إليها(٢٢).

وفى كتابه ***"Language, Ideology and Point of View"*** يُناقش "بول سيمبسون" ***Paul Simpson*** فرضيَّة "سابير- وورف" ويُعارِض فكرة أسبقيَّة الكلمات على المفاهيم؛ لأن المرء الذى يكون لديه عدد محدود من الكلمات، سيكون إدراكه للعالم ـ وفقًا لهذه الفرضيَّة ـ من حوله محدودًا. لذا يرى "سيمبسون" أن من الصعب تأييد هذه الفرضيَّة فى صورتها الأوَّلية، ويُقدِّم لنا "بول سيمبسون" مثالًا للبرهنة على وجهة نظره، إذ يقول:

" لا تسبق الكلمات المفاهيم، فالحيوان "آكِل النَّمْل" سُمِّى بهذا الاسم ـ كما بيَّن "ليكوف" ***Lakoff*** (١٩٧٥) بذكاء -؛ لأنه يقوم بهذا الفعل (أى يعيش على أكل النمل)، إن هذه هى وظيفته الطبيعيَّة، فهو غير مُلْزَم بأكل النمل لُمجرَّد أن هناك مادَّة مُعْجَميَّة فى النظام اللغوىِّ تُمْلى عليه ذلك. وبالمثل صِيغَ مصطلح "ناطحة سحاب" ***Skyscraper*** للإشارة إلى ظاهرة مِعْماريَّة حديثة؛ لذا فمن الحماقة أن نزعم أن الناس لم يعرفوا هذه الظاهرة أو يُلاحِظوها إلَّا بَعْد أن

زوَّدتهم اللُّغة بالكلمة المُعبِّرة عنها".

يرى "سيمبسون" أن هناك بديلًا آخَر أكثر واقعيَّة للنظريَّة الوورفيَّة، وهو القول أن ما يُشكِّل النظام اللغوى هى الوظائف التى يخدمها؛ بمعنى أن اللُّغة التى تستخدمها ثقافة معيَّنة تعكس اهتمامات تلك الثقافة، بل وتُعزِّز ـ إلى حد ما ـ مُمارساتها الثقافيَّة والأيديولوجية، فتصبح المفاهيم بذلك جزءًا من مفردات اللُّغة(٢٣).

على سبيل المثال، يستخدم الهنود فى المُقاطعات الكنديَّة الشماليَّة الغربيَّة ثلاثة عشر مُصطلحًا على الأقل للإشارة إلى الحالات المختلفة التى يكون عليها الجليد، بينما لا يستخدم سُكَّان جنوب كاليفورنيا الذين لا يُمارسون رياضة التزحلق على الجليد إلَّا مُصْطَلَحَيْن فقط هما: ***"ice" و "snow"***، ولكن لا يعنى ذلك أن الإشارة إلى هذا المفهوم لديهم تقتصر على هذين المصطلحين فقط، بل على العكس تمامًا، هناك المزيد من الكلمات الإنجليزيَّة التى تشير إلى الحالات المختلفة التى تكون عليها المياه المُتجمِّدة مثل:

هَبَّة ثلج **Flurry**

غُبار من الثلج **Dusting**

ثلج نصف ذائب **Slush**

ندفة ثلج **Snowflake**

وغيرها من المصطلحات الأخرى.

حقيقة الأمر أن سُكَّان الأقـاليم الاسـتوائيَّة أو شـبه الاسـتوائيَّة نـادرًا مـا يستخدمون هذه المصطلحات، أو حتـى لا يسـتخدمونها مُطلقًـا؛ وذلـك نظـرًا لأنهم لم يُصادفوا فى بيئتهم قطّ المياه المُتجمِّدة فى أى شـكل مـن الأشـكال إلَّا فى شكل مُكعَّبات الثلج؛ لذا فمثل هذه الفروق الدقيقـة لا يرونهـا مهمـة بالنسـبة إليهم[٢٤].

إن اللُّغة كالكـائن الحـى تنمـو وتتطـوَّر، ولا تقـف عنـد حَـدٍّ معـيَّن مـن الكلمات، والدليل على ذلـك أننـا نلاحـظ حـدوث تغـيُّرات سريعـة فى بعـض اللغات وظهور كلمات جديدة بها، ولكن ما السبب فى حدوث ذلك؟

قد يكون ذلك نتيجة لاحتكاكها المباشر بلغـاتٍ أو ثقافـات خارجيَّـة، أو نتيجة لظهور تكنولوجيا جديدة. فى هذه الحالة قد يستعير مُتحدِّثو اللُّغة ألفاظًـا أو مصطلحاتٍ معيَّنة من لغة أخرى؛ كما هو الحال فى الإنجليزيَّة التى اسـتعارت كثيرًا من الألفاظ الفرنسيَّة. هذا إلى جانـب الكلـمات الجديـدة التـى صِـيغَت فى الإنجليزيَّة من جذور كلمات اسـتعارتها مـن اليونانيَّـة واللاتينيَّـة؛ للتعبـير عـن المفاهيم العلميَّة الجديدة على مَرِّ القرون القليلة الماضـية، أمّـا اللُّغـة السـواحلية فنجدها تسـتخدم كثـيرًا مـن الكلـمات العربيَّـة للتعبـير عـن المفـاهيم العلميَّـة والحسابية، ومن ذلك كلمة "الصِّفْر" التى تبدو واضحةً فى اسم اللغة السواحليَّة ***"Sufuri"***. والحقيقة أنه لا توجد لغة أوروبيَّة أو أفريقيَّة إلَّا واستعارت كلمات من العربيَّة فى هذا المجال.

قد يلجأ مُتحدِّثو اللُّغة إلى طريقة أخرى للتعبير عن المفاهيم أو الظواهر الجديدة، وذلك بأن يختاروا كلمة قديمة معروفة فى لغتهم، ويستخدموها للإشارة إلى المفهوم أو الفكرة الجديدة؛ وبذلك يُضاف معنى آخر جديد إلى المعنى الأصلى لهذه الكلمة. فعندما اخْتُرِعَت السيّارات ـ مثلًا ـ شَعَرَ الناس بالحاجة إلى وجود كلمات يُعبِّرون من خلالها عن أجزاء السيارة، فبَدَا لهم ـ مثلًا ـ الجزء الذى يُغطى مُحرِّك السيارة كالغطاء الذى يستخدمه الإنسان لتغطية رأسه؛ لذا أطلقوا عليه اسم ***"bonnet"*** أو ***"hood"***، وكلاهما غطاء للرأس.

وبالمثل، عندما أَدْخَلَت الدول الأوروبيَّة الدَّبَّابات الحربيَّة إلى أفريقيا اخْتيرَت الكلمة السواحليَّة ***"Faru"*** (التى تعنى الخرتيت أو وحيد القرن) للتعبير عن هذا النوع من المَرْكَبات. من ناحية أخرى، كان السبب الأساسى فى تَسْمية الدبَّابات بكلمة ***"Tanks"*** فى الإنجليزيَّة هو أن البريطانيين قاموا بتطوير هذا النوع من المَرْكَبات فى صحراء أفريقيا الشمالية، ولكى يُحافظوا على سِرِّيَّة هذا المشروع قالوا إنهم يُجرِّبون نوعًا جديدًا من صهاريج المياه ***"Water tanks"***؛ لاستخدامها فى الصحراء. وعند الانتهاء من إنتاج أول دبَّابة أُطْلِقَ عليها اسم ***"Tank"*** لفترة طويلة حتى أصبح الاسم الثابت لها[٢٥].

نَخْلُص من هذا كله إلى أن مُتحدِّثى اللُّغة ــ أيًّا كانت ثقافتهم ـ يُثرون لغتهم بالألفاظ لتتمشَّى مع ما يحتاجون إلى التحدُّث عنه؛ حيث إن اللُّغة لا تقف عند مجموعة محددة أو عند حَدٍّ معيَّن من المفاهيم، فقد تدخل إليها ألفاظ

جديدة للتعبير عن مفاهيم وأفكار جديدة، وهذا ما يتعارض مع فرضيَّة "سابير" و"وورف".

مجمل القول:

فى عالم اليوم تَحْظَى الظواهر العالميَّة للُّغـة (بمعنـى الملامـح المُشـترَكة بـين اللغات المختلفة) بنصيب أوفر من الاهتمام عمَّا تحظى به نظريَّة "وورف" المعروفة باسمِ "النسبيَّة اللغويَّة" ***linguistic relativity***. وقد أشار عالِم اللُّغة الأمريكـى الشهير "نعوم تشومسكى" ***Noam Chomsky*** إلى أن"وورف" كان مَعْنِيًّـا أكثـر مِمَّا ينبغى بالتراكيب أو البِنْيات السطحيَّة للغات، بينما فى مستوياتها العمقيـة فـإن اللغات كلها تتشابه أكثر مما تختلف.

كل ما فى الأمر أنه قد يكون من الأسـهل للمُتحـدِّثين بـبعض اللغـات أن يتكلَّموا أو يفكروا فى أشياء معيَّنة؛ لأن لغتهم تُسهِّل لهم ذلك. ويُشـير اللغـوى الأمريكى "تشارلز هوكيـت" ***Charles Hockett*** إلى أن اللغـات تختلـف فـيما بينها، ليس فيما يُمْكِن قوله بها، بقَدْرِ ما تختلف فيما هـو سَهْل نِسْبيًّا قوله بها. إذن فالفروق بين اللغات ليست كامنة فيما هى قادرة على التعبير عنه، بقـدر مـا هـى كامنة فيما تُعبِّر عنه عادة بالفعل، وفيما هو مطلوب منها أن تُعبِّر عنه.

ومن المُحْتمَل أنَّ الوظائف الأساسـيَّة للغـة تؤدِّيهـا جميـع اللغـات؛ مثـل إعطاء المعلومات ونفيها، وتوجيه الأسئلة، وإصدار الأوامر، وهكذا. كـما يتفـق البشر على مجموعة من البديهيات والمُسَلَّمات التى تَحْكُم عمليَّـة التفكـير، ومنهـا

على سبيل المثال: أن أقصر مسافة بين نقطتين هى الخط المستقيم الواصِل بينهما، وأن الجزء أقل من الكلّ، وأن القيمتين اللتين تساوى كل منهما قيمة ثالثة متساويتان، وهكذا.

ولعَلَّ فى إمكانيَّة الترجمة بين اللغات ما يُشير ضِمْنًا إلى وجود معرفة عامَّة بالعالم يشترك فيها جميع البشر، وأن هذه المعرفة مستقلَّة عن لغاتهم الخاصَّة التى يُعبِّرون بها عن تلك المعرفة.

خلاصة القول أن هناك أوجه تشابه أكثر من وجود أوجه اختلاف فى كيفيَّة قيام النُّظُم اللغويَّة بالرمز إلى المفاهيم؛ وذلك لأن هذه المفاهيم نِتاجٌ لتفاعل المجتمعات الإنسانيَّة مع البيئة الطبيعيَّة والاجتماعيَّة التى تَتَّسِم بالتشابه الكبير فى جميع أنحاء العالم. وحتى فى حالة وجود فروق فإن ذكاء الإنسان الفطرى يكفى عادة لفهمها وللتغلُّب على المشكلات التى قد تَنْتُج عنها[٢٦].

ولكن لا يَسَع المرء ـ مَهْمَا عارَض الجانب الذى يبدو مُتطرِّفًا شيئًا ما فى النسبية، لا سيما إلغاء الكليَّات اللسانيَّة على حساب خُصوصيَّات اللغات والثقافات ـ إلَّا أنْ يُسلِّم بأنَّنا نَصْنَع المعنى من خلال ثقافتنا، وأن اللُّغة فى مستواها النسقى فى المقام الأول (أى بوصفها نظامًا داخليًّا) ليست غير نظام للفكر بمعنًى ما، وهى كذلك حتى فى بعض مستوياتها السياقيَّة (أى بوصفها إمَّا نظامًا إشاريًّا يحيل إلى واقع خارجىّ، وإمَّا بوصفها وحدات لغويَّة مترابطة فى التركيب)؛ إذ ليست هذه المستويات بمنجاة من النظام الداخلى المحكوم

بأحكام التشكيل الثقافى؛ ولذا لا مَفَرَّ مـن أنْ يُعَـدَّ المعنـى ـ نِسْـبيًّا – مُعْتَمِـدًا فى صُنْعِه على مُسْتَعْمِل اللُّغة(٢٧) (٢٨).

❁ ❁ ❁

ثانيًا: هل تَعْكس اللغات المختلفة أفكارًا وثقافات ومُعتقدات مختلفة؟

يقول "إرنست كاسيرر": "تتميَّز الأُمَّة عن غيرها من الأُمم بشيئين طبيعيين، هما: الأخلاق الطبيعيَّة، والشِّيَم الطبيعيَّة، وبشيءٍ ثالث وَضْعِيٍّ له مدخل ما في الأشياء الطبيعيَّة، وهو اللسان".

ويُعرِّف اللغوي البريطاني "جريهام" اللُّغة عُمومًا بوصفها: "التعبير الظاهري عن النزعات والميول، وتحوُّلات العقل وعادات الفكر لمجتمع من البشر، والمعيار الأفضل لحياتهم العقليَّة وانفعالاتهم".

لذا لا يُمْكِن الحديث عن اللُّغة دون الحديث عن الهويَّة؛ لأن اللُّغة تَحْمِل هُموم مُتكلِّميها وتُنَظِّم سلوكهم وتفاعلهم وتُوَحِّد انتماءَهم. فقيمة اللُّغة ـ إذن ـ ليست في طبيعتها، ولا تقع في أساس مُكوِّناتها الداخليَّة، إنما هي فكرة أو مفهوم أو صفة ميَّزها الناس بها، واصطلحوا على الاعتراف بها، واعتبارها فيها دون سواها، وهي بذلك تحمل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه وتَعْكِس انطباعاتهم وتَلَقّيهم للأحداث التي يَمُرُّون بها.

واللُّغة هي ذاكرة الشعب التي يختزن فيها تُراثَه ومفاهيمه وقِيَمه في حلقة تواصليَّة يربطها الفرد مع النَّسَق الكليِّ العام الذي يُمارِس دوره الفعَّال في صياغة المجتمع الإنساني وتحريكه وفق مُتطلَّبات عصره؛ فاللُّغة ـ بهذا ـ مؤسَّسَة

اجتماعيَّة تختلف باختلاف الشعوب، هدفها الأساسى التعبير عن الرغبات والأفكار والعواطف ضمن المجموعة البشريَّة التى تتكلَّمها.

واللُّغة ـ أيضًا ـ مُلْتَحِمَة أشدَّ الالتحام بالعقيدة، فعُلَماء اللُّغة يعترفون اليوم بتداخل موضوع اللُّغة و"الإيديولوجيا" ***Ideology*** لدرجة أن بعضهم ذَهَبَ إلى أن تعلُّم أيِّ لغة من اللغات، حتى اللغات العلميَّة، ما هو فى نهاية الأمر إلَّا تعلُّمٌ لعقائديَّة الناطقين بتلك اللُّغة؛ لأن اللُّغة ـ كما جاء فى تعريف بعضهم ـ هى أداةٌ للتخاطُب يمكن بفضلها تحليلُ التجارب البشريَّة التى تختلف من مجموعة إلى أخرى(٢٩).

ومفهوم"الإيديولوجيا" أو "العقيدة الفكريَّة" مفهوم مُتعدِّد الاستخدامات والتعريفات، فمثلًا يُعرِّفه "قاموس علم الاجتماع" كمفهوم مُحايد باعتباره نَسَقًا من المُعتقدات والمفاهيم يسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعيَّة مُعقَّدة من خلال منطق يُوجِّه ويُبسِّط الاختيارات السياسيَّة أو الاجتماعيَّة للأفراد والجماعات، وهى ـ من منظور آخر ـ نظام الأفكار المُتداخلة؛ كالمُعتقدات والأساطير التى تؤمِن بها جماعة معيَّنة أو مجتمع ما، وتَعْكِس مصالحها واهتماماتها الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة والدينيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة، وتُبرِّرها فى الوقت نفسه(٣٠).

وهناك علاقة وثيقة بين ثقافة شعبٍ ما وبين عقيدته ولغته؛ فالثقافة تَعْنى التصوُّرات والمفاهيم والعادات التى تتألَّف منها نظرة ذلك الشعب إلى الحياة وإلى العالم الذى يُحيط به، واللُّغة جزء من ثقافة الشعب الذى يتكلَّم بها، بل هى

إحدى مُكَوِّنات تلك الثقافة والعقيدة.

إن معرفة اللُّغة كبِنْيَة فكرية - إذن ـ هى السبيل الوحيد لمعرفة القوالب الفكريَّة الأخرى عند البشر؛ مثل الفكر الأسطورى والفكر الدينى والفكر العلمى والفكر الفنى، بمعنى أن اللُّغة التى تنتمى إلى مجتمع بشرى مُعيَّن، والتى يتكلمها أبناؤه ويُفكرون بواسطتها، هى التى تُنَظِّم تجربة هذا المجتمع؛ ومن ثم فهى التى تصوغ عالمه وواقعه الحقيقى، ومن ثَمَّ عقيدته[٣١].

إن اللُّغة ـ إذن ـ سواء تكوَّنت بالمُواضَعَة والاتفاق أو بالوراثة والغريزة، وسواء نَتَجَت عن عوائد الانسان ومألوفه أو كانت بِنْت طبيعته ومزاجه، فهى روح الشعب الذى يتكلَّمها، يُودِع فيها أحلامه وتطلُّعاته، ويَحْبِس فيها إخفاقاته وهزائمه؛ إذ توجَد لكل شعب لغة تُلائم طبيعته وتُعبِّر عن مزاجه وأذواق أفراده، وتُميِّزه عن شعب آخَر وتَعْكِس ـ بشكل أو بآخَر ـ تقدُّمه أو تأخُّره؛ لأن كل وِحْدَة لغويَّة تُعبِّر عن وحدة حضاريَّة معيَّنة. وتعدُّد اللغات يَعْنِى تعدُّد الحضارات، وتطوُّر اللغات يَدُلُّ على تطوُّر الحضارة، وجُمودها يَعْنِى رُكود الشعب الذى يتكلَّمها. وآية ذلك أن وحدة اللُّغة تدفع بالاعتقاد بوحدة الأصل، والشعور بالقرابة والتآلف؛ إذ إن اللُّغة تَمُدُّ جُسور التواصل والتفاهم بين الناس، وتجعلهم يتماثلون ويتعاطفون، وتُمَكِّنهم من ترسيخ عاداتهم وتقاليدهم، وتناقل الخبرات الثقافيَّة من السَّلَف إلى الخَلَف. فهل يُمْكِن أن يوجَد شعب دون أن تُسهم لغة معيَّنة فى تشكُّله؟

يقول "ابن جنى": "اعلـم أن اللُّغـة فى المُتعـارَف هـى عبـارة المُـتكلِّم عـن مقصوده، وتلك العبارة فِعْل لسانى؛ فلا بُدَّ أن تصـير مَلَكَـةً مُتقـرِّرَة فى العضـو الفاعِل لها وهو اللسان، وهو فى كل أمَّة بحسب اصطلاحهم.." (٣٢).

وغنى عن البيان أن الضاد هى أداة قويَّة للثقافة العربيَّة تعتبر ثمـرة تـاريخ هذه الحضارة بأكملهـا، لم تتغـيَّر إلَّا بـبطء شـديد، واسـتعملتها كـل الطبقـات والشرائح، كما أخضعت قواعدها إلى عمليَّـة تأصـيل وتقعيـد مُسـتمرتين، عـلى الرغم مما لوحِظَ من ازديادٍ فى عدد الألفاظ الدخيلة المُستعربة. فإذا كانت اللُّغـة الإغريقيَّة قد ارتبطت بالفلسفة والتراجيديا واللُّغة اللاتينيَّة بالقوانين الرومانيَّـة واللاهـوت المسـيحى، وإذا كانـت اللُّغـة الإنجليزيَّـة قـد ارتبطـت بالشـعوب الأنجلوساكسونيَّة، وبالنزعة الحِسِّيَّة التجريبيَّة، وفى أمريكـا بالنزعـة البراجماتيَّـة والتقليد التحليلى، وارتبطت اللُّغة الفرنسيَّة بالفكر الموسوعى العلمـى والنزعـة الوَضْعيَّة، وأفصحت اللُّغة الألمانيَّة عن التنـوير والنزعـة الرومانتيكيَّـة والفكـر التأملىِّ والجدلىِّ التى تميَّزت بها القوميَّة الجرمانيَّة، فإنَّ لغة العرب الفُصْـحَى قـد ارتبطت بالشِّعْر ومُعَلَّقاته السبع والقرآن ـ دستور المسلمين الأوَّل ـ وما يتضمَّنه من سِحْر وبيان ومَجاز وبلاغة وإعجاز وخَطابَة (٣٣).

فلا غرابة ـ إذن ـ أن نقول بالتوحُّد والتَّماهى بين الهويـة الحضـارية للأمَّـة العربية والإسلامية وبين اللغة العربية.

❁ ❁ ❁

ثالثًا: هل يُمْكِن استخدام اللُّغة فى التأثير على عقول البشر وأفكارهم ومُعتقداتهم وتوجُّهاتهم؟

" اللُّغة قوَّة.. يُمْكِن استخدامها كوسيلة لتغيير الحقيقة".

أدريان ريتش

لئن كانت اللُّغة أداتنا الأَهَمَّ والأكثر فاعليَّة فى التواصل مع الآخرين، وذلك بالتعبير عمَّا يدور فى عقولنا من أفكار، وما يَعْتَمِل فى دواخلنا من انفعالات وتأمُّلات ورغبات أيضًا، فإنها ـ حسبما يرى بعض الباحثين ـ من أهم مصادر اختلافنا وصراعنا الأبديَّيْن بوصفنا كائنات اجتماعية؛ فمُنْذ أن ازدهرت الفلسفة السوفسطائيَّة فى اليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد، واكتُشفت إمكانيَّة اللعب بالكلام لأغراض مُتضارِبة، ودونما اعتبار للواقع الموضوعيِّ وللحقيقة صار واضحًا أن اللُّغة من أخطر المُقتنيات الإنسانيَّة؛ لكَوْن مُستخدِميها من البشر قد ينحرفون بها ـ وهم غالبًا ما يفعلون ذلك ـ عمَّا يُفْتَرض أن تؤدِّيه من وظائف تُسهم فى إزالة سوء التفاهم وتحقيق التواصل بين الناس.

فاللُّغة أداة طَيِّعَة فى أيدى مُستعمليها، فمُسْتَعْمِل اللُّغة هو مَنْ يُقرِّر كيف ومتى ولأىِّ الأغراض يستعملها. من هذا نتوصَّل إلى أن اللُّغة تؤدّى الوظيفة التى يُمْليها عليها مُستعملوها فحَسْب، سواء أكانت تلك الوظيفة سلبيَّة أم

إيجابيَّة. فإذا شاء المرء أن يُلوِّثها بالإيديولوجيا المُغْلَقَة على ذاتها، وبالتدليس، وأن يجعل منها مُنْطَلَقًا لرسم صورة لفظيَّة مُغرِقة فى الذاتيَّة عن الواقع، استجابت له وأعطته من طاقاتها التعبيريَّة ما يجعل الحقَ باطلًا، والقُبْحَ جمالًا، والنورَ ظلامًا. وإذا شاء أن تكون واضحة ودقيقة فى تصويرها للواقع وفقًا لمنهج يَسْتَبْعِد ـ قدْر الإمكان ـ العناصر الذاتيَّة ويعكس أكبر قدر مُمْكِن من مُكوِّنات الواقع بشكل موضوعى ـ فلن تبخل عليه اللُّغة بما لديها من طاقات تعبيريَّة فى مُعاونته فى هذا الأمر.

إذن على قدر كفاءة مُسْتَعْمِل اللُّغة الذى يفهم أسرارها وطاقاتها وإخلاصه لما يريده منها، تكون جسامة المسئوليَّة الأخلاقية المُترتِّبة على العمل الذى تنجزه اللُّغة سلبًا أو إيجابًا، ومن الواضح أن هذه المسئولية الأخلاقية لا يُمْكِن أن تُعزَى إلى اللُّغة نفسها، ولكن إلى مُستعمليها(٣٤).

يقول "نصر حامد أبو زيد" فى كتابه: "النَّصّ والسُّلْطَة والحقيقة: إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة":

إن اللُّغة «المؤدلجة» ـ مثلًا ـ هى نَسَق من النظام اللغوى، لكنَّه النسق الذى يُحاوِل أن يَفْرِض هَيْمَنَته وسيطرته على النظام اللغوى نفسه، وتتم هذه الهيمنة والسيطرة من خلال عمليَّة إعادة بناء دلالة العلامات اللغويَّة فى نظام اللُّغة الأساسيِّ، حيث يتم الاستيلاء على اللُّغة الأساسيَّة والاستحواذ عليها. والاستيلاء على اللُّغة يَعْنِى الاستيلاء على العالَمَ الذى تُنَظِّمه اللُّغة من خلال

نظامها «الرمزى»، وهذا يُفْضى بدوره إلى الاستيلاء على الإنسان عن طريق امتلاك وعيه[٣٥].

إنَّ اللُّغة أداة سِحْرِيَّة يتمُّ التلاعب بألفاظها فى مُناسَبات معيَّنة لخَلْق أو إحداث استجابات انفعاليَّة ***Emotional responses*** معيَّنة، لا شك أنها تَصُبُّ فى مصلحة مُستخدميها [٣٦].

فعند عَرْض الحقائق المؤلمة المُثيرة لمشاعر الغضب على الجماهير تُستخدَم أساليب لغويَّة دلاليَّة معيَّنة من شأنها السيطرة على مشاعر الجماهير وانفعالاتهم بحيث تجعلهم يَقْبَلون كل ما هو غير مقبول بالنسبة إليهم، والأمثلة على ذلك كثيرة:

- ففى المجال العسكرى تَسْتَخْدِم القوَّات المُسلَّحة عباراتٍ مثل: ***"Sending in air support"*** (وتعنى: إرسال دعم جوىّ) بدلًا من: ***"Bombing the enemy"*** (وتعنى: قصف العدو بالقنابل).
- وفى المؤسسات التجاريَّة أو الشركات يستخدم المُديرون والمسئولون ـ للحفاظ على مشاعر الموظفين ـ كلمات مثل: ***"Downsizing"*** (وتعنى: تقليص شركة أو مؤسسة بتقليل عدد العاملين بها) بدلًا من: ***"laid off"*** (وتعنى: التسريح المؤقت للعاملين) [٣٧].
- عند فرض ضرائب جديدة تسعى الحكومة إلى التهدئة من غضب المواطنين وعدم إثارة استيائهم عند عرض القرار عليهم؛ فتستخدم عبارات

مثل: *"Increasing domestic revenue"* (وتعنى: زيـادة الـدخل المحـلىِّ) بدلًا من: *"Raising taxes"* (وتعنى: رفع الضرائب)(٣٨).

- قد يستعمل المُتكلِّم بالمثل أساليب دلاليَّة معيَّنة؛ لتشجيع السـامع عـلى القيام بسلوك مُعيَّن، ففى مجال الدعاية والإعـلان يسـتخدمها المُعْلِنـون لتوجيـه المُستهلكين نحو القيام بسلوك مُعيَّن، ألا وهو الإقبـال عـلى شراء المُنْـتَج المُعْلَـن عنه، وذلك مع إضافة عُنصر انفعالىٍّ يوحى لجماعة المستهلكين بأن هذا السـلوك فيه خَيْرُهم ومصلحتهم؛ وذلك باستخدام ألفاظ معيَّنة تُثير لديهم مَعانىَ ضِمْنِيَّة **Connotations** معيَّنة تنقل لهم مثل هذا الإيحاء.

- فى مجال السياسة يسـتخدم السياسـيون تعبـيرات معيَّنـة قـد تحمـل فى طيَّاتها تهديدًا خَفيًّا للآراء المُعارِضَة، فمـثلًا عبـارة: *"All good Americans will agree......"* (وتعنى: سـيوافق جميـع الأمـريكيين الصـالحين عـلى....) تُوحى لِمَن يسمعها بأن مُعارضته أو اختلافه فى الـرأى تعنـى أنـه لـيس أمريكيًّـا صالحًا، والأفضل له أن يكون أمريكيًّا صالحًا(٣٩).

- وفى الإعــلام نجــد اســتخدامًا واســعًا لكلــمات مثــل: الرجعية/ الحداثــة، التخلف/ التقــدم، الدكتاتورية/ الديمقراطيــة، الكبت/ الحريَّة... إلـخ؛ بقصـد إمـلاء مَوْقِـف مُعـيَّن عـلى النـاس مـن خـلال عمليَّة تداعى المعانى وتعميم اللفظ فقط.

وقد يكون كثير مـن تلـك المواقـف خاطئـا، وقـد ينسـاق النـاس إليهـا.

والسبب هو الغفلة، وعدم التدقيق فى استخدام اللفظ أو فى فهمه؛ فاللُّغة العُلْيا تُكلِّم الوعى المُباشر، أمّا اللُّغة الرمزيَّة فإنها تتغلغل فى العقل الباطن، فتكون أَبْلَغ فى التأثير، ومن ذلك نفهم معنى ما قاله علماء البلاغة أن المَجاز أفضل من الحقيقة أحيانًا، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح، وأن الاستعارة أقرب من التصريح.

الناحية المهمَّة فى اللُّغة ليست هى مُطابقة الكلمات المنطوقة أو المكتوبة للصور والأفكار المُعبِّرة عنها، ولكن ما تُحْدِثه من أثر فى السامع أو القارئ؛ ولذلك لا يكفى أن يُقال إن اللُّغة هى وسيلة للتعبير، أو إنها وسيلة لنقل الأفكار من المُتكلِّم إلى السامع، بل هناك إلى جانب هذا النقل شىء آخَر مقصود هو التأثير الفكرى ـ ومن ثم السلوكى ـ لدى السامع لأثر ما أدْرَكَه من كلام.

فاللُّغة ـ من خلال مُقوِّماتها السحرية ـ هى أسطوريَّة؛ بمعنى أنها تَخُصُّ خطابًا أو عددًا من الخطابات التى تمارس تأثيرات قويَّة فى النطاق الاجتماعى. وتصبح اللُّغة هنا مكانًا وحقلًا لبَذر تحوُّلات مرغوبة. ففى مواجهة الصراع تُقدِّم اللُّغة "الوحدة"، وفى أزمنة التهديد بالقطيعة مع الماضى تُبشِّر بـ "الاستمرارية"، وفى أزمنة الصراع السياسى تُمجِّد "فضائل الليبرالية" بما تتضمَّنه من الإيمان باستقلال الفرد وحماية الحُرِّيَّات السياسيَّة والمَدَنيَّة، وفى أزمنة الشك تُقدِّم "تفاؤلًا غير مُحدَّد".

ومرةً أخرى، عندما نتحدَّث عن اللُّغة فنحن نتحدث عن تفاعل بين لغة

المجتمع وفكره؛ فالخُطْبَة الفنيَّة تثير مُخيِّلتنا بشكل آلىٍّ، والكلمات تـذهب بشـكل مباشر إلى إدراكنا دون أن تمرَّ بأى مِصْفاة منطقيَّة أو فكريَّة يُمْكِنها أن تُضْـعِف أو تقتل تأثير الكلمة فى مُخيِّلتنا(٤٠).

فالخطاب ***Discourse*** مُخادع مُخاتل؛ لأنه غالبًا غير ما يقوله، أو أوسع مِمَّـا يقوله، فهو يُعْلِن أشياء ويسكت عن أخرى، ويُعبِّر عن حقائق ليستبعد سـواها، ويُثْبِت قضايا فـيما ينفيهـا فى الوقـت نفسـه، فـالجماهير جماعـات تجـرى تعبئتهـا وتجييشها؛ من أجل تنفيذ سياسة أو نشر دعوة أو ترجمة إيديولوجيا.

والخطاب يَعْمَل دومًا على إخفاء ألاعيبه الدلاليَّـة وإجراءاتـه السُّـلطويَّة، فهو قد يدعونا ـ مـثلًا ـ إلى التحـرُّر مـن هيمنـة الآخـرين، لكـى يُـمارِس علينـا سُلْطَته مـن حيـث لا نحتسـب، وهـذا مـا يُسـمِّيه "عـلى حـرب": "ديكتاتوريَّـة المقولات التى مارسها دُعاة الحريَّة وهواة التحريـر عـلى الـذين أرادوا تحريـرهم من الناس، وذلك بقدر ما تَحَوّل هؤلاء إلى عبيد للشعارات والأسماء".

والحقيقة أن الإيديولوجيا تُشكِّل نوعًا من البِنْيَة التحتيَّـة فى كـل خطـاب، بحيث يمكن نقلها واستقبالها مُغَلَّفة فى شكل خارجىّ؛ ومن هنـا يَصْـعُب عـلى المُخاطَب أن يُلاحظ هذه البنية الإيديولوجيَّة.

فى كتاب "تأمُّلات فى العنف" الصـادر سـنة ١٩٠٨، لـ "جـورج سـوريل" اعتبر أنه يمكن تحريك الجماهير وتفعيلها، وذلك بترويج أفكـار وأسـاطير مـن شأنها أن تُثيرها وتُعبِّئها. إن الجماهير، عند "سوريل"، تؤمن بالأسـاطير أكثـر ممـا

تؤمن بالأفكار الواقعية، على أن الأساطير ـ وإن كانت غير قابلة للتحقيق الكلىِّ على مستوى الواقع ـ تختزن "طاقة تفجيرية".

وإذا قمنا بالتكييف اللغوى ـ على غرار التكييف القانونى ـ لهذه المُمارَسة فسنجد أن اللُّغة تعانى فى هذه المرحلة من التشويه الذى يُلحِق أفدح الأضرار بالبيئة اللغويَّة، ويفسد الفكر، ويُشِيع ضروبًا من الاضطراب والإرباك والقلق فى العقول. إنَّ ما يُسبِّبه هذا الوضع اللغوى غير المُسْتَقِرِّ من فساد فى الحياة العقليَّة للأمَّة يؤدّى إلى الغموض والالتباس والتداخل فى مدلولات الكلمات؛ ممَّا ينشأ عنه حالة من التشويه اللغوىِّ، التى إن عمَّت وانتشرت أفضت إلى تغييرٍ شامل فى الحياة الفكريَّة والثقافية، وإلى ما هو أعظم خطرًا من ذلك كلِّه: التأثير على العقيدة، وتغيير المجتمع(٤١).

جدير بالذكر أن للإيديولوجيا منطقًا خاصًّا لا ينتمى بالضرورة إلى أبواب المنطق الصورى من استدلال وقياس واستقراء كما يقول "محمد سبيلا"؛ لأنَّ "العقل الأيديولوجىَّ ــ إذا جاز التعبير ـ لا يرتبط بنظام معرفىٍّ واحد، ولا بآليَّات واحدة، بل يلجأ إلى كل ما يخدم غرضه من استدلال وبلاغة وإيحاء. إنه يوظِّف ما يُناسب قضيته ويخدم قناعاته: يوظِّف البيان: (التشبيه والاستعارة والتمثيل والتورية والقياس)، ويوظِّف كذلك الميثولوجيا ***Mythology***، والدين والحجج الغيبية، ويوظف الاستقراء والاستنتاج؛ وكل ذلك لأنَّ هدفه إقناع الغير، ومن خلال سعيه لإقناع الغير يزداد هو نفسه اقتناعًا وإيمانًا

بقضيته"(٤٢).

وهذا يعنى أن عبء اللُّغة سيكون ثقيلًا للغاية؛ لأنها تخدم ـ مُرْغَمةً ـ أهدافًا مُتباينة، بل مُتناقضة أحيانًا، ومع ذلك فإنها ستجد من يقبل منها ما تُقدِّمه له من وصفات فكريَّة جاهزة؛ لأن "الميل الطبيعىّ للإنسان هو أن يعرف ويستعمل معارفه، وأن يعتقد وليس أن يفكر. والفارق كبير بين المعرفة والاعتقاد والتفكير"(٤٣).

وهكذا تتحوَّل اللُّغة من وسيلة لتجسيد الفكر إلى وسيلة للتأثير على الفكر، بل وكَبْحه فى بعض الحالات(٤٤).

خُلاصة القول أن اللُّغة أداة قد يستعملها المتكلِّم فى مناسبات معيَّنة وسياقات محدَّدة للدخول إلى عقل الآخَر والتأثير على هذا العقل، وقد ينجح فى ذلك؛ لأنه استعمل أداة ممتازة حقًّا. فللغة اللعبة ـ كما يُطلق عليها "لودفيج فيتجنشتاين" ـ ديناميَّة فى أصل تركيبها، تنتقل ألفاظُها بخِفَّة وخُفْية من مستوى إلى مستوى، ولا تُتيح لُمستعمِلها مُلاحقتها فى تحوُّلاتها تمام المُلاحَقة، ولا سيَّما المُستعمِل غير الحذر. إن الألفاظ تنتقل فى حركة دائبة دائمة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى، وقد تتراوح الكلمة بين أكثر من مستوى لغوى واصطلاحىٍّ فى آنٍ، وقد تُسْتعمَل الكلمة لأكثر من معنى اصطلاحىٍّ فى داخل العلم الواحد، وقد ينتقل اللفظ من حقل إلى حقل مع اختلاف واضح أو غير واضح فى المضمون الاصطلاحىّ، وتنتقل الألفاظ بين الحقيقة والمجاز بمعناهما

العام، ويشمل هذا التنقل لغة العِلْم حتى فى أكثر المصطلحات صرامة وتحديـدًا، وهذا الانتقال الدائم للألفاظ قد يغفل عنه بعض المُتخصَّصين(٤٥).

جدير بالذكر هنا مفهوم غسيل المخ أو برمجـة العقـول الـذى يُسـتخدَم فى نشر الثقافات والعقائد والمبادئ، ومن ثـم دفـع النـاس لتبنّـى أهـداف ودوافـع وغايات معيَّنة، والذى يُعَدُّ أيضًا شكلًا من أشكال التنويم المغناطيسىّ(٤٦).

هكذا تبدو اللغة قوةً جبـارة فى حيـاة البشر ـ الفكريـة والاجتماعيـة والسياسـية، وأداةً فعالة فى صياغة الثقافة وتشكيل العقول، سواء أكان المراد بـذلك خـيرًا أمْ شرًّا، وارتقاءً بالعقول أم خداعًا وتدليسًا(٤٧).

❁ ❁ ❁

رابعًا : هل اللُّغة الأم هى لغة التفكير الوحيدة؟

اللُّغة على مَذْهَب عالِم الـنَّفْس الروسـى "إيفـان بـافلوف" **Ivan Pavlov** (١٨٤٩ – ١٩٣٦) فى الأفعال الْمُنْعَكِسَة الشرطيَّة ـ هى عـادات لسـانية، تـرتبط بشكل وثيق بالنشاط الذهنىِّ والعملىِّ للإنسان؛ ولذلك فمن الصعوبة بمكـانٍ الخروج عليها، كما أنه ليس من السهولة اعتماد لغة أخـرى؛ إذ يتطلَّـب ذلـك أن يعيش الإنسان عاداتها اللسانيَّة ويتمرَّن عليها فترة طويلة حتى تصبح جزءًا مـن سلوكياته العفويَّة؛ أى جزءًا من ذاته، وإلَّا فهو يُعانى جفـاف التعبـير وصـعوبة الكلمة.

وهنا تَبْرُز أمامنا مشكلة اللُّغة الأم مـن حيـث هـى أداة التفكـير العفـوى الوحيد، التى بإمكانها أن تُفْضى بمواجيد النفس بشكل انسيابى، فنحن هنا لسنا أمام فكرة فى جانب ولفظة فى جانب آخَر، كما هو حال كثيرين ممن يُتْقِنون لغات أجنبية، وإنَّما نحن أمام حركة جدليَّة خاطفة، لا تبدأ بفكرة أو صورة فى الـداخل أو الخارج حتى تنتهى بلفظـة ذات حـدود موسـيقيَّة معيَّنـة، ومضـمون ذهنـى خاصّ، إننا أمام عادات لسانيَّة وألفاظ اتخذت لها مجارى خاصَّـة فى الأعصـاب، ترتبط الصور والأفكار التى تحملها الألفاظ بالنَّبَرات الصوتيَّة التى تتكوَّن منهـا هذه الألفاظ؛ مما يجسِّد قابليَّة التعبير العفوىِّ عند الإنسـان باللُّغـة التـى يعـيش أساليبها وصيغها وتراكيبها ومفرداتها.. كحياة وحركة وفعل.. باللُّغة الأم.

ويتعيَّن علينا الانتباه إلى أنه ليس ثمة رابطـة بـين العـرق أو النَّسَـب وبـين

اللُّغة الأمِّ؛ فليس ضروريًّا أن تتطابق لغة التفكير لدى المرء مع لغته الأولى (لغته الأم)، فقد تكون اللُّغة الأم لشخص ما هى العربيَّة، ولكنه يفكر بالإنجليزيَّة؛ بسبب هيمنة هذه اللُّغة لديه، أو لأنه عاش فترة طويلة بين أهلها، أو لأنه تلقَّى معظم تعليمه بواسطتها(٤٨)، فأيّما لغة عاشها الفرد واعتاد أساليبها وصيغها وتراكيبها وأصواتها تصبح بالنسبة له "اللُّغة الأم" (٤٩).

مجمل القول:

تُثير قضيَّة تأثير اللُّغة على الفكر جملةً من التساؤلات:

هل للغة حقًّا تأثير على الفكر؟

هل يمكن لبِنْية اللُّغة التى نتحدَّثها أن تؤثر فى طريقة إدراكنا الحسِّى للعالم من حولنا، ومن ثم فى طريقة تعاملنا معه؟

هل المتحدِّثون بلغاتٍ مختلفة يرون العالم بطرق مختلفة؟

هل تعكس اللغات المختلفة ثقافاتٍ وأفكارًا ومعتقداتٍ مختلفة؟

هل يمكن استخدام اللُّغة فى التأثير على عقول البشر وأفكارهم ومعتقداتهم وتوجهاتهم؟

على الرغم من تباين الآراء فى الإجابة عن هذه التساؤلات، فإنه يمكننا أن نَخْلُص إلى النتائج الآتية:

- لا شك أن للُّغة تأثيرًا ما على الذاكرة والإدراك والفكر.
- لا توجد حتى الآن الدلائل أو البراهين العمليَّة التى يمكن أن تُقْنِعْنا

بأن المُتحدِّثين بلغات مختلفة يرون العالم بطرق مختلفة؛ ومن ثم يعيشون فى عـوالم مختلفة أو مُنْفَصِلَة؛ فاللغات جميعها تتماثل أكثر مما تختلف فى جوهرها وفى طريقة وصفها للواقع، ولو لم تكن كذلك لَاستحالَ التواصل بين الشعوب المختلفة.

- قد لا يكون الاختلاف فى طريقة تصوُّر الأشياء بقدر ما هـو اخـتلاف فى الأشكال (اللُّغة) المُعبِّرة عن هذه الأشياء، والدليل على ذلـك إمكانيَّـة ترجمـة الفكرة المُعبَّر عنها بلغة معيَّنة إلى لغة أخرى دون أن تَفْقِد معناها.

- يتساوى جميع البشر فى مُدْرَكاتهم الحِسيَّة على الرغم مـن الاختلافـات التى توجد فى الألفاظ الدالَّة على هذه المدركات بين لغة وأخرى.

- ومع ذلك لا يمكن إغفال حقيقة أن للغة أساسًـا ثقافيًّـا؛ إذ لا يمكـن فصل لغة مجتمعٍ ما عن ثقافته فصلًا تامًّا؛ فكلُّ مجتمعٍ لديـه معتقـدات وعـادات واهتمامات وقِيَم مختلفة وثوابت فكريَّة مختلفة، واللُّغـة هـى التـى تعكـس هـذه الأشياء؛ من هنا نشأت الاختلافات بين لغات المجتمعـات المختلفـة فى التعبـير عنها؛ لذا يمكننا إرجاع الاختلافات التى تكون بين اللغات إلى عوامل ثقافية.

- لا تقف اللُّغة عند مجموعـة محـدَّدة أو عنـد حـدٍّ معـين مـن المفـاهيم؛ فعندما تتطوَّر الثقافات تواجهها مفاهيم وأشـياء جديـدة، تسـتخدم كـل ثقافـة الأدوات المتاحة لديها لتوليد كلمات جديدة تُعبِّر عن هذه المفاهيم الجديـدة. مـن هنا يمكننـا تشـبيه اللُّغـة بالكـائن الحـى الـذى ينمـو ويتطـور بنمـو الثقافـات وتطورها.

- تعدُّد اللغات يعنى تعدُّد الثقافات والحضارات، وتطوُّر لغة شعب ما يَدُلُّ على تطور حضارته، وجُمودها يدل على ركود هذه الحضارة؛ فاللُّغة تعكس تقدُّم الشعوب أو تأخُّرها. لذلك يأتى ثراء اللُّغة واتساعها دليلًا على عُمْق ثقافةِ أمَّةٍ ما، وفقرها وقِلَّة حصيلتها اللغويَّة دليلًا على ضُمور الحضارة وضعف الثقافة.
- يتعرَّف المرء من خلال تعلُّمه للغةٍ جديدة إلى شعبٍ جديد، وإلى جزءٍ جديد من الثقافة والتاريخ الإنسانىّ.
- للُّغةِ قوةٌ تأثيريَّة إقناعيَّة لا يُمْكِن إغفالها:
    - يستخدمها السياسيون وأصحاب النفوذ؛ للسيطرة على عقول الناس من خلال الخُطَب الرنَّانة والألفاظ البرَّاقة الخدَّاعة التى تلعب بعواطف الناس وتُخدِّرهم.
    - يستخدمها كذلك المُهْتَمُّون بالدعاية والإعلان؛ لحثِّ الجمهور على الإقبال على شراء سِلْعَة معيَّنة، أو العدول عن نمط سلوكى غير مقبول اجتماعيًّا.
    - قد يصل ذلك ـ فى بعض الحالات ـ إلى أن يكون نوعًا من غسيل الدماغ أو البرمجة العقليَّة أو التنويم المغناطيسى، يُستخدَم فى نشر مبادئ وعقائد معيَّنة بين الناس، ومن ثم دفعهم لتبنِّى أفكار ومعتقدات وتوجُّهات معيَّنة، أو بعبارة أخرى: امتلاك وعيهم.

على الرغم من ذلك لا يُمْكِن القول بأن جميع البشر ـ يَقَعون ضَحِيَّة هذه القوة التأثيريَّة الإقناعيَّة للغة؛ فهذا أمر نِسْبيٌّ مرهون بعقول البشر ـ أنفسهم، وبامتلاكهم الوعى الكافى لتمييز الخطأ من الصواب، والكذب من الحقيقة. فكُلَّما كانت الأفكار المطروحة مُتناقِضَة وغير مُنْسَجِمَة مع الأفكار الموجودة بعقل الإنسان، كان دخولها إلى العقل ـ ومن ثم قبولها والاقتناع بها ـ أصعب؛ نظرًا لأن المقاومة ستكون شديدة بين الأفكار المطروحة والموجودة.

أمَّا إذا كان عقل الإنسان فارغًا من الأفكار ومُفتقرًا إلى الوعى فسيكون دخولها إليه سهلًا دون أى مُقاوَمَة، حتى تستقر فيه وتصبح لديه بمنزلة الحقائق الثابتة.

النتيجة النهائية:

إنَّ العلاقة بين اللُّغة والتفكير علاقة تفاعليَّة مُتبادَلة من حيث التأثير والتأثُّر، فكلٌّ منهما يؤثِّر فى الآخَر ويتأثَّر به.

❁ ❁ ❁

مصادر ومراجع الفصل الرابع

(١) د. خالد عبيدات، الفكر العربي، الفصل العاشر، www.achrs.org.

(٢) *Sapir, E. (1936). Selected Writings. Vol. 2. Barkeley- Los Angelos. P. 104.*

(٣) *Sapir (1936), Op. Cit., P. 111.*

(٤) *Sapir (1936), Op. Cit., P. 131.*

(٥) *Sapir (1936), Op. Cit., P. 118.*

(٦) *Sapir (1936), Op. Cit., P. 78.*

(٧) محمد حافظ دياب، درس اللُّغة والتقليد الأنثروبولوجى، مجلة نزوى، عدد: ٤٣، www.nizwa.com.

(٨) *Whorf, Benjamin Lee (1956). Language, Thought and Reality: Selected Writings of Benjamin Lee Whorf. Edited by J.B. Carroll. Cambridge: MIT Press. P. 212.*

(٩) *Carroll, John B.(1964). Language and Thought, Englewood cliffs, New Jersey: prentice Hall Inc, 1964, p. 106.*

(١٠) جوديث جرين، التفكير واللُّغة، ترجمة: عبد الرحمن عبد العزيز العبدان، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠، ص ١٠٤.

(١١) *Langacker, Ronald W. (1973). Language and its Structure. San Diego: Harcourt Brace Jovanovich, Publishers. Secondedition. 1973. P. 38.*

(١٢) *Slobin, D.I. (1971). Psycholinguistics. London: Scott-Foresman and Comp. Glenview. Illinois. 1971. PP. 126 – 127.*

(١٣) باريس: مَرَض غريب يُصيب سُيّاح اليابان، الأهرام، ١٩٩٢/١٢/٢٤م، ص ١٧؛ د. أحمد شفيق الخطيب، اللُّغة والفكر، ٢٠٠٦، www.arabswata.org.

(١٤) *Whorf (1956), Op. Cit., P. 28.*

(١٥) *Abley, Mark (2004). Spoken Here: Travels Among Threatened*

Languages, London: William Heinemann, firstedition, 2004.

(١٦) د. محمد شوقى الفنجرى، اللُّغة العربيَّة فى محنة، جريدة أخبار اليوم، العدد: ١٥٢٦٩، ٥ من أبريل ٢٠٠١ م – ١١ من المحرم ١٤٢٢ هـ.

(١٧) *Lyons, John (1981). Language and Linguistics: An Introduction. London and New York: Cambridge UniversityPress. 1981. P. 305.*

(١٨) *Lyons (1981), Op. Cit., P. 306.*

(١٩) *Lyons (1981), Op. Cit., P. 307.*

(٢٠) د. حمزة بن قبلان المزينى، التحيُّز اللغوى: مظاهره وأسبابه، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، السنة: ٤٣، ١٩٩٥ م، ص ٤٧ - ١٢٨.

(٢١) *Whorf (1956), Op. Cit., P. 28.*

(٢٢) *Carroll (1964), Op. Cit., P. 91.*

(٢٣)*Simpson, Paul (1993). Language, Ideology and Point of View. Routledge. Tailor & Francis Group. PP. 163 – 164.*

(٢٤) *Language and Thought Processes.www.anthro.palomar.edu.*

(٢٥) *Jenkins, Orville. Worldview in Language: Language and Thought, www.orvillejenkins.com/worldview/worldvthink.*

(٢٦) د. أحمد شفيق الخطيب، مصدر سابق.

(٢٧) د. محمد ربيع الغامدى، اللُّغة ومشكلة المعنى، جريدة الرياض، العدد: ١٢٩١٤، ٤ رمضان ١٤٢٤ هـ- ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣ م.

(٢٨) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- ***Pinxten, Rik (1976), Universalism Versus Relativism in Language and Thought: proceedings of a colloquium on the Sapir-Whorf hypotheses, The Hague: Mouton.***
- ***Haugen Einar. Linguistic relativity: myths and methods. In Language and thought: anthropological issues. Edited by McCormack William and Wurm Stephen. The Hague: Mouton 1977. pp. 11-28.***
- ***Macnamara, John (1977), Language Learning and Thought,***

New York: Academic Press.

- *Bloom, A. H. (1981), The Linguistic Shaping of Thought, Lawrence Erlbaum Associates, Hillsdale, NJ.*
- *Cooper, R. and B. Spolsky (Eds.). (1991), Influence of Language on Culture & Thought. New York: Mounton de Gruyter.*
- *Lucy, John Arthur (1992), Language Diversity and Thought: a reformulation of the linguistic relativity hypothesis, Cambridge; New York: Cambridge University Press.*
- *Bruce, Mannheim and Jane H., Hill (1992), "Language and World View," Annual Review of Anthropology 21: 381-406.*
- *Hardin, C. and M. Banaji (1993), "The Influence of Language on Thought." Social Cognition 11:277-308.*
- *Nolan, Rita (1994), Cognitive Practices: Human Language and Human Knowledge, Blackwell.*
- *Gumperz, J. J., and Levinson, S. C. (1996),* **Rethinking linguistic relativity.** *Cambridge, UK: Cambridge University Press.*
- *William, Harvey (1996), "Linguistic relativity in French, English, and German philosophy," Philosophy Today 40: 273-288.*
- *Skoyles, J. (1999), "The Sapir-Whorf Hypothesis: New Surprising Evidence."*
- *Niemeier, Susanne and René, Dirven (2000), Evidence for Linguistic Relativity, Edited by Amsterdam: J. Benjamins.*
- *Boroditsky, L. (2001), Does Language Shape Thought?: Mandarin and English Speakers' Conception of Time, Cognitive Psychology, 43, 1-22.*

(٢٩) سعيد عبد الكريم الخباز، اللُّغة والفكر والمجتمع، شبكة راصد الإخبارية، ٢٠٠٧/٣/٢٤ م، *www.rasid.com*.

(٣٠) الموسوعة الحُرَّة "ويكيبيديا"، *www.ar.wikipedia.org*.

(٣١) سعيد عبد الكريم الخباز، مصدر سابق.

(٣٢) ابن جنى، الخصائص، الجزء الأول، تحقيق محمد على النجار.

(٣٣) زهير الخويلدى، الضاد من لغة الهويَّة إلى لغة الفكر، جريدة إيلاف

الإلكترونية، العدد: ٢٠٨٠، ٣١ يناير ٢٠٠٧، www.elaph.com.

(٣٤) باقر جاسم محمد، حول اللُّغة وسوء التفاهم، الحوار المُتمدِّن، العدد: ١٥٦٥، /٢٠٠٦/٥، www.ahewar.org.

(٣٥) سعيد عبد الكريم الخباز، مصدر سابق.

(٣٦) *Weiten, Wayne (2002). Psychology Themes and Variations: Briefer Version, Fifth edition. Belmont: Wadsworth- Thompson Learning. 2002. P. 258.*

(٣٧) *Weiten (2002), Op. Cit., P. 127.*

(٣٨) *Weiten (2002), Op. Cit., P. 201.*

(٣٩) *Greene, Intissar. Using Language to Influence Thought. www.intissar.com/language.htm.*

(٤٠) سعيد عبد الكريم الخباز، مصدر سابق.

(٤١) سعيد عبد الكريم الخباز، مصدر سابق.

(٤٢) محمد سبيلا، الإيديولوجيا: نحو نظرة تكاملية، المركز الثقافى العربى: بيروت، ١٩٩٢، ص ١٢١.

(٤٣) *Joseph, John E., "Ideologizing Saussure: Bloomfield's and Chomsky's Readings of the Cours de linguistique general" in Ideologies of Language. Ed. by John E. Joseph and Talbot J.Taylor. (Politics of Language Series.) London and New York: Routledge, 1990*

(٤٤) باقر جاسم محمد، مرجع سابق.

(٤٥) د. محمد ربيع الغامدى، مرجع سابق.

(٤٦) نبيل حاجى نائف، تأثير اللُّغة والإعلام علينا أكبر مِمَّا نتصوَّر، الحوار المُتمدِّن، العدد: ١٧٢٥، ٢٠٠٦/١١/٥ م، www.ahewar.org.

(٤٧) لمزيد من التفصيل انظر المراجع الآتية:

- *Calvert, Clay. "Hate Speech and Its Harms: A Communication Theory Perspective." Journal of Communication 47.1 (1997).*

Abstract. InfoTrac Expanded Academic ASAP. MCC at Red Mountain Library, Mesa AZ. 13 Mar. 2003.

- *Halpern, D. F. (1996). Thought and knowledge: An Introduction to Critical Thinking. Mahwah: Erlbaum. 1996.*
- *Hemmelgarn, Melinda (2003). A Sugar Pop is a Sugar Pop. Human Environmental Services Extension's Resource. 14 Mar. 2003. <http://outreach.missouri.edu/hesnutnews/fnr88-97/fnr91-4.htm>.*
- *Loftus, E. F., and J. C. Palmer (1974). "Reconstruction of Automobile Destruction: An Example of the Interaction Between Language and Memory." Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior 37 (1974): 585-589.*
- *Lutz, W. (1989). Doublespeak. New York: Harper Perennial. 1989.*
- *Nielsen, Laura Beth. "Subtle, Pervasive, Harmful: Racist and Sexist Remarks in Public as Hate Speech." Journal of Social Issues 58.2 (2002): InfoTrac Expanded Academic ASAP. MCC at Red Mountain Library, Mesa AZ. 13 Mar. 2003.*
- *"Semantics". Def. 1. Funk and Wagnalls Standard Desk Dictionary. Vol. 2. 5th ed. 1983.*

(٤٨) محمد على الخولى، مُعْجَم عِلْم اللُّغة النظرى، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م.

(٤٩) محمد مبارك، حول بعض موضوعات اللُّغة كظاهرة اجتماعية... علاقة اللُّغة بالمجتمع، جريدة المدى، ٢٠٠٦، www.almadapaper.com.

المصطلحات

(A)

القدرة *Ability*:

قوَّة القيام بعمل ما. والقدرة يمكن أن تكون فطريَّة أو مُكتسَبَة نتيجة تدريب.

قدرة مُجرَّدة *Abstract Ability*:

القدرة على استخدام الأفكار المُجرَّدة بوصفها عكس الأفكار المحسوسة في حل المشكلات وفي التعامل مع الأوضاع الجديدة الطارئة.

فكرة مُجرَّدة *Abstract Idea*:

فكرة مُعَمَّمة تُمثل وجهًا من وجوه صنف أو زمرة من الأشياء، بقطع النظر عن الأشياء الخاصَّة أو المحسوسة نفسها.

التجريد *Abstraction*:

١. عمليَّة تنحية أو عزل مفهوم عن صنف من الأشياء أو الحوادث.

٢. مفهوم ناتج عن عمليَّة التجريد.

٣. استغراق الإنسان في أفكاره الخاصة وما ينتج عنه من عدم الانتباه إلى ما يحيط بهذا الإنسان.

العجز عن التعبير *Acataphasia*:

عدم القدرة على الربط بين الكلمات؛ لتحويلها إلى جملة مفيدة.

الاكتساب *Acquisition*:

إضافة استجابة جديدة عن طريق التعلُّم.

مُختزَل نحتى *Acronym*:

لفظة أوائليَّة، وهى كلمة مُركَّبة من أوائل حروف كلمات أخرى، من أجل التعبير عن هذه الكلمات ولكن بأسلوبٍ مُخْتصَر يَسْهُل معه استخدامها.

الإعداد الفعلى، التفعيل *Activation*:

استثارة الفعل أو الإعداد له. ويُستعمَل المصطلح ـ بصفة عامَّة ـ للدلالة على تأثير عضو فى آخر.

نمط تفعيلى *Activation Pattern*:

نمط من الأمواج السريعة وغير المنتظمة يظهر على الخط البيانى لكهربة الدماغ مُصاحبًا للإثارة.

الفعاليَّة أو الفاعليَّة، النشاط *Activity*:

١. حركة أو سلوك يَصْدُر عن كائن حىّ.

٢. أى عمليَّة عقليَّة أو فيسيولوجيَّة، ويُراد بها وظيفة ***function***. وكثيرًا ما يُضاف إلى الفعاليَّة أوصاف مثل الفعاليَّة العامَّة أو الخاصَّة أو العشوائية، وقد تكون الفاعليَّة عن قصد أو دون قصد.

العَمَه *Agnosia*:

العجز الكلى أو الجزئى عن ربط المعنى بالانطباع الحسى. والعمه يمكن أن يحدث لأى حاسَّة، وهو فى المُعتاد نتيجة لإصابة دماغية.

لَحن *Agrammatism, Agrammatologia, Agrammataphasia*:

إضاعة القدرة على الكلام المُتَّسِق، وقد يكون مُسبَّبًا عن آفة دماغيَّة، أو

عن اضطراب عقلى حادّ، وبخاصة ردود الأفعال الفصامية.

بَكَم *Alalia*:

غياب وظيفة الكلام، أو العجز عن الكلام.

لا قراءة *Alexia*:

نوع من الأفازيا أو العيب اللغوى، يشكو فيه المريض من عدم القدرة على القراءة، أو العجز عن فهم اللُّغة المكتوبة أو المطبوعة. وتكـون اللاقـراءة نتيجـة لضرر عضوى يَلْحَق بالدماغ.

خوارزمية، نظام العد العربى أو العشرى *Algorithm*:

صيغة أو وصفة حسابيَّة واضحة المعـالم لحـل مشـكلة أو القيـام بعمليَّـة. وهذا المصطلح تم اقتباسه من اسم مُخْتَرِعه العالم الرياضى العربى المسـلم "محمـد بن موسى الخوارزمى".

غامض، مُلتبس *Ambiguous*:

له معنيان مُمْكِنان أو أكثر، قليل الوضوح.

لغة الإشارات الأمريكيَّة *American Sign Language (ASL)*:

منظومة من الحركـات والإشـارات اليدويَّـة يسـتعملها الصُّـم للاتصـال بسواهم.

علم الإنسان، علم الأجناس البشريَّة *Anthropology*:

العلم الذى يـدرس الإنسـان بـما فى ذلـك صـفاته الجسـديَّة وحضـاراته وأعراقه.

حُبْسَة، أفازيا *Aphasia*:

إضاعة القـدرة عـلى الكـلام جزئيًّـا أو كليًّـا؛ وذلـك بسـبب أذى يلحـق بالدماغ. ويُميِّز العلماء بين أنواع من الحبسة:

- الحركيَّة: وفيها يعجز المريض عن لفظ الكلمات.
- الحسيَّة، أو العجـز عـن فهـم الكلـمات المكتوبـة أو المطبوعـة (حسـية بصرية)، أو العجز عن فهم الكلمات الملفوظة (حسيَّة سمعيَّة).
- التركيبيَّة، أو العجز عن الجمع بين الكلـمات ورصـف الجمـل بشـكل صحيح مفهوم.
- الاسميَّة، أو العجز عن إيجاد الكلمة المناسبة للاستعمال.
- الذاكريَّة، أو العجز عن تذكر الكلمات.
- الكليَّة: وهى مزيج من الحبسة الحسيَّة والحركيَّة.

الكلام الواضح *Articulate Speech*:

اللُّغة الشفويَّة ذات المعنى.

الفصاحة *Articulation*:

الكلام المسموع، وبخاصة نطق الحروف الساكنة فى أثناء التكلم.

استيعاب (تمثل) *Assimilation*:

هو تطبيق الطفل مُخططًا إدراكيًّا على شىء معَّين أو على شخص أو حـادث خاص، أو العمليَّة التى يتم بواسطتها تكيُّف الدماغ مع الأمر المُراد تمثُّله.

الربط، الترابط، الاقتران *Association*:

١. علاقة وظيفيَّة أو ربط بين ظاهرتين سيكولوجيتين حدث نتيجة خبرة أو تعلُّم.

٢. ارتباط بين الأفكار.

اختبار الترابط *Association Test*:

اختبار يُقدِّر ردَّ فِعْل المُجرَّب عليه إلى المثيرات مختلفة الأنواع، ففى اختبارات الترابط الكلاميَّة يُطلَب إلى المُجرَّب عليه أن يستجيب بكلمة أخرى بالنسبة إلى الكلمة المُثيرة. وفى تسمية الألوان يُطْلب إلى المُجرَّب عليه أن يُسمِّى مجموعة من الألوان بأسرع ما يمكن. وفى اختبارات التداعى الحرّ (***Free Association Tests***) يُسْمَح للمُجرَّب عليه أن يستجيب بأى كلمة تخطر على باله. أما فى التداعى المضبوط (***Controlled Association***) فإنه يتحتم على المجرب عليه أن يستجيب وفقًا لزمرة معيَّنة سلفًا؛ مثل المترادفات والمتضادات.

التفكير الترابطىّ *Associative Thinking*:

التفكير الذى يتوقف على الترابطات السابقة. أو سلسلة من الأفكار المُتداعية.

الكلام غير المُتَّصِل *Asynergia*:

كلام مُفكَّك تكون فيه العناصر بدون ترابط صحيح.

انتباه *Attention*:

١. عمليَّة الاستجابة تفضيليًّا إلى مُثير أو مجموعة من المُثيرات.

٢. تكييف أعضاء الحِسِّ والجملة العصبيَّة المركزيَّة وتركيزها من أجل إثارة قصوى.

السَّمْع Audition:

حِسُّ السمع الذى يَحْدُث من إثارة الموجات الصوتيَّة لنهايات العصب السمعى فى الأذن، ثم انتقال تلك الإثارة إلى المركز السمعى فى الدماغ. ومدى السماع البشرى يتراوح بين ١٦ – ٢٠٠٠٠ هرتز تقريبًا.

(B)

المُناغاة Babble:

الأصوات الكلاميَّة غير ذات المعنى التى يصدرها الرضيع.

السلوك Behavior:

١. أى استجابة يقوم بها الكائن الحى.

٢. فعل أو فاعلية.

٣. حركة أو مجموعة مُركَّبة من الحركات.

صرخة الولادة Birth Cry:

تصويت ارتكاسى يظهر عند بداية التنفُّس بعد الولادة مباشرةً.

لغة الجسد Body Language:

نقل المشاعر الشعوريَّة واللاشعوريَّة عبر الإشارات والأوضاع الجسديَّة.

الدماغ Brain:

كتلة من الأنسجة العصبيَّة موجودة فى الجمجمة. والدماغ مؤلَّف من:

المخ، والمخيخ، وجذع الدماغ المؤلف بدوره من: الدماغ المتوسط والبصلة السيسائيَّة أو النخاع المستطيل.

والدماغ الأمامى هو أرقى أجزاء الدماغ فى الإنسان والحيوانات العُليا، ويُسمَّى الجزء العلوى منه بالمنطقة المهاديَّة، وتنقسم قسمين: المهاد (السرير البصرى: ثالاموس)، والمهيد (ما تحت السرير البصرى: هايبوثالاموس) الذى يلعب دورًا كبيرًا فى الانفعالات.

والدماغ ملفوف باللحاء أو القشرة الدماغيَّة، وعليها مراكز للحِسِّ والحركة والربط والتفكير. وكثيرًا ما تُسْتَعْمَل كلمة الدماغ مُرادفًا للتفكير والذكاء.

غسيل الدماغ *Brain Washing*:

تغيير اتجاهات الإنسان (السياسيَّة عادة). ويتم الغسيل بوسائط جسديَّة ونفسيَّة.

منطقة بروكا *Broca's Area*:

مركز الكلام، ويقع فى الجزء الأدنى من الفصِّ الجبهيِّ فى نصف المخ الأيسر للأشخاص الذين يستخدمون اليد اليُمْنَى. ومن المعروف الآن أن هذه المنطقة ليست إلَّا واحدة من المناطق المسئولة عن الوظائف اللغويَّة، وهى مُخْتصَّة بالدرجة الأولى بالكلام الملفوظ.

(C)

الجملة العصبيَّة المركزيَّة *Central nervous system*:

هى الدماغ والحبل الشوكى، وعكسها: الجملة العصبيَّة المحيطيَّة.

النظريَّة المركزيَّة فى التفكير *Central theory of thinking*:

القول بأن التفكير محصور فى العمليَّة الدماغيَّة، وعكسها: النظريَّة المحيطيَّة فى التفكير.

المخيخ *Cerebellum*:

أصغر الجزأين اللذين يتكون منهما الدماغ، وهو عضو مهم فى التنسيق الحركى.

القشرة الدماغيَّة (أو المخية) *Cerebral cortex*:

اللحاء السطحى الذى يُغلِّف المخ، وهى مؤلفة من أجسام الخلايا، مما يعطيها اللون الرمادى. ويُقدَّر عدد الخلايا فى هذه القشرة بتسعة مليارات خلية، وعلى هذه القشرة توجد المراكز الحِسّيَّة ومراكز الضبط الحركى وساحات العمليات العقليَّة العليا.

المخ *Cerebrum*:

أكبر أقسام الدماغ وأهمُّها، وهو مؤلَّف من نصفى كرة، يشتمل كل واحد منهما على مراكز قشريَّة أو تحت قشريَّة تتوسط الفاعليات الحِسّيَّة والحركيَّة والفكريَّة المُعقَّدة.

علم نَفْس الطفل، سيكولوجيَّة الطفولة *Child psychology*:

فرع من علم النفس يهتمُّ بنمو العمليات العقليَّة والسلوكيَّة عند الإنسان منذ الولادة وحتى البلوغ.

تداعى الرنين *Clang association*:

تداعى الكلمات مُتشابهة الرنين، وهكذا فإن كلمة (باب) قد تستدعى كلمة (محراب).

الوضوح *Clearness*:

الوضوح فى التفكير هو خاصيَّة أن تكون الفكرة مُمْكِنَة الفهم.

الشفرة *Code*:

١. مجموعة من الرموز تُسْتَعمَل لنقل معلومات إلى صيغة أخرى.

٢. قياسيات للسلوك.

التمييز، المعرفة، العقل *Cognition*:

مصطلح عامٌّ يشمل كل أنواع المعرفة؛ فهو يشمل الإدراك والتخيُّل والمُحاكَمة والحكم. ولقد كان التقليد أن يُفرَّق بين التمييز (العقل) وبين الإرادة والانفعال.

التنافر التمييزى *Cognitive dissonance*:

حالة نفسيَّة غير مريحة يختبر فيها الإنسان تمييزين غير متناغمين أو متناسقين.

البِنْيَة التمييزيَّة (المعرفية) *Cognitive structure*:

تنظيم العالم الإدراكى فى نمط مُوَحَّد من العقائد والمواقف والتوقعات.

نظام معرفى *Cognitive system*:

يُفترَض نظريًّا فى كلٍّ من علم اجتماع الثقافة وعلم اجتماع المعرفة وفى علم النفس المعرفى ـ أن لكل مجتمع ولكل شخص "نظامًا معرفيًّا" خاصًّا بـه يتكـوَّن من مجموعات من عناصر المعرفة أو المعتقدات التـى يسـتند إليهـا المجتمـع ـ أو الشخص ـ فى تعرُّفه على العالم من حولـه وفى تعاملـه مـع هـذا العـالم، أو التـى تتكوَّن منها (فى حالة المعتقدات) عقيدته الكلِّية. أمَّا موضوعات الـنظم المعرفيَّـة فليس لها حصر، فنحن نجمع معلومات وانطباعات وتصورات وشـذرات مـن المُدرَكات بصورة مستمرة، ثم تنـتظم هـذه المجموعـات مـن المـدارك فى "نظـم معرفية" عن أشخاص وجماعات، وظواهر وتـواريخ ومجتمعـات ومؤسسـات.. إلـخ. إنهـا نظـم معرفيَّـة جزئيَّـة تتشـكَّل مـن تفاعـل المعلومـات والمفـاهيم والتصورات الذهنيَّة؛ لكى يتكوَّن من هـذه الـنظم المعرفيَّـة الجزئيَّـة الفرعيَّـة فى النهاية "النظام المعرفىُّ" الكلى أو الشامل الذى يتميَّز به مجتمع أو فرد بعينه.

الاتصال، التواصل *Communication*:

١. عمليَّة نقل الإشارات أو الرسائل أو تلقيها.

٢. رسالة أو إشارة.

الفهم *Comprehension*:

الاستيعاب، عمليَّة الاستجابة الذكيَّة فى وضع مُعْضِل.

المفهوم *Concept*:

١. فكرة عامَّة، أو معنى عام يُرْمَز إليه بكلمة أو رمز أو إشارة.

٢. فكرة تشتمل على عدة عناصر اُسْتُخْلِصَت من مصادر متعددة وجُمْعَت فى فكرة واحدة، ومثالها كلمة (شجرة). وتتكون المفاهيم بعمليتى التجريد والتعميم.

تكوين المفاهيم ***Concept Formation*:**

عمليَّة تعلُّم المفاهيم، وتشتمل على عمليتى التجريد والتعميم، ومن بعد تطبيقها على صنف معين من الأمور أو الأشياء.

إدراك ***Conception*:**

١. عمليَّة التصوُّر أو التفكير.

٢. عمليَّة تكوين مفهوم ما.

٣. فكرة عامَّة عن أمر ما مثل فكرة الإنسان عن الشيوعية.

التصوُّر ***Conceptualization*:**

١. عمليَّة التفكير والتخيُّل.

٢. تكوين المفهوم أو المثل.

صورة عَيْنِيَّة ***Concrete Image*:**

صورة من الذاكرة تُستدعَى بصفاتها الحسيَّة مثل تذكُّر وجه شخص أو رائحة التفاح.

المرحلة الإجرائيَّة العينيَّة ***Concrete Operational Stage*:**

عند "بياجيه" ***Piaget*** هى مرحلة من مراحل النمو، يتمكَّن الطفل فى أثنائها من استعمال قواعد مَبْنِيَّة على وقائع حسيَّة، ولكنه يعجز عن التعامل مع

الصفات المُجرَّدة.

مفهوم الالتحام *Conjunctive Concept*:

مفهوم يُعرَّف بالوجود المشترك لعدد من الصفات.

الربطيَّة *Connectionism*:

هى النظريَّة التى تقول: إن الوسائط الوظيفية بين المثير والاستجابة أو بين الارتباطات هى روابط عصبيَّة يمكن أن تكون موروثة أو مُكْتَسَبَة بالتعلُّم.

التضمُّن، معنى ضمنى *Connotation*:

١. معنى ذو مُحْتَوًى انفعالى توحى به الكلمة.

٢. معنى خَفِىٌ يُضاف إلى المعنى الظاهر للكلمة.

خبرة واعية أو شعوريَّة *Conscious experience*:

فى الاستعمال العام هى الوعى والادراك.

الوعى، الشعور *Consciousness*:

١. حالة المعرفة والانتباه.

٢. مجموع الخبرات فى وقت حاضر معين بوصفها مُعاكِسة للنَّفْس التى هى جماع الخبرات الماضية.

٣. وعى الأفعال والنشاطات والاستجابات.

٤. معرفة الذات والانتباه إليها.

صائت *Consonant*:

كلام ملفوظ ذو أصوات.

السياق Context:

الألفاظ المتصلة التى توضِّح معنى كلمة أو جملة أو مقولة (سياق الكلام).

نظريَّة السياق فى المعنى Context theory of meaning:

عند "تتشنر" هى الافتراض بأن معنى خبرةٍ ما يحصل من مجموعة من الصور الذهنيَّة، تكون فى المعتاد مُقْترِنَة بالإحساس. وهكذا فإن معنى (النار) هو مزيج الصور الذهنيَّة عن النور والحرارة والألم والانسحاب. وما المعنى إلَّا إحساس مُضاف إليه سياق الصور الذهنيَّة المُتكوِّنة حول هذا الإحساس مما يعطيه صفة المعنى الخاص.

الترابط المضبوط Controlled association:

اختبار يُحدِّد فيه المُجرِّبُ الاستجابات التى ستُقدَّم على مجموعة من الكلمات المثيرة، فقد يطالَب المُجرَّب مثلًا بذكر المضادات أو المترادفات.

العُرْف Convention:

تقليد اجتماعى إلزامه غير صارم ولكنه ملحوظ بصورة واسعة.

التنسيق Coordination:

تنظيم المعلومات أو الأصناف بحيث تحمل العلاقة نفسها مع الأصناف الأخرى.

إشارة مُنَبِّهَة Cue:

١. إشارة مُتعَلَّمة من أجل توجيه السلوك أو ضبطه.

٢. مثير يستعمله الكائن الحى فى التمييز. والمصطلح كثيرًا ما يعنى مثيرًا ثانويًّا ضعيفًا أو غامضًا على الرغم من عدم كونه مُميَّزًا تمامًا، يُسْتَعْمَل فى التعرُّف والتمييز.

الثقافة *Culture*:

١. مجموع العادات والفنون والعلوم والسلوكيَّات الدينيَّة والسياسيَّة، مأخوذة بوصفها كُلًّا مُتكاملًا يُميِّز مجتمعًا عن آخر.

٢. مجتمع أو جماعة من الناس تتميَّز بعادات وفنون وعلوم وسلوك عن غيرها من الجماعات.

٣. الوجوه الفكريَّة والفنيَّة من الحياة، بتميُّزها عن الوجوه الماديَّة والتِقَنِيَّة المَحْضَة.

حُبّ الاستطلاع، الفضول *Curiosity*:

النزعة إلى البحث والسؤال. ويعتبره علماء النفس حافزًا أوليًّا، مثله كمثل الجوع والعطش والجنس.

عُرْف *Custom*:

صيغة من صيغ السلوك دائمة نسبيًّا ومُمَثِّلة لمجتمع ما. ويُقال: إن الأعراف أنماط من عادات مُركَّبة يتم تعلمها من المجتمع.

(D)

حُلْم اليقظة *Daydream*:

حلم أو تخيُّل يتم فى أثناء اليقظة. وكثيرًا ما تكون أحلام اليقظة مُحقِّقة

للرغبات مثل أحلام النوم، ولكنها تختلف عنها فى أن التعبـير عـن الرغبـات لا يكون مخبوءًا.

الأصم الأبكم *Deaf Mute*:

شخص لا يستطيع الكلام نتيجة لإصابته بالصَّمَم.

الصَّمَم *Deafness*:

العجز الجزئى أو الكلى عن السمع.

فك الرموز *Decoding*:

فى نظريات الإعلام هو العمليَّة التى بواسطتها يترجم المُسْتَقْبِل الإشارات ويُحوِّلها إلى رسالة.

استنتاج *Deduction*:

١. استنباط حقيقة صُغْرَى من حقيقة أكبر، والتوصُّـل إلى معلـوم جديـد استخلاصًا من مقدمتين؛ إحداهما ـ وهى الكبرى ـ مبدأ عام.

٢. صياغة فرضيَّة أو جملة من الفرضيات.

الدلالة، المعنى الدلالى *Denotation*:

الواقع الموضوعى الذى تدل عليه كلمة ما. أو المعنـى القاموسـى لكلمـة ما. وعكسها التضمين أو ***Connotation***.

النزعة المحدِّدة *Determining tendency*:

اتجاه نحو هدف معين.

جدلية *Dialectic*:

فن أو ممارسة الوصول إلى الحقيقة عن طريـق تبـادل الحجـج المنطقيـة. أو

الوصول إلى الحقيقة بعرض فرضين معينين وعرض ما يناقضهما والربط بينهما؛ للوصول إلى حجة مترابطة منطقية.

العجز *Disability*:

عجز عضو من الجسد أو الجسد بكامله وضياع الوظائف المقابلة.

خطاب *Discourse*:

المعنى الأصلى للكلمة الإنجليزيَّة هو: تعبير عن الأفكار بالكلمات، أو: مُحادَثة بين طرفين أو أكثر، أو: مناقشة رسميَّة أو معالجة مكتوبة لموضوع ما، أو: حوار أو كلام. وأول تلك المعانى الأصليَّة (أى: التعبير عن الأفكار بالكلام) هو المعنى الذى استند إليه عالم اللغويات السويسرى (الفرنسى اللُّغة) "فرديناند دى سوسير" فى كتاباته ومحاضراته العلميَّة؛ لكى يُحوِّل الكلمة إلى مصطلح يدل فى علم اللغويات على: أى امتداد لغوى له بناء منطقى سليم، ويكون أكبر من الجملة الواحدة أو الفقرة المتكاملة.

وفى علم اللغويات أيضًا أصبح تحليل الخطاب ينطبق على الفعاليات اللغويَّة، أو النتائج المؤثِّرة التى تنتج عن استخدام اللُّغة؛ مثل: العلامات اللغويَّة (المفردات وأجزاؤها من ناحية، وما يتركَّب منها من الناحية الشكليَّة والصوتيَّة والصرفيَّة) والأساليب، والتراكيب النحويَّة والبلاغية، وهى الفعاليات التى يحتاج وصفها وتحليلها إلى الاهتمام بالمتتابعات من الجمل إضافة إلى الجمل نفسها. وبعد "سوسير" لجأ عدد من المفكرين ونقاد الأدب الفرنسيين

إلى المصطلح نفسه لتسمية مجالات كاملة من مجالات التعبير اللغوى: كالإبداع الأدبى، أو تاريخ الثقافة، أو علم اجتماع الثقافة، أو الإنتاج الفكرى لعصر أو تيار بعينه.

وقد اكتسب المصطلح قيمة نظريَّة كبيرة عندما استخدمه المُفكِّر ومؤرِّخ الثقافات الفرنسى "ميشيل فوكو" فى كتابه الشهير: "نظام الأشياء" عام ١٩٦٦، حيث كشف تاريخ منظومات ثقافيَّة واجتماعيَّة كاملة عبر عصور طويلة؛ كالاقتصاد أو التاريخ أو التقاليد والأعراف أو العقائد، وحلَّل كيف كانت تُكتَب وتتحوَّل دلالاتها من عصر لعصر، ووصف كل طريقة للتعبير عن أفكار كل عصر بأنها: "الخطاب" الخاص به، فأصبح هناك خطاب عصر النهضة، وخطاب عصر التنوير أو الخطاب الكاثوليكى، أو خطاب عصر الإصلاح... إلخ.

واستخدم مُفكِّرو مدرسة فرانكفورت الألمان المصطلح ذاته لتسمية المذاهب والمدارس الفكريَّة، فأصبح هناك: الخطاب الماركسى، أو الوجودى، أو الدينى، أو الوضعى... إلخ.

وتوسَّع الكُتَّاب من مُختلف المدارس ـ النقديَّة خصوصًا أو الذين ينتمون إلى العلوم الاجتماعيَّة المختلفة ـ فى استخدام المصطلح لوصف أعمال مكتوبة أو منتجات فرديَّة أحيانًا، أو لوصف تصرفات عمليَّة وأقوال شفاهية أحيانًا أخرى، ولكنها تدل على مواقف فكريَّة لأصحابها.

العمليَّة التمييزيَّة *Discriminal process*:

فاعليَّة القيام بتمييز.

القدرة التمييزيَّة *Discriminating power*:

قدرة فقرة من فقرات اختبار ما على التمييز بين فريقين نموذجيين، أو بالنسبة إلى بُعْدَيْن مختلفين.

التمييز *Discriminative*:

١. عمليَّة التفريق بين شيئين.

٢. عمليَّة تمييز الفروق بين المثيرات.

المفهوم المُفرِّق *Disjunctive Concept*:

مفهوم يحتوى ـ على الأقل ـ على عنصر من مجموعة عناصر ويفترق بذلك عن سواه.

اضطراب الكلام *Divagation*:

اضطراب فى التكلُّم، ويتجلَّى فى تشوُّش الكلام وعدم انسجامه. ويُسْتَعْمَل المصطلح أحيانًا للدلالة على التفكير المُشوَّش.

العقيدة *Dogma*:

مُعْتَقَد يجب أن يُقْبَل على أساس الإيمان بسلطة.

مشكلة التغيير المُزْدَوَج *Double-alternation problem*:

موقف يُطْلَب فيه من المفحوص الاستجابة مرتين بطريقة ما، ثم مرتين بطريقة أخرى، وذلك فى غياب إشارات حِسّيَّة للتغيير.

دافع *Drive*:

نزعـة تتجـه نحـو هـدف، وهـى قائمـة عـلى أسـاس تغـيُّر فى العمليـات العضويَّة. ويحدث الدافع نتيجة للحرمان، وعدم تحقيق هـدف مـا يُسـبِّب الألم، والسلوك الذى يدفع إليه الدافع يتجه نحو قضاء الحاجة التى حُرِمَ الكائن الحى منها، وكذلك نحو تجنُّب ما يؤلم، وهكذا فـالجوع والعطـش والجـنس وسـواها دوافع، وتجنُّب الألم دافع.

البَكَم *Dumbness*:

عدم القدرة على الكلام أو عدم الرغبة فيه.

(E)

الاستنباط *Eduction*:

عمليَّة تنمية علاقات جديدة فى التفكير على أسـاس العلاقـات الأساسـيَّة المُدْرَكَة بين الأمور.

الأنِوى، المُركَّز على الأنا *Egocentric*:

عند "بياجيه": هو كل ما ينتمى إلى الكـلام والتفكـير المُـوَجَّهَين مـن قِبَـل الحاجات الفرديَّة والاهتمامات الذاتيَّة.

الانفعال *Emotion*:

يُعـرِّف العلـماء المختلفـون الانفعـال تعريفـات شـتَّى، وذلـك بحسـب مدارسهم، لكنهم يتفقون على أن الحالة الانفعاليَّة استجابة مُعقَّدة تشـتمل عـلى

مستوى عـالٍ مـن الفاعليَّـة، وعـلى تغـيرات مصـحوبة بمشـاعر وإحساسـات عاطفية.

ويمكن تعريف الانفعالات بأنها حالات عضـويَّة مُسـتثارة تشـتمل عـلى تغيُّرات شعوريَّة وسلوكية؛ ولذلك فإن الانفعالات أعمق من المشاعر.

الترميز *Encoding*:

تحويل الرسائل إلى إشارات أو رموز.

الكلام الصامت *Endophasia*:

الكلام الداخلى، أو مناجاة الذات.

البيئة، المُحيط *Environment*:

مجموع الظواهر الماديَّة أو الاجتماعية ـ أو جزء منها ـ التـى تُحـيط بالكـائن الحى الفرد أو تؤثر فيه أو فى جزء منه. ويفرِّق العلماء عادةً بين عدد من البيئـات؛ كالبيئة قبل الولاديَّة، والبيئة بعد الولاديَّة، والبيئة الخلويَّة، والبيئة الداخليَّة...

حادثة *Event*:

١. حادث أو ظاهرة يمكن أن تصبح معلومًا سيكولوجيًا.

٢. عند "موراى": هى كل حادث فى الحياة مُتَّصِل بحاجة ما.

السلوك الظاهر *Explicit behaviour*:

سلوك واضح غير خفى كحركات الجسد.

الاستجابة الظاهرة *Explicit response*:

استجابة واضحة يُمْكِن ملاحظتها مباشرةً دون حاجة لوسيط أو آلة.

الحُبْسَة التعبيريَّة Expressive aphasia:

حُبْسَة يعجز المُصاب بها عن الكلام أو الكتابة أو القيام بحركات ذكية.

(F)

المُغالَطَة Fallacy:

خطأ فى الحكم أو التفكير يعطى نتيجة صحيحة فى الظاهر، ولكنها خاطئة فى الواقع.

المشاعر Feelings:

١. بصورة عامَّة: كل حالة شعوريَّة أو خبرة شعورية.

٢. بصورة خاصة: حالة انفعالية.

٣. إحساس اللمس (للمصطلح الإنجليزى).

٤. الاعتقاد الحَدْسىّ.

القَدْح Firing:

إثارة عصبيَّة بمُثير آلى أو مُنبِّه آخر.

التشبُّث، التشبُّث الوظيفى Fixedness; Functional Fixedness:

عدم المرونة فى حل المشكلات. ويتجلَّى التشبث حين يجد الفرد صعوبة فى تغيير طرائقه واستعمال طرائق جديدة فى الحل.

هروب الأفكار Flight of Ideas:

توالٍ مُتسارِع لأفكار غير مترابطة. انعـدام الارتبـاط بـين الأفكـار المُعـبَّر

عنها كلاميًّا.

الطلاقة *Fluency*:

القدرة على التفكير فى الكلمات وترابطاتها بسرعة. والطلاقة الكلاميَّة ***Word Fluency*** تُقاس باختبارات متعددة؛ مثل عدد الكلمات التى يمكن أن يذكرها مفحوص من كلمة تُعْطَى له.

المرحلة الإجرائيَّة الصوريَّة *Formal Operational Stage*:

عند "بياجيه" مرحلة فكريَّة تبدأ فى حوالى الثانية عشرة من العمر، وتتميَّز بالتفكير المنطقى والتفكير المُجرَّد، وتكوين المفاهيم.

الترابط الحُرّ، التداعى الحُرّ *Free Association*:

استجابة إلى اختبار فى ترابط الكلمات غير مُقيَّدة بأى قيد.

اختبار التداعى الحُرّ *Free Association Test*:

اختبار يُطْلَب فيه من المفحوص أن يَذْكُر كلمة بأسرع ما يمكن، وذلك استجابة لكلمة مثيرة يذكرها المُمْتَحِن.

الزلَّة الفرويديَّة *Freudian Slip*:

زَلَّة اللسان أو القلم التى تعلن عما يعنيه القائل أو الكاتب.

(G)

الكَسْب *Gain*:

الاستزادة، كالاستزادة من التعلم.

القدرة العامَّة *General Ability*:

١. قدرة مُشْترَكة بين كل العمليات العقليَّة، وتقاس باختبارات الذكاء.

٢. الذكاء العام.

التعميم *Generalization*:

١. عمليَّة تكوين فكرة حكم ينطبق على صنف من الأمور أو الناس.

٢. عمليَّة تطبيق فكرة عامَّة على معلومات جديدة.

٣. مبدأ أو قانون عام فى العلوم.

علم دلالات الألفاظ العام *General Semantics*:

علم يدرس استجابات الإنسان للإشارات والرموز.

الإيماءة *Gesture*:

حركة يقوم بها جزء من أجزاء الجسد من أجل الاتصال.

الرطانة *Glossosynthesis*:

التلفُّظ بكلمات لا معنى لها بعد اختراعها.

الجماعة *Group*:

مجموعة من الناس أو الحيوانات أو الأشياء أو المعلومات يمكن التعامل معها بوصفها كُلًّا.

(H)

العادة *Habit*:

١. استجابة مُكْتسَبَة.

٢. فاعليَّة أصبحت آليَّة نِسْبيًّا؛ بسبب القيام بها لفترة طويلة.

٣. نمط ثابت نسبيًّا من التفكير أو اتخاذ الموقف.

٤. صيغة سلوكيَّة مُميَّزة.

٥. حافز مُكْتسَب مثل إدمان المخدرات.

مُعوَّق، مُعاق *Handicapped*:

شخص تكون قدرته دون السَّوِيِّ، أو يكون فيه عيب تشريحي أو وظيفي يجعل من الصعب عليه مُجاراة أمثاله.

السَّمْع *Hearing*:

إدراك الأصوات بواسطة الأذن ومرادفه ***Audition***.

فقدان السمع *Hearing Loss*:

خسارة أو فقدان القدرة على سماع الأنغام من التكرارات المختلفة.

المراكز العليا، مراكز الدماغ العليا

***Higher centers, Higher brain centers*:**

المراكز الدماغيَّة على قشرة الدماغ المسئولة عن العمليات المُعقَّدة؛ مثل التذكر والتخيل والذكاء والتعلم.

العمليات العقليَّة العليا *Higher Mental Processes*:

مثل التفكير والمحاكمة والتخيل والذكاء، وذلك خلافًا للعمليات البدائيَّة الحسيَّة أو الاستجابات الحركيَّة البسيطة.

الطبيعة الإنسانيَّة *Human Nature*:

صفات النوع البشرى، ويُشير المصطلح إلى الصفات الموروثة أكثر من

إشارته إلى الصفات المُكْتَسَبَة.

التنويم المغناطيسى *Hypnosis*:

حالة شبيهة بالنوم، يُسبِّبها بشكل مُصْطَنَع مُنوِّم، وتتصف بتقبُّل عظيم للإيحاء.

(I)

الفكرة *Idea*:

١. عمليَّة عقليَّة ليست ذات طبيعة حِسّيَّة مباشرة.

٢. مُحْتوًى عقلى، وليس مُجرَّد عمليَّة إدراكيَّة.

٣. صورة عقليَّة.

٤. خطة عمل، فرضيَّة.

تكوين الأفكار *Ideation*:

عمليَّة صياغة الأفكار.

التعلُّم التفكيرى *Ideational Learning*:

تعلم يحتوى على درجة عالية من الفهم، وهو عكس التعلم بالتلقين.

الإيديولوجية *Ideology*:

منظومة مُعقَّدة من المعتقدات مثل الديمقراطيَّة أو الماركسيَّة.

فعل فكرى حركى *Ideomotor Act*:

استجابة أثارتها فكرة.

الصورة Image:

١. خبرة مركزيَّة أو شعوريَّة مُشابهة لخبرة حسيَّة، ولكنها أقل حيويَّة، وواضح أن مصدرها الذاكرة.

٢. نسخة مشابهة للأصل.

٣. عند "تتشنر" واحد من عناصر ثلاثة تُكوِّن الشعور، والعنصران الآخران هما الحالات الانفعاليَّة والإحساسات.

التصوُّرات Imagery:

١. صور مأخوذة بشكلها الجماعى.

٢. التصورات المُميِّزة لفرد ما.

تخيل Imagination:

عمليَّة خلق أشياء أو حوادث دون الاستناد إلى المعطيات الحسيَّة. ويشمل التخيل خلق أشياء جديدة مثل خطَّة للمستقبل، كما أنه قد يتخذ شكلًا خياليًّا تتحكم فيه الآمال، ومثل هذا التخيل ملحوظ فى الأحلام وأحلام اليقظة.

السلوك الضمنى أو الخَفى Implicit Behaviour:

سلوك لا يمكن ملاحظته مباشرةً، ولا بد من الاستعانة فى إدراكه بأمور؛ مثل إفرازات الغُدَّة أو تحرُّك الحنجرة عند الكلام.

الاستجابة الضمنيَّة أو الخفيَّة Implicit Response:

استجابة خفيَّة لا يمكن ملاحظتها مباشرةً.

الانطباع *Impression*:

١. النتائج العصبيَّة النظريَّة للإثارة.

٢. الملاحظة الظاهراتيَّة أو الإحساس غير المُحلَّل.

٣. حُكْم غامض.

تكوين الانطباع *Impression Formation*:

جمع الإدراكات المختلفة وتكاملها فى انطباع وحيد.

اللاتناغم *Incoherence*:

حالة من عدم التنظيم أو الترابط وبخاصة فى الكلام.

الاستقراء *Induction*:

فى المنطق: هو الحُكْم من الخاص إلى العام.

مُسْتَهَل الطفولة *Infancy*:

المرحلة الباكرة التى تتلو الولادة، والتى يكون فيها الوليد عاجزًا نسبيًّا ومُعتمدًا على أبويه. ويُستعمَل هذا المصطلح للسنة الأولى من الحياة.

الاستخلاص *Inference*:

نتيجة مُسْتَخْلَصَة من نتائج سابقة بدلًا من الملاحظة المباشرة.

معلومات *Information*:

١. مجموعة من الأفكار أُكْتُسِبَت من خلال البحث أو الخبرة أو التمرين.

٢. ما يُكْتَسَب بالتعلُّم.

نظريَّة معالجة المعلومات *Information Processing Theory*:

نظريَّة تبحث فى الحصول على المعلومات ومعالجتها وخزنها وإحيائها،

وذلك عند البشر والماكينات. ولقد كان اختراع الحاسبات الإلكترونيَّة وغيرها من أدوات معاملة المعلومات سببًا فى جذب انتباه علماء النفس الذين اعتقدوا أن تحليل المشكلات بواسطة هذه الآلات يلقى ضوءًا على عمل الدماغ.

فطرى *Innate*:

موجود عند الفرد وقت الولادة. وهذا لا يعنى أنه غير قابل للتغيير؛ ذلك لأن كل سلوك هو نتاج مُشترَك لتفاعل الوراثة والبيئة.

المُدْخَل *Input*:

١. فى الدائرة الإلكترونيَّة: الإشارة التى تُدخَل فيها من دائرة أخرى.

٢. فى الإعلام ونظريَّة الاتصال: هى الإشارة التى تُعْطَى إلى مُتَلَقٍّ.

الغريزة *Instinct*:

نزعات فطريَّة وموروثة تكوِّن القوة الدافعة للأفكار والأفعال.

سلوكى غريزى *Instinctual*:

اندفاعى وغير عقلانى.

العقل *Intellect*:

١. عمليَّة التفكير والربط والحكم.

٢. القدرة العقليَّة أو الذكاء.

الفكر *Intellection*:

عمليَّة التفكير أو الحكم.

الذكاء *Intelligence*:

١. القدرة على مواجهة المواقف الجديدة والتكيُّف معها بسرعة وفاعليَّة.

٢. القدرة على استعمال المفاهيم المُجرَّدة بفاعليَّة.

٣. القدرة على تبيُّن العلاقات والتعلم بسرعة.

اختبار الذكاء *Intelligence Test*:

يتكوَّن اختبار الذكاء من مجموعة من المهمات مُتدرِّجة فى الصعوبة. واختبارات الذكاء إمّا أن تكون فرديَّة أو جماعيَّة، كما تكون لفظيَّة أو عمليَّة.

الاستبطان *Introspection*

١. فى النظريَّة البنائيَّة: هو الوصف الشخصى للمُحْتوَى الشعورى بما يشتمل عليه من عناصر وصفات.

٢. وصف الخبرة الذاتيَّة أو النماذج السلوكيَّة الذاتيَّة.

لقد أصبح لهذا المصطلح أهميَّة متزايدة انتقلت من النقد الأدبى القديم إلى الفلسفات التأمليَّة فى العصور الوسطى وعصر النهضة الأوروبى وحتى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى الغرب، وتزايدت أهميته مع نمو علم العقل ***Mindo- tology*** المرتبط بعلم المعلومات وبعلم اللغويات الحديث؛ من حيث محاولة كلٍّ من هذه العلوم فهم وتقنين العمليات الإدراكيَّة التى تتم داخل العقل الإنسانى؛ بهدف محاكاتها أساسًا فى تكنولوجيا الحاسبات الإلكترونيَّة الحديثة. والمقصود بالمصطلح ـ بشكل عام ـ هو: وعى العقل بنفسه وإدراكه لنفسه، أو بحثه الواعى عن طريقة عمله، وسعيه إلى أن يفهم ذاته، وذلك فى مقابل حالة الوعى التلقائيَّة وغير المُتعمَّدة. وقد أطلق الفيلسوف الانجليزى

"لوك" على الاستبطان اسم: "التأمُّل"، وسمّاها "كانط": "الإحساس الداخلىّ"، مؤكِّدًا بذلك التقابل بينها وبين إدراكنا لما هو خارج عقولنا.

ولكن هذه الفكرة كانت تثير مصاعب عديدة، على رأسها ضرورة استنتاج أن العقل الذى يتأمَّل ذاته لا بُدَّ أن ينقسم شيئين: ذات تُفكِّر وموضوع للتفكير فى وقت واحد. ويُبدى "كانط" الذى طرح هذه المشكلة شكوكه فى إمكانيَّة حلِّها.

وفى أوائل القرن العشرين راجت فكرة أن العقل لا يفكر فى نفسه، وإنما فى حالاته "العقليَّة"، بما يعنى أنه إذا فكر فى نفسه فإنه بالضرورة يفكر فى لحظة سابقة من لحظات عمله؛ أى يفكر فى تجربة من تجاربه الماضية، ولكن علم اللغويات الحديث بدأ يحسم هذه المشكلة بالاستفادة من نتائج مهمَّة لكل من علم وطب الجهاز العصبى وتشريح المخ، ودراسة علاقة تطور اللُّغة والوجود الاجتماعى المرتبط بها بتطور المخ والجهاز العصبى المركزى؛ وذلك عن طريق اكتشاف العلاقة بين "اللُّغة" وبين "التفكير واختزان المعلومات ودلالات التجارب فى العقل"، على أساس أن "العقل" يختزن مجموعات هائلة من الرموز الإشاريَّة التى تدل على الأشياء والمعانى.. إلخ، وأنه من ثم حين يفكر فى نفسه فإنه يسترجع معلومات (إشارات رمزيَّة) عن نفسه مُختزَنَة فى داخله.

يقول العالم الأمريكى "أرمسترونج" فى كتاب: "نظريَّة ماديَّة عن العقل" (١٩٨٦): إن هذا التصور المعلوماتىّ وضع خاتمةً عمليَّة لمناقشات مُستفيضة

كانت ممتعة للغاية، ولكنها ـ فيما يبدو ـ لم تكن ذات جدوى فى أن يعـرف العقـل نفسه!

الحَدْس *Intuition*:

١. معرفة مباشرة أو فوريَّة دون شعور بتفكير مُسْبَق.

٢. حكم دون تفكير مُسْبَق.

(J)

الحُكْم *Judgment*:

١. عمليَّة ربط أمرين أو حقيقتين أو جزأين أو أكثر.

٢. تقييم نقدى لشخص أو موقف أو أمر.

(K)

المفتاح *Key*:

١. قائمة بالإجابات الصحيحة تُستعمَل فى إعطاء علامات الإجابـة عـلى اختبارات ما.

٢. أداة لترميز المعلومات أو فكِّ رموزها.

(L)

اللُّغة *Language*:

١. كل شكل من أشـكال الاتصـال بـين الأشـخاص، سـواء أكـان هـذا الاتصال لُغويًّا أم إشاريًّا.

٢. السلوك اللفظى سواء أكان كلاميًّا أم كتابيًّا.

٣. الرموز المُسْتعمَلة فى الاتصال.

جهاز اكتساب اللُّغة *Language Acquisition Device (LAD)*:

الآليَّة الموروثة الشائعة بين جميع الأطفال التى تستخدم المعلومات اللغويَّة الصادرة عن الوالدين لإنتاج بناء لغوى معين.

السلوك اللغوى *Language Behavior*:

سلوك يشتمل على استعمال اللُّغة، سواء أكانـت كتابيَّـة أم شـفويَّة أم عـلى شكل حركات.

مراكز اللُّغة *Language Centers*:

عدد من المناطق الموجودة على القشرة الدماغيَّة تعمل فى الوجوه المختلفـة من اللُّغة المُتكلَّمَة والمكتوبة والموسيقى. ومنطقة "بروكا" هى أكثر مراكز الكـلام شهرة.

التعلُّم *Learning*:

١. اكتساب التغيُّرات الدائمة نِسْبِيًّا فى السلوك نتيجة للتدرُّب والخبرة.

٢. عمليَّة اكتساب الاستجابة نتيجة تدرُّب معين.

تعلُّم التعلُّم *Learning To Learn*:

اكتساب مهارات فى تعلُّم الأمور من خلال التدرُّب.

علم اللسانيات *Linguistics*:

علم دراسة اللغات وأصولها وأبنيتها وتطورها.

قراءة الشفتين *Lip Reading*:

طريقة يستعملها الصُّم لفهم الكلام الملفوظ بواسطة مراقبة شَفَتى المُتكلِّم.

اللثغة *Lisp*:

قلب السين ثاءً، وهو عيب من عيوب النطق.

المنطق *Logic*:

فرع من الفلسفة يعمل على وضع القواعد للتفكير الصحيح. ويشتمل المنطق على مبادئ الحكم، واستعمال القياس، واستكشاف أخطاء التفكير، كما يشمل ـ بصفة خاصة ـ التفكير الاستقرائى والاستنتاجى.

المُقارَبة المنطقيَّة *Logical Approach*:

كل محاولة لحل مشكلة وفق مبادئ المنطق.

اعتلال الكلام *Logopathy*:

اضطرابات كلاميَّة من أى نوع كانت.

مبحث علوم التكلُّم *Logopedics*:

البحث فى عيوب الكلام ومعالجتها.

الذاكرة طويلة الأمد *Long-Term Memory*:

الذاكرة الدائمة، أو ذكرى تدوم لفترة طويلة قد تستمر مدى الحياة.

(M)

تعلُّم الآلة *Machine Learning*:

قدرة جهازٍ ما على تحسين أدائه مُستفيدًا من أخطائه وتجاربه السابقة.

التفكير السحرى *Magical Thinking*:

مرحلة من مراحل تفكير الطفل يعتقد فيها أنه سبب الظواهر الطبيعيَّة، ويُقال إنها توجد عند الطفل فى سنٍّ تتراوح بين سنة وست سنوات.

الاتصال الجماعى *Mass Communication*:

النشر الواسع للمعلومات عن طريق الصحف أو المذياع أو التلفاز أو ما سواها.

المعنى *Meaning*:

١. ما يُقْصَد.

٢. الدلالة، ولاسيَّما الدلالة الانفعاليَّة أو الإثاريَّة.

٣. الرمز أو الإشارة.

الآليَّة أو الميكانيزم *Mechanism*:

١. ماكينة أو منظومة تعمل كماكينة.

٢. الوسيلة التى يتم بها تنفيذ شىء.

٣. صيغة عاديَّة أو شكل من السلوك.

نظريَّة التوسُّط *Mediation Theory*:

القول أن المثيرات لا تبدأ السلوك مباشرة، بل إن عمليات مُتدخِّلة تُستثار بالمثيرات، وهذه بدورها تكون مسئولة عن بداية السلوك.

واسطة، وَسَط، وسيط *Medium*:

مؤسسة أو فرد أو ما سواهما يَحْصُل بهما الشىء.

الذاكرة *Memory*:

١. الوظيفة التى تتدخَّل فى إحياء الخبرات الماضية.

٢. مجموع الخبرات الماضية التى يمكن تذكُّرها.

٣. خبرة ماضية معيَّنة.

وعمليات التذكر تُقاس بالاستدعاء والإعادة والتمييز وإعادة التعلم.

الصورة الذاكريَّة *Memory Image*:

أمر نعيد بناءه فى الذاكرة، مع التمييز بأن الإدراك الأصلى تم فى الماضى.

القدرة العقليَّة *Mental Ability*:

الذكاء.

العمر العقلى *Mental Age*:

مستوى النمو العقلى مُعبَّر عنه بوحدات العمر الزمنى التى يُعتبر النمو العقلى سويًّا من أجلها.

ويُقدَّر العمر العقلى بواسطة اختبارات الذكاء؛ فإذا كان العمر العقلىُّ لطفلٍ أعلى من عمره الزمنى اعتُبِر الطفل مُتفوِّقًا. وإذا كان مُساويًا له اعتُبِر سويًّا. وإذا كان أقل منه اعتُبِر متخلفًا.

النمو العقلى *Mental Development*:

التغيرات المتزايدة فى العمليات العقليَّة التى تستمر من الولادة حتى الموت. ويشمل المصطلح كلًّا من التغيرات الناتجة عن النمو وعن التعلم، وهى كثيرًا ما تشمل نمو الذكاء.

وظيفة عقليَّة *Mental Function*:

١. كل فاعليَّـة أو عمليَّـة ذات أصـل عقـلى؛ مثـل الإحسـاس والتفكـير والحكم.

٢. عمليَّة محدَّدة؛ مثل الوظيفة الإدراكيَّة.

النمو العقلى *Mental Growth*:

الزيادة الحاصلة فى العمق وفى الاتساع وفى أى وظيفة نفسيَّة، وبخاصـة فى الوظائف العقليَّة؛ وذلك بسبب التقدُّم فى العمر.

صورة عقليَّة *Mental Image*:

تمثُّل شعورى لشىء غير موجود بالنسـبة للحـواس، وهـى ـ مثلهـا مثـل الصورة العينيَّـة ***concrete image*** التـى تُعْـرَف بأنهـا صـورة مـن الـذاكرة ـ تُستدعَى بصفاتها الحسيَّة؛ مثل تذكُّر وجه شخص أو رائحة التفاح.

العمليَّة العقليَّة *Mental Process*:

١. فاعليَّـة تصـدر عـن الإنسـان، وتكـون ذات طبيعـة سـيكولوجيَّة أو يتدخل فيها العقل.

٢. ظاهرة الشعور.

التخلُّف العقلى *Mental Retardation*:

مصطلح عام يعنى أى درجة من درجات ضعف العقل.

التهيؤ العقلى *Mental Set*:

الاستعداد لنوع معين من الفاعليَّة.

اللُّغة العقليَّة *Mentalese*:

لغـة افتراضـيَّة يـتم فيهـا تمثيـل المفـاهيم والافتراضـات فى العقـل دون استخدام الكلمات.

المنهجيَّة *Methodology*:

١. صياغة الطرائق الواجب استعمالها فى البحث عن المعرفة.

٢. الطريقة المُسْتعمَلة فى بحث خاص.

النَّفْس *Mind*:

١. الكُلّيَّة المُنظَّمة للعمليات السيكولوجيَّة التى تمكِّن الفرد مـن التعامـل مع بيئته.

٢. عند البنائيين: هى مجموع الخبرات الشعوريَّة.

٣. الذات.

٤. العقل أو الذكاء.

٥. صيغة مميزة من السلوك أو طريقة التفكير.

وتُجمِع جمهرة العلماء على الربط بين الـنفس وعمليـات الإدراك والتفكـير والتذكير والسلوك الذكى.

شلل الكلام *Mogilalia*:

صعوبة الكلام مثل التأتأة والفأفأة.

الحافز *Motive*:

١. حالة من التوتُّر فى نفس الفرد تثـير سـلوكه وتدعمـه وتوجِّهـه باتجـاه

هدف ما.

٢. السبب الشعورى الذى يُقدِّمه الفرد لسلوكه.

٣. سبب لا شعورى للسلوك.

٤. دافع، علمًا بأن كلمة دافع تشير بالدرجة الأولى والأهم إلى الحوافز الأوليَّة التى يكون أساسها الجسديُّ معلومًا.

٥. تهيؤ أو اتجاه يقود السلوك ويوجهه.

الأفازيا (الحُبْسَة) الحركيَّة *Motor Aphasia*:

العجز عن الكلام المُسبَّب عن ضرر لحق بساحة الكلام على القشرة الدماغيَّة.

الساحة الحركيَّة *Motor Area*:

قسم من القشرة الدماغيَّة مسئول عن الحركات العضليَّة البسيطة.

الغمغمة *Mussitation*:

الكلام غير المفهوم.

الأبكم *Mute*:

الأخرس العاجز عن الكلام.

البكم *Mutism*:

١. الخرس، وهو العجز عن الكلام؛ بسبب عدم نمو الأعضاء الضروريَّة للكلام أو بسبب الصمم.

٢. انحباس انفعالىٌّ ينتج عنه العجز عن الكلام.

أسطورة، خرافة *Myth*:

١. معتقد تقليدى لم يثبت تاريخيًّا.

٢. معتقد خاطئ مقبول بصورة واسعة بين الناس.

الميثولوجيا *Mythology*:

مجموعة الأساطير الموجودة فى حضارة ما.

(N)

الفطريَّة *Nativism*:

وجهة نظر تتشـدد فى أهميَّـة الوراثـة، مُعاكِسَـة للبيئـة فى نمـو العمليـات العقليَّة والسلوكيَّة.

الانتخاب الطبيعى *Natural Selection*:

عمليَّـة تطوريَّـة أساسـها بقـاء الأصـلح. أو هـى عمليَّـة طبيعيَّـة تعـيش بواسطتها الأنواع التى تسـتطيع أن تتكيَّـف مـع محيطهـا، أمَّـا التـى تعجـز عـن التكيُّف فتنقرض.

الطبيعة *Nature*:

١. صفات الفرد الموروثة.

٢. الظاهرة الكونيَّة معتبرة ككل.

٣. صفات فرد تُكوِّن شخصيته وطباعه.

النفى *Negation*:

نُكران قول أو استنكار اقتراح.

التنميق *Neolalia*:

تنميق كلمات ورصفها دون اهتمام بالمعنى.

لفظة جديدة *Neologism*:

كلمة جديدة أو استعمال كلمة قديمة بمعنى جديد.

الجملة العصبيَّة، الجهاز العصبى *Nervous System*:

مجموعة الأنسجة العصبيَّة، ومن وجهة النظر التشريحيَّة تنقسم الجملة العصبيَّة قسمين:

١. الجملة العصبيَّة المركزيَّة.

٢. الجملة العصبيَّة المحيطيَّة.

أما من وجهة النظر الوظيفيَّة فيمكن تقسيم الجملة العصبيَّة قسمين:

١. القسم الجسدى، ويشمل كل الوظائف الإراديَّة الشعوريَّة.

٢. القسم المُسْتقل، ويعصب الأحشاء، فهو شعورى ولا إرادىّ.

علم الأعصاب *Neurology*:

العلم الذى يبحث فى بناء الجملة العصبيَّة ووظائفها.

غير شعورى *Non Conscious*:

١. بدون شعور، وبخاصة فى الإشارة إلى الجمادات.

٢. صفة لغير الواعى وغير العارف.

٣. غير قادر على الاستجابة للإثارة.

لا لغة مكتوبة له *Nonliterate*:

صفة لشعوب لا لغة مكتوبة لها. وقد يستعمل هذا المصطلح بمعنى: بدائى.

مَقْطَع لا معنى له *Nonsense Syllable*:

مزيج ملفوظ من الحروف لا يعطى كلمة ذات معنى مثل "زوك". وقد استعمل "إبنجهاوس" حفظ هذه المقاطع التى لا معنى لها عام ١٨٨٥ فى دراسة التذكُّر، ووضع على أساسٍ من تجاربه مُخطَّط الحفظ والنسيان.

الترميز *Notation*:

نظام من التمثيلات يستخدم الرموز.

العقل *Nous*:

مصطلح يونانى للعقل أو القدرات العقليَّة.

(O)

الشىء، الموضوع، الهدف *Object*:

١. أى جزء من المحيط يشعر به الفرد.

٢. الغاية.

٣. الإنسان أو الشىء الذى يستدعى انتباهًا غريزيًّا.

موضوعى *Objective*:

١. موجود فى الواقع.

٢. مُنْفصِل عن الملاحظ، وبخاصة عن تعصُّبه أو انحيازه.

٣. خارج الجسد.

٤. خاصٌّ بشيء ما.

التعتيم *Obscurantism*:

محاولة لمنع التنوير أو الفهم.

المُلاحَظَة *Observation*:

١. فحصٌ قاصدٌ لشيء ما، وبخاصة من أجل جمع المعلومات.

٢. قيمة أو درجة.

٣. التعبير عما يُلاحَظ.

المُلاحِظ *Observer*:

١. الفرد الذى يقوم بالملاحظة.

٢. الشخص الذى يقوم بالملاحظة الاستبطانيَّة.

افتقاد الكلمات *Oligophasia*:

العجز عن التعبير وقلة الكلام.

علم الوجود *Ontology*:

فرع من الفلسفة يهتم بطبيعة الوجود.

الرأى *Opinion*:

١. اعتقاد، وبخاصة إذا كان احتماليًّا وقابلًا للتغيير.

٢. الرأى، وهو وسط بين الإيمان ـ الذى هو راسخ وليس ضروريًّا

البرهنة عليه ـ وبين المعرفة التى بُرْهِنَ عليها وليست قابلة لتفسير فردىّ.

٣. موقف واستعداد مُسْبق للسلوك بطريقة معيَّنة إزاء الأشياء والحيوانات والناس.

القراءة الشفهيّة *Oral Reading*:

مَيْل القارئ الضعيف إلى تحريك شفتيه فى أثناء قراءته الصامتة.

استجابة مُوَجِّهَة *Orienting Response*:

استجابة تُغيِّر موضع الكائن الحى بالنسبة إلى مصدر إثارة.

ظاهر *Overt*:

مكشوف للجمهور غير خاف.

سلوك ظاهر *Overt Behavior*:

سلوك مُمْكِن الملاحظة دون حاجة إلى وسائل أو أدوات.

(P)

مثال، نموذج *Paradigm*:

قد تعنى الكلمة مُخطَّطَ بحث قائم على أساس مفهوم مُحـدَّد، كما أنها قد تعنى تصميمًا تجريبيًّا.

العبارة المُتناقِضَة أو المُوهِمَة للتناقض *Paradox*:

عبارة تُناقِض نفسها بنفسها، أو يكون التناقض فيها ظاهريًّا.

اللثغة *Paralalia*:

العجز عن لفظ بعض الأصوات أو الحروف، أو لفظها بشكل خاطئ.

التكلُّم مع الذات *Parasocial Speech*:

وبخاصة عند الأطفال الصغار.

نمط *Pattern*:

١. منظومة مُؤلفة من أجزاء تُكوِّن شكلًا تعمل أجزاؤه معًا وبصورة مُنسَّقة متكاملة.

٢. نموذج أو مثال يُحتذَى.

المُدْرَك *Percept*:

ما يُدْرَك، أو الفعل الإدراكى.

إدراك *Perception*:

١. عمليَّة معرفة الأشياء والأحداث الموضوعيَّة بواسطة الحواس.

٢. الشعور بالعمليات العضويَّة.

٣. مُتحوِّل مُتدخِّل مُشْتَق من قدرة الكائن الحى على التمييز بين المثيرات.

٤. شعور حَدْسى بالحقيقة، أو اعتقاد مباشر بخصوص أمر ما.

مُدْرِك *Perceptive*:

صفة للأشخاص الحساسين والمميزين، ولاسيما فى المواقف الاجتماعيَّة.

المُدْرِك *Percipient*:

من يُدْرِك.

الإنجاز، الأداء *Performance*:

١. فاعليَّة ما.

٢. سلوك له نتيجة، وبخاصة السلوك الذى يُغيِّر المحيط بشكل ما.

مُحيطىّ *Peripheral*:

نِسْبةً إلى كل العمليات النفسيَّة التى تحدث فى أدوات الحِسِّ، وذلك على عكس العمليات المركزيَّة التى تحدث فى الدماغ.

الجملة العصبيَّة المحيطيَّة *Peripheral Nervous System*:

تتكوَّن من كل الألياف العصبيَّة التى تَصِل بين المُتلقيّات والمُحرِّكات وربطها بالجملة العصبيَّة المركزيَّة.

النظريَّة المحيطيَّة فى التفكير *Peripheral Theory of Thinking*:

وجهة نظر تتشدد فى أهميَّة أحداث تجرى فى المستوى المحيطى، وأشهر القائلين بها هم السلوكيون.

المنظور *Perspective*:

١. تمثيل الموقع النسبى والحجم والمسافة للأشياء على السطح.

٢. وجهة نظر أو إطار مَرْجِعى تُرَى فيه الأجزاء أو العناصر لشىء ما أو مشكلة ما من تنظيم أحسن.

دَوْر، طَوْر، مرحلة، وجه *Phase*:

١. حالة مُتكرِّرة من أى أمر، تحدث بصورة دوريَّة؛ مثل الموجة الصوتيَّة أو تغيُّرات القمر.

٢. مرحلة فى حياة الفرد مؤقَّتة، وتحدث فيها أنماط سلوك معيَّنة.

التأمل الباطنى الظاهراتى، الاستبطان الظاهراتى

***Phenomenalistic Introspection; Phenomenalistic Inspection*:**

تقرير باللُّغة اليوميَّة عما يراه الإنسان أو يفكر فيه، وذلك بعكس التأمُّل

الباطنى الذى يتطلَّب تحليلا دقيقًا وموضوعيًّا لمضمون الشعور.

الظاهرة *Phenomenon*:

١. ما يَحْدُث ويمكن ملاحظته.

٢. حقيقة أو حادث ثابت.

٣. ظاهر الأحداث ومظهرها، بخلاف واقعها البعيد.

التصويت *Phonation*:

إنتاج أصوات الكلام.

الفونيم، الأصوات *Phoneme*:

مجموعة من أصوات الكلام المتصلة بعضها مع بعض، والتى تتم تهجئتها بالحروف ذاتها، والتى تُعتبَر أنها الصوت نفسه.

صوتى *Phonetic*:

مُتعلِّق بالأصوات الكلاميَّة أو باللُّغة الملفوظة.

علم الأصوات *Phonetics*:

دراسة إنتاج أصوات الكلام وعلاقاتها الجسديَّة والفسيولوجيَّة والسيكولوجيَّة.

الطبيعيَّة، الفيزيائيَّة *Physicalism*:

وجهة النظر القائلة بأن المعانى غير المُعوجَّة يمكن التعبير عنها بلغة العلوم الطبيعيَّة. والطبيعيَّة تُشجِّع استعمال التعريفات الإجرائيَّة.

طبقة الصوت *Pitch*:

الصفة الكيفيَّة للأنغام والأصوات، وتُوصَف بأنها عالية أو منخفضة.

الثرثرة *Polylogia*:

الكلام المُستمر غير المُترابِط فى المُعتاد.

قوة، سلطان *Power*:

١. قوة عضليَّة.

٢. درجة امتلاك شخص لصفة ما.

٣. قوة التحكُّم فى الآخرين.

المُمارَسَة *Practice*:

١. تكرار فعل ما أو سلوك ما من أجل تحسين الأداء.

٢. ما كان عاديًا مألوفًا أو نموذجيًّا.

التفكير الإسنادى *Predicate Thinking*:

نوع من التفكير تُعتبَر فيه الأشياء مُتماثِلَة فقط؛ لأنها تتشابه بشكل ما.

الإسناد *Predication*:

١. ربط مفهوم بآخر.

٢. نِسْبَة بعض الصفات إلى الفاعل فى الجملة.

التفكير قبل المنطقى *Prelogical Thinking*:

تفكير لا يَتْبَع قواعد المنطق، ويمكن أن يكون له منطقه الخاصُّ به، ويُلاحَظ هذا التفكير عند بعض الأطفال والمَرْضَى النفسيين.

المُقدِّمة المنطقيَّة *Premise*:

جملة تُسْتَخلَص منها نتيجة.

المرحلة قبل الإجرائيَّة *Preoperational Stage*:

عند "بياجيه": هى مرحلة فى نمو الطفل تحدث ما بين السنتين الثانية والسابعة، ويتعلم الطفل فى أثنائها أن يفكر بصورة رمزيَّة ويواجه الواقع على مستوى تمثيلى.

بناء قبل لفظىّ، بناء قبل كلامى *Preverbal Construct*:

مفهوم بدون رمز لفظى، يمكن أن ينمو قبل بزوغ القدرة على الكلام.

الدافع الأوَّلىّ *Primary Drive*:

دافع عام بين أفراد النوع، وهو غير مُتعلَّم، وله أساس عضوى، وعكسه "الدافع المُكتسَب" ***Acquired Drive***.

القدرات العقليَّة الأوليَّة *Primary Mental Abilities*:

القدرات الأساسيَّة التى يتكوَّن منها الذكاء، ومنها: القدرة اللفظيَّة والعدديَّة والحكميَّة... وغيرها.

مبدأ الاقتصاد *Principle of Economy*:

قانون علمى أو مُرشِد للتفكير يرى أن أبسط التفسيرات لظاهرة ما هو المُفَضَّل.

حل المشكلات *Problem Solving*:

عمليَّة إيجاد حل أو حلول لمشكلة ما بحيث يصل الإنسان إلى الهدف.

براعة، حذق *Proficiency*:

قدرة أو مهارة من درجة عالية جدًّا.

الدعاية *Propaganda*:

المُحاوَلة المُنظَّمة للتأثير فى مواقف الآخرين وآرائهم.

الكلام الخَبَرى *Propositional Speech*:

كلام تعطى العلاقة بين كلماته معنى جديدًا.

سيكولوجيَّة اللُّغة، علم النفس اللغوى *Psycholinguistics*:

علم يدرس اللغات فى استخداماتها اليوميَّة، ويفيد من طرق تدريسها وسيكولوجيَّة تعلُّمها، ويبحث فيما إذا كانت اللُّغة عند الإنسان وراثيَّة أم كَسْبيَّة، ويعالج عيوب النطق، ويهتم بطرق تعليم اللغات.

المُحيط السيكولوجى، البيئة النفسيَّة *Psychological Environment*:

مظاهر العالم الخارجى التى تُؤثر فى الفرد. ويرى علماء النفس الشكليون والمجاليون وجوب إضافة مظاهر العالم المُتَخَيَّلة أو المُتَذَكَّرة إلى هذه الزمرة.

الرأى العام *Public Opinion*:

الاتجاه العام للآراء أو المواقف عند معظم الناس فى مجتمع معين، وذلك بالنسبة لأمر خاص أو مجموعة من الأمور الخاصة.

(R)

العقلانيَّة *Rationalism*:

موقف فلسفى كان أول من قال به هو "أفلاطون" ***Plato*** الذى يرى أن العقل هو الواسطة الأسمى للوصول إلى الحقيقة.

حَلّ المشكلات العقلى *Rational Problem Solving*:

التوصُّل إلى حلول للمشكلات على أساس الحكم والمنطق بدلًا من المُحاولة والخطأ.

رَدّ الفِعْل *Reaction*:

استجابة لمُثير.

الاستعداد *Readiness*:

١. الاستعداد للاستجابة.

٢. التهيؤ.

٣. مستوى نضج يجعل التدرُّب مُفيدًا.

الواقعيَّة *Realism*:

١. مذهب فلسفى يرى أن العالم له وجود موضوعى حقيقى بقطع النظر عن إدراك المُلاحظ.

٢. عند "بياجيه": نوع من التفكير عند الأطفال يخلط فيه الطفل إدراك الأشياء مع الواقع المادى.

الواقع، الحقيقة *Reality*:

وجود العالم بعامَّة.

العقل، السبب *Reason*:

١. مجموع العمليات العقليَّة الموجودة فى التفكير وحل المشكلات.

٢. سبب أى حادث.

٣. حافز للسلوك.

مُحاكَمَة، تفكير *Reasoning*:

عمليَّة التفكير، وبخاصة التفكير المنطقىّ أو حل المشكلات.

استدعاء *Recall*:

١. عمليَّة إحياء شيء تعَلَّمه الإنسان سابقًا فى الذاكرة.

٢. الإعادة اللفظيَّة لشيء سَبَقَ تعلُّمه.

الصورة العقليَّة *Recept*:

صورة عقليَّة تتشكل من إعادة الإدراكات.

الأفازيا الحِسّيَّة، الحُبسة المُتلقية *Receptive Aphasia*:

عجزٌ كلاميٌّ يعجز فيه الفرد عن فهم المواد المنطوقة أو المكتوبة.

الاستحضار *Recollection*:

عمليَّة تذكُّر حادث ماضٍ.

الخَفْضِيَّة *Reductionism*:

وجهة النظر التى ترى أن الطريقة الصحيحة الواجب اتباعها فى فهم الظواهر هى تحليلها، أو خفضها إلى أجزائها المُكونة لها.

التفسير المُخفض *Reductionistic Explanation*:

تفسير بأبسط العناصر التى تُكوِّن ظاهرة ما.

المَرْجِع *Referent*:

الشيء أو الأمر الذى يرجع إليه المعنى.

التأمُّل *Reflection*:

١. تأمل الإنسان خبراته الماضية وتفكيره فيها.

٢. التأمل الباطنى (الاستبطان).

ردّ فعل، استجابة *Reflex*:

فعل بسيط آلى ليس فيه اختيار.

الصلة *Relation*:

١. كل ارتباط بين مُتحوِّلين، بحيث يستتبع التغيُّر فى واحد منهما تغـيُّرًا فى الآخر.

٢. ارتباط بين مُتحوِّلين بحيث يكون الواحد منهما سابقًا للآخر.

تذكُّر *Remembrance*:

١. إحياء خبرة سابقة.

٢. استدعاء ما سَبَقَ تعلُّمه.

التمثيل *Representation*:

أخذ مكان شىء ما أو الرمز إليه.

العوامل المُمثِّلة *Representative Factors*:

رموز وصور كلاميَّة تعمل كوسائط فى الفاعليَّة العقليَّة.

استجابة *Response*:

١. أى عمليَّة عضليَّة أو غُدَدِيَّة يَسْتَثيرَّها مثير.

٢. جواب، وبخاصة جواب عن سؤال فى اختبار أو استبيان.

التهيؤ الاستجابى *Response Set*:

تهيؤ للقيام بنوع معين من الاستجابة.

الاسترجاع *Retrieval*:

عمليَّة استرجاع المعلومات من الذاكرة أو من مخزنها.

الاستبطان الماضى *Retrospection*:

مُلاحَظة موضوعيَّة واستعراض لخبرة شعوريَّة مَضَت، وذلك بالتضاد مع كلمة ***Introspection***، أو "الاستبطان" الذى هو ملاحظة واستعراض لخبرة حاضرة.

الاستغراق فى التفكير الحالم *Reverie*:

فاعليَّة ذهنيَّة لا هدف لها، وتميل إلى التجوال فى عالم الأفكار والأحلام.

الإنسان الآلى، الروبوت *Robot*:

١. آلة تستطيع القيام ببعض الوظائف الإنسانيَّة.

٢. تُطلق مجازًا على الشخص المُتقلِّب فى سلوكه والذى يعمل كالآلة.

(S)

سلامة العقل *Sanity*:

حالة من السواء فيما يَخُصّ السلوك.

المُخطَّط *Schema*:

١. إطار عقلى مُكوَّن من عدد مُنظَّم من الأفكار.

٢. إطار مَرْجِعى من أجل تسجيل الأحداث أو المعلومات.

٣. رسم أو صيغة.

نَوْبَة مَرَضِيَّة Seizure:

نوبة تشنُّج مَرَضِى.

الشعور بالذات Self-Consciousness:

١. حساسية الإنسان بالنسبة لسلوكه.

٢. وعى الإنسان بعملياته العقليَّة.

٣. وعى الإنسان بوجوده كفرد خاص وحيد من نوعه.

التعبير عن الذات Self-Expression:

السلوك الذى يقوم به الإنسان بقصد إرضاء حاجاته وتحقيق ذاته، أو هو السلوك الذى يكشف عن ذات الإنسان.

إشراط دلالى Semantic Conditioning:

إشراط كلمة (المثير الإشراطى) بشىء تَرْمُز إليه (المثير غير الإشراطى).

علم الدلالة Semantics:

العلم الذى يهتم بمعانى الكلمات.

علم تطوُّر دلالات الألفاظ Semasiology:

علم نمو المعانى وتطورها عبر التاريخ.

علم العلامات Semiology, Semiotics:

علم اللُّغة الإشاريَّة.

الإحساس Sensation:

١. العمليَّة البدائيَّة أو الخبرة التى تَحْصُل حين يُثير مُثير مُسْتَقْبِلًا حِسّيًّا.

٢. عمليَّة الحِسّ.

٣. فى علم النفس الفيزيائى: هو الخبرة المُمْكِن تمييزها.

الحِسّ أو الإحساس *Sense*:

الخبرة الحسيَّة، ويُسْتعمَل المصطلح مجازًا للدلالة على الحكم الجيِّد.

الخبرة الحِسّيَّة *Sense Experience*:

الشعور الذى يَنْتُج عن الإثارة الحسيَّة، أو فاعليَّة المُسْتقبِلات.

الإدراك الحسى *Sense Perception*:

الحصول على معرفة عن الأشياء على أساس مُعطيات أعضاء الحس.

محسوس *Sensible*:

١. يُمْكِن إدراكه بالحواس.

٢. معقول.

الحاسَّة *Sensor*:

أداة الحِسّ.

المرحلة الحِسّيَّة الحركيَّة *Sensory-motor Stage*:

عند "بياجيه": هى المرحلة التى تبدأ بالولادة وتمتد حتى السنتين من العمر، والتى يكون فيها الطفل قد تعلَّم التعامل مع الأشياء والزمان والمكان على أساس مادى، والطفل لا يستطيع فى هذه المرحلة أن يُجرِّد.

الجهاز الحِسّى *Sensorium*:

١. مناطق الحِسّ فى الدماغ.

٢. الجهاز الحِسّى بكامله.

القشرة الدماغيَّة الحِسّيَّة، اللحاء الحِسّى *Sensory Cortex*:

الأجزاء من القشرة الدماغيَّة التى تنتهى فيها الخلايا العصبيَّة القادمة.

وَضْع، تهيُّؤ *Set*:

حالة مؤقَّتة للكائن الحى تجعله مُهيَّأ للاستجابة بطريقة معيَّنة.

الذاكرة قصيرة المدى *Short-Term Memory*:

ذاكرة مُدَّتها قصيرة (بضع ثوانٍ) وقدرتها محدَّدة: ٥-٩ مفردات.

إشارة *Sign*:

١. دلالة على العمل.

٢. علامة تقوم مقام الشىء الأصلى.

٣. حادث ذو دلالة.

لغة الإشارة *Sign Language*:

وسيلة التواصل التى يستخدمها عديد من ذوى الاحتياجات الخاصة سمعيًّا(الصم) أو صوتيًّا (البكم)، وهى تستخدم:

١. حركات اليدين.

٢. تعابير الوجه.

٣. حركات الشفاه.

٤. حركة الجسم.

وذلك بشكل عام للتعبير عن الذات، وهى تختلف من بلـد إلى آخـر، كـما توجد هيئات تقوم على وضع مقـاييس؛ لتوحيـد هـذه اللغـة فى كـل بلـد وبـين البلدان المختلفة.

إشارة *Signal*:

إشارة تنتقل من فرد إلى آخر.

المهارة *Skill*:

قدرة رفيعة تُمكِّن الإنسان من القيام بفعل حركى مُركَّـب بدقـة وحذاقـة بالغتين.

زلَّة اللسان *Slip of the Tongue*:

زلَّات اللسان تعتبرها المدرسـة التحليليَّـة ذات مغـزى ومُمثِّلـة لمـا يريـده صاحبها بصورة لاشعوريَّة.

السلوك الاجتماعى *Social Behavior*:

١. سلوك مُتأثر بوجود الآخرين.
٢. سلوك جماعى.
٣. سلوك تحت رقابة الجماعة.

العُرْف الاجتماعى *Social Code*:

منظومة قواعد اجتماعيَّة رسميَّة أو غير رسميَّة.

الحَلّ *Solution*:

حل المشكلة، اكتشاف جواب سؤال أو مُفارَقة.

الصوت *Sound*:

الصوت فيزيائيًّا هو: اضطراب فى الجو المُحيط أو غيره من الأوساط.

التفكير، التأمُّل *Speculation*:

التفكير فى غياب الدلائل المادّيَّة.

حُبْسَة الكلام *Speech Block*:

العجز المؤقَّت عن الكلام، وهى نوع من التأتأة.

مركز الكلام *Speech Center*:

هو الجزء الثالث الجبهى من تلافيف المخ أو منطقة (برودمان) التى تضبط الكلام.

اضطراب الكلام *Speech Disorder*:

كل صعوبة وظيفيَّة أو عضويَّة تكون جديَّة لدرجة تُسبِّب صعوبة فى التواصل الكلامى.

المرحلة *Stage*:

قسم طبيعى أو مُشترَك من أقسام عمليَّة النمو، يتميَّز بأنماط من السلوك أو بخصائص ومظاهر بيولوجيَّة.

المُقَوْلَب، النمطى *Stereotype*:

١. إدراك مُتحجِّر ومُتعصِّب لشىء أو حيوان أو فرد أو جماعة.

٢. نمط سلوكى ذو صيغة واحدة ثابتة.

مُثير *Stimulus*:

١. كل تغيير فى الطاقة الجسديَّة يُحرِّك مُستقبِلًا.

٢. تغيُّر فى الطاقة داخلى أو خارجى يُنبِّه الكائن الحى

٣. إشارة للعمل.

الكلمة المثيرة *Stimulus Word*:

فى ترابط الكلمات: هى كلمة تُقدَّم للمُجرَّب عليه؛ لاستثارة استجابة على شكل كلمة مترابطة.

السكتة الدماغيَّة *Stroke*:

حادث دماغى مُفاجئ مُسبَّب عن انفجار وعاء دموى فى الدماغ، وقد ينتج عنه الشلل فى الجهة المُقابلة للجهة التى حصل فيها الانفجار.

بناء، بِنْيَة *Structure*:

١. نمط مُنظَّم وعناصر مُتكامِلَة، أو أنماط من السلوك المُنظَّم.

٢. كفعل معناها: نَظَّمَ فى بناء.

التأتأة *Stuttering; Stammering*:

حالة كلام مَرَضِى يكون فيه تدفق الكلام مُقاطَعًا بالتردُّد والانحباس والتكرار والتقلُّص العضلى وصعوبة التنفُّس، وذلك بحسب الحالة ودرجة صعوبتها.

العقل الباطن، ما دون الوعى *Subconscious*:

١. عند الفرويديين هو: منطقة انتقال يجب على كل أمر مكبوت أن يَمُرَّ بها فى طريقه من اللاوعى إلى الوعى.

٢. صفة تدل على ما سبق ذكره.

٣. هامش الشعور.

حضارة فرعيَّة *Subculture*:

قسم من الحضارة العامَّة له خصائصه الذاتيَّة على الرغم من مُشاركته للحضارة العامَّة فى صفاتها الأساسيَّة.

المُجرَّب عليه، المبحوث *Subject*:

الشخص الذى تُجرَى عليه التجربة النفسيَّة.

ذاتى، شخصى *Subjective*:

١. عائد إلى شخص أو مُتوقِّف عليه.

٢. عكس الموضوعى.

كلام غير مسموع *Subvocal Speech*:

حركات خفيفة وغير مسموعة للشفتين واللسان واللهاة تُشبه ما يَحْدُث فى الكلام.

الإيحاء *Suggestion*:

عمليَّة حمل الشخص الآخر على السلوك وفق رغبات الشخص الأول دون نقد أو تمحيص.

الرمز *Symbol*:

١. شىء يُمثل شيئًا آخر.

٢. فى التحليل النفسى هو: التمثيل المَخْفِى لرغبة مكبوتة.

العمليَّة الرمزيَّة *Symbolic Process*:

السلوك المُتضمَّن فى استعمال الرموز، أو هو التفكير وحل المشكلات.

تركيب *Synthesis*:

كل مُكوَّن من عناصر مُتفرِّقة.

منظومة، نظام، جهاز *System*:

مجموعة مُنتظمة من المعلومات مُرتبط بعضها ببعض بطريقة نظاميَّة.

نظامى، مُنتظِم *Systematic*:

نسبة إلى نظام، له صفات النظام.

(T)

الموهبة *Talent*:

شكل خاص من القدرة؛ مثل القدرة الموسيقيَّة التى هى موروثة، والتى تُمكِّن الإنسان من الإفادة فى التدريب.

المُسْتقبِل عن بُعْد *Teleoreceptor*:

مثل العين والأُذُن.

التخاطر *Telepathy*:

معرفة مُرْسَلة من فرد إلى آخر بوسائط غير وسائط الحِسّ، ويُفترَض أن هذا الاتصال بين الفَرْدَيْن اتصال مُباشر من نَفْس إلى أخرى دون واسطة حِسّيَّة.

نزعة *Tendency*:

مَيْل إلى السلوك وفق طريقة مُحدَّدة.

التفكير Thinking:

١. عمليَّة رمزيَّة أو حل مشكلة فيه فعاليَّة فكريَّة.

٢. سلسلة من الأفكار المترابطة.

٣. عند "واطسون": هو كلام غير مسموع.

فِكْر، فِكْرَة Thought

١. فكرة واحدة.

٢. عمليَّة رمزيَّة.

٣. عند "واطسون": كلام مُسْتَتِر.

٤. حل مشكلة فيه فاعليَّة عقليَّة.

النَّغَم Tone:

صوت مصدره اهتزاز دورى أو مَوْجَة صوتيَّة.

الصَّمَم النَّغَمى Tone Deafness:

العجز عن التمييز بين طبقات الصوت.

الطوبوغرافيا Topography:

نظام لتحديد موقع العمليات العقليَّة بحسب المنطقة التى تُوجَد فيها.

التقليد Tradition:

مجموعة من المُمارَسات أو العادات الاجتماعيَّة انتقلت من جيل إلى جيل.

التعلُّم بالمُحاوَلة والخطأ Trial-and-Error Learning:

وتعلُّم المهمة الأولى فيه هى حصول علاقة مثير ـ استجابة جديدة، ولكن

فيه حدًّا أدنى من الفهم والعلاقة الجديدة يُحْصَل عليها بالتدرُّج، وذلك بعد حذف الاستجابات غير الصحيحة.

(U)

اللاشعور، لا شعورى *Unconscious*:

١. اللاشعور صفة لفاعليَّة لا يعرف الإنسان سببها أو الحافز إليها.

٢. ضياع الشعور.

٣. صفة لعمليات نفسيَّة لا يُمْكِن استحضارها بالوسائل العاديَّة.

٤. فى التحليل النفسى: هو منطقة من النفْس تكون موقعًا للمكبوتات.

التفكير اللاشعورى *Unconscious Cerebration*:

تفكير يجرى لا شعوريًّا.

الذاكرة اللاشعوريَّة *Unconscious Memory*:

فى التحليل النفْسى: هى ذكريات كُبِتَت وأُبْعِدَت عن الشعور ودُفِعَت إلى اللاشعور.

الفهم *Understanding*:

١. فهم المعانى.

٢. التفهُّم والتعاطف.

العُموميَّة، الشُموليَّة *Universality*:

كَوْن الأمر عامًّا وشاملًا.

سِمَة عامَّة *Universal Trait*:

سمة مُشترَكة بين جميع أفراد حضارة ما.

غير مُتعلَّم *Unlearned*:

عائد إلى السلوك الذى لا يتوقَّف على التعلُّم أو التدرُّب من أجل ظهوره.

غير معقول *Unreasonable*:

١. صفة لما كان مُنافيًا للعقل أو المنطق.

٢. صفة لشخص سلوكه غير مقبول.

٣. صفة لشخص لا يقبل ما يقبله الآخرون.

الدافع المُلِحّ *Urge*:

الدافع القوى للعمل.

النطق *Utterance*:

يستعمل هذا المصطلح ليعنى أى كلام يقال، سواء أكان جملة مفيدة أم لا.

اللهاة *Uvula*:

وهى موجودة فى الحلق.

(V)

مُتحوِّل *Variable*:

١. كميَّة قد تزيد وقد تنقص.

٢. عامل يتوقَّف عليه عوامل أخرى.

كلامى، لفظى *Verbal*:

نِسْبَة إلى الكلام بأنواعه.

صورة لفظيَّة *Verbal Image*:

تمثيل بالكلام لذكرَى أو لأمر مُتذكَّر.

الذكاء اللفظى *Verbal Intelligence*:

القدرة على التعامل الفعال مع الكلمات والرموز، القدرة على حل المشكلات باستعمال الرموز الكلاميَّة.

الصياغة اللفظيَّة، التلفظيَّة *Verbalization*:

١. تعبير بالكلام.

٢. تعبير الإنسان عن نفسه بالكلمات بدلًا من الأفعال.

٣. المهارة الكلامية.

الكلام المرئى *Visible Speech*:

تمثيل الكلام بأضواء مرئيَّة.

التصوُّر البصرى *Visualization*:

القدرة على إدراك الأشياء كصور بصريَّة.

المُفْرَدات *Vocabulary*:

١. كل قائمة بالكلمات.

٢. مجموع الكلمات المُتعلَّمة فى لغة ما.

الحبال الصوتيَّة *Vocal Cords*:

وهى موجودة فى الحلق.

التصويت *Vocalization*:

إصدار الأصوات.

الأجهزة الصوتيَّة *Vocal Organs*:

مجموع الأعضاء التى تشترك فى عمليَّة الكلام.

(W)

سلوكيَّة واطسون *Watson's Behaviorism*:

عَرَّف "واطسون" علم النفس بأنه: علم السلوك، وقال: إن هدف السلوكيَّة هو التنبؤ بالاستجابات بمعرفة المثيرات، ومن ثَمَّ معرفة الاستجابات؛ للتعرُّف على المُثيرات السابقة لها، وذلك بطرائق أربعة هى:

١. المُلاحَظة.

٢. طريقة ردود الفعل الشرطيَّة الكلاسيكية التى قال بها "بافلوف".

٣. طريقة التقرير الكلامى.

٤. طريقة الاختبار.

وطرائق "واطسون" الموضوعيَّة حتَّمت التجريب على الأطفال والحيوانات، وهما حقلان من علم النفس كانا مُهْمَلَيْن. وقد كانت أعمال "واطسون" سببًا فى نشوء علم النفس المُقارَن. ولعل أشهر نظريات "واطسون" نظريته عن التفكير، واعتباره كلامًا غير مسموع.

فرضيَّة وورف *Whorf's Hypothesis*:

افتراض أن الفروق فى العادات اللغويَّة تُسبِّب فروقًا فى السلوك غير اللغوى.

الإرادة *Will*:

الوظيفة الموجودة فى الأعمال الشعوريَّة أو مجموع الاندفاعات: شعوريَّة ولاشعوريَّة.

الولد الذئب *Wolf Child*:

طفل يُقال إنه تَربَّى فى كنف الحيوانات.

سَلَطَة الكلمات *Word Salad*:

مزيج من كلمات لا معنى لها. وهو من صفات بعض الاضطرابات الفصاميَّة.

المصادر والمراجع

(١) د. فاخر عاقل، مُعْجَم العلوم النفسيَّة، شعاع للنشر والعلوم، ط١، ٢٠٠٣.

(٢) سامى خشبة، مصطلحات فكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

(٣) الموسوعة العربية للكمبيوتر والإنترنت، *www.c4arab.com*.

❁ ❁ ❁

تراجم الأعلام

إدوارد سابير *Edward Sapir* (١٨٨٤-١٩٣٩) :

أنثروبولوجي ولُغَوى أمريكى ألمانى. وهو قطب من أقطاب اللغويات البنيوية ***structural linguistics***، وأحد واضعى نظرية من أهم النظريات اللغوية التى أثارت جدلًا وخلافًا واسعًا والتى تُعْرَف الآن بـ "فرضية سابير - وورف" ***Sapir-Whorf Hypothesis***. يُعَد "سابير" من أكثر الشخصيات تأثيرًا فى اللغويات الأمريكية حيث تأثرت به أجيال وأجيال من اللغويين عَبْرَ المدارس اللغوية المختلفة.

أرسطو *Aristotle* (٣٨٤-٣٢٢) قبل الميلاد :

فيلسوف يونانى قديم، كان أحد تلاميذ "أفلاطون" ومُعلِّم الإسكندر الأكبر. كتب فى مواضيع متعددة تشمل الفيزياء، والشعر، والمنطق، وعبادة الحيوان، والأحياء، وأشكال الحكم.

أفلاطون *Plato* (٤٢٧-٣٤٧) قبل الميلاد:

فيلسوف يونانى تتلمَذ على يد "سقراط"، وأسس أكاديميته المشهورة فى حديقة بيته بأثينا، واستخدم المنهج العقلانى، ونَسَبَ الدافعية إلى مصادر ثلاثة هى: الرغبة (الشهوة) وهى جنسية بالدرجة الأولى، ثم إلى الانفعال ومصدره حرارة القلب، والمعرفة التى تَنْبُع من الرأس، واشتهر بكتابه عن المدينة الفاضلة ***Utopia*** وحُكّامها من الفلاسفة.

ألبرت أينشتاين *Albert Einstein* (١٨٧٩-١٩٥٥):

عالم فى الفيزياء النظريـة، وُلِـدَ فى ألمانيـا لأبـوين يهـوديين، وحصـل عـلى الجنسيتين السويسرية والأمريكية. يشتهر "أينشتاين" بأنه واضع النظرية النسـبية الخاصة والنظرية النسـبية العامـة الشـهيرتين اللتـين حققتـا لـه شـهرة إعلاميـة منقطعة النظير بين جميع الفيزيائيين، حاز فى العـام ١٩٢١ عـلى جـائزة نوبـل فى الفيزياء. عُرِضَ على "أينشتاين" تولى منصب رئـيس الدولـة فى إسرائيـل، لكنـه رفض مُفضِّلا عدم الانخراط فى السياسة، وقدَّم عرضًا من عدة نقـاط للتعـايش بين العرب واليهود فى فلسطين، والوثيقة التى أرسلها "أينشتاين" تـدل أنـه كـان بعيدًا تمامًا عـن معرفـة الأمـور السياسـية وتعقيـداتها، وبعيـدًا عـن أى معرفـة بالأفكار الصهيونية التى تقوم عليها إسرائيل.

إليزابيث سبيلك *Elizabeth Spelke*:

عالمة نفس أمريكية وُلِـدَت عـام ١٩٤٩ ومـا زالـت حيَّـة، نالـت درجـة الدكتوراه فى علم النفس التطورى من جامعة كورنيـل، وعملـت أسـتاذًا لعلـم النفس بجامعات عدة، كان آخرها جامعة هارفارد منذ عام ٢٠٠١، كـما تشـغل منصب مدير مُختـبَر الدراسـات التطوريـة. انطلقـت "سـبيلك" فى تجاربهـا عـلى الرُّضَّع والأطفال الصغار؛ لاختبار قدراتهم المعرفيـة فى الثمانينـات، واكتشـفت أن الجنس البشرـى يتمتـع بنظـام واسـع مـن القـدرات العقليـة الفطريـة. وفى الأعوام الأخيرة كان لـ "سـبيلك" دور عظـيم فى الجـدل القـائم حـول وجـود

اختلافات معرفية بين الذكور والإناث، ودافعت بشدة عن الرأى القائل بعدم وجود دليل علمى واحد يَدْعَم وجود أى فروق تُذْكَر بين القدرات العقلية للذكور والإناث.

إمانويل كانط *Immanuel Kant* (١٧٢٤ـ١٨٠٤):

فيلسوف وعالم ألماني برز فى كل من المجالات التالية: الفيزياء الفلكية، والرياضيات، والجغرافية، وعلم الإنسان. يُعْتبَر أحد أكثر المفكرين المؤثرين فى المجتمع الغربي والأوروبي الحديث، والفيلسوف الرئيسى الأخير فى عصر التنوير. عرَّف "كانط" ***Kant*** التنوير فى مقالته الشهيرة "ما هو التنوير؟" على أنه عصر تشكَّل تحت شعار: الجرأة من أجل المعرفة؛ مما نمَّى نمطًا من التفكير الداخلى خال من قواعد السلطة الخارجية. ألف كتاب "نقد العقل المحض"، وهو كتاب شهير تناول عديدًا من المواضيع التى تُبْرِز أفكار "كانط" بطريقة واضحة.

كان لـ "كانط" تأثير حاسم على الرومانسية والمثالية، كما شكَّل عمله نقطة بداية لفلاسفة القرن العشرين.

إيريك هاينز لينيبيرج Eric Heinz Lenneberg (١٩٢١ـ١٩٧٥):

لغوى وطبيب أمراض عصبية ألمانى. له أفكار رائدة فى اكتساب اللغة وعلم النفس المعرفى، بخاصَّة فيما يتعلق بالمذهب الفطرى. عمل أستاذًا لعلم النفس والأعصاب بجامعات عِدَّة، كان آخرها جامعة كورنيل.

إيفان بافلوف *Ivan Pavlov* (١٨٤٩ـ ١٩٣٦):

عالم فسيولوجى روسى درس العلوم وتخرَّج طبيبًا، وفى عام ١٨٨٤ تـرك عمله كأستاذ للفسيولوجيا فى جامعة بطرسبورج (لينينجراد)؛ ليعمـل فى ألمانيـا، ثم عاد إلى بطرسبورج عام ١٨٩٠ مُديرًا لقسـم الفسـيولوجيا فى معهـد الطـب التجريبى، وهناك بدأ عمله الشهير عن فسيولوجيا الهضم مما أكسبه جائزة نوبل عام ١٩٠٤. وفى أثناء بحثه لاحظ أن الكلاب التى يُجـرِّب عليهـا تُفـرِز لُعابهـا لُمجرَّد رؤية الُمجرِّب أو مُساعده، وحينئذ بدأ بحوثًا عن الانعكـاس الإشراطـى؛ مما قاده إلى بحوثه عن الصراع والنوم وإفراز العُصارات الهضمية والحالات غير السوية. ولقد أثرت أعماله تأثيرًا عميقًا فى أعمال السلوكيين الأمـريكيين، وعـلى رأسهم زعيمهم "واطسون" ***Watson***. ولـ "بافلوف" مؤلفات وبحوث عديـدة مشهورة أشهرها "الأفعال الُمنعكِسَة الإشراطية" الذى نشره عام ١٩٢٧.

بَرْهَس سكينر *Burrhus F. Skinner*:

عالم نفسى أمريكى وُلِـدَ عـام ١٩٠٤ ومـا زال حيًّـا. كـان أسـتاذًا لعلـم النفس فى جامعات عديدة آخرها هارفارد، ولـه كتـب عديـدة مشـهورة، وهـو صاحب نظرية الإشراط الإجرائى.

بنيامين لى وورف *Benjamin Lee Whorf* (١٨٩٧ – ١٩٤١):

لغوى أمريكى كان له عظيم الأثر فى أحد ميـادين علـم اللغـة، ألا وهـو علم اللغة الاجتماعى. اشتهر بنظريته عن النسبية اللغوية التى طوَّرها مع أستاذه

اللغوى الأمريكى "إدوارد سابير" ***Edward Sapir***، والتى تُعرف الآن بـ "فرضية سابير – وورف" ***Sapir – Whorf Hypothesis***.

بيتر كاروثرز *Peter Carruthers*:

وُلِدَ "كاروثرز" فى السادس عشر من يونيو من عام ١٩٥٢. تلقّى تعليمه بجامعة ليدز، ثم نال درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة أكسفورد. عمل أستاذًا ومُحاضِرًا للفلسفة فى جامعات عدة، كان آخرها جامعة ميرلاند منذ عام ٢٠٠١ وحتى الآن. انصبَّت اهتماماته البحثية على عدة مجالات، منها: فلسفة العقل، وفلسفة علم النفس، والعلم المعرفى، وكان تركيزه على نظريات الوعى، ودور اللغة الطبيعية فى المعرفة الانسانية. له العديد من المؤلفات الجادة القيّمَة التى تناولت مثل هذه الموضوعات منها على سبيل المثال لا الحصر:

- ***"The Nature of Mind: an introduction"*** عام ٢٠٠٤
- ***"The Philosophy of Psychology"*** عام ١٩٩٩
- ***"Language, Thought and Consciousness: An Essay in Philosophical Psychology"*** عام ١٩٩٦

جان بياجيه *Jean Piaget* (١٨٩٦-١٩٨٠):

عالم نفس سويسرى وُلِدَ فى نيوشاتل فى سويسرا وتعلَّم فى زيوريخ وباريس، وكان آخر منصب شغله هو أستاذية علم نفس الطفل فى جامعة جنيف، ولقد بدأت دراسات "بياجيه" الشهيرة عن الأطفال منذ حداثته، ونشر

عشرات من الكتب ومئات من البحوث. ويشتهر "بياجيه" بطرائقه المُبتكَرَة فى دراسة طرائق تفكير الأطفال ومراحل نموهم العقلى، وبعدد بحوثه التى لا تُحْصَى، والتى عاون فيها أشخاصًا اشتهروا معه وبه. هذا وقد بدأ "بياجيه" حياته العلمية عالِمًا للبيولوجيا، ثم انتقل إلى العمل فى علم النفس.

جوليا كريستيفا *Julia Kristeva*:

فيلسوفة وناقدة أدبية ومُحلِّلة نفسية وروائية بلغارية فرنسية وُلِدت عام ١٩٤١ وما زالت حيَّة. أصبحت "كريستيفا" من الشخصيات المؤثِّرة فى التحليل النقدى العالمى، والنظرية الثقافية، ونظرية المساواة بين الجنسين بعد أن نشرت كتابها الأول المُعَنْوَن بـ "***Semeiotikè***" عام ١٩٦٩. لـ "كريستيفا" عديدًا من المؤلفات والروايات المشهورة، كما عُرِفَت بإسهاماتها فى علم اللغة والتحليل النفسى.

جون كارول *John B. Carroll* (١٩١٦–٢٠٠٣):

عالم نفس أمريكى له إسهامات كبيرة فى علم النفس وعلم اللغة التربوى والقياس النفسى ***Psychometrics***. اهتم منذ صغره باللغة، وزاد اهتمامه باللغة أكثر بعد أن أصبح صديقًا لـ "وورف" وهو فى الثالثة عشرة من العمر؛ حيث كان يناقشه فى أفكاره حول العلاقة الوثيقة بين اللغة والثقافة. وفى عام ١٩٥٦ نجح "كارول" فى نشر كتاب لغوى هام، هو "اللغة والفكر والواقع"، جَمَع فيه جملة من كتابات "وورف" عن العلاقة بين اللغة والفكر والثقافة.

جون ليونز ***John Lyons*****:**

لُغَوى إنجليزى شهير وُلِدَ عام ١٩٣٢ وما زال حيًّا. يُعْرَف "ليونز" بإسهاماته وأعماله القَيِّمَة فى علم المعانى ***Semantics***، ومن أشهرها:

- ***"Introduction to Theoretical Linguistics"*** عام ١٩٦٨.
- ***"Chomsky"*** عام ١٩٧٠.
- ***"Semantics"*** عام ١٩٧٧.
- ***"Language and Linguistics"*** عام ١٩٨١.
- ***"Linguistic Semantics: An Introduction"*** عام ١٩٩٥.

جون واطسون ***John Watson*** **(١٨٧٨-١٩٥٨):**

عالم نفسى أمريكى نال درجة الدكتوراه من جامعة شيكاغو وعلم فيها. وقد تنكر "واطسون" للمدرسة الوظيفية ولما انتقل إلى جامعة "جون هوبنكس" قال بالسلوكية وتزعَّم مدرستها.

جيروم برونر ***Jerome S. Bruner*****:**

عالم نفسى أمريكى وُلِدَ عام ١٩١٥ وما زال حيًّا. نال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد، وعلَّم فيها حتى عام ١٩٧٢، ثم انتقل إلى جامعة أكسفورد فى إنجلترا. وقد عُرِفَ ببحوثه عن العمليات الإدراكية التى أثرت فى علم النفس والتربية. وقد أجرى دراسات، ونشر كتبًا عن التعلُّم اللفظى وتكوين المفاهيم والتفكير.

جيرى ألان فودور *Jerry Alan Fodor*:

فيلسوف وعالم معرفى أمريكى. وُلِدَ بمدينة نيويورك عام ١٩٣٥ وما زال حيًّا. نال درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة برنستون عام ١٩٦٠. عمل أستاذًا للفلسفة والعلم المعرفى بجامعات عدة، آخرها جامعة روتجيرز بنيوجيرسى. له مؤلفات عدة فى ميدانى فلسفة العقل والعلم المعرفى، وضع فيها حجر الأساس لعديد من الأفكار، كان من بينها فرضيته الشهيرة عن وجود لغة فطرية عقلية للفكر.

رونالد لانجاكر *Roland Langacker*:

لغوى أمريكى وأستاذ علم لغة متقاعد بجامعة كاليفورنيا سان دييجو. وُلِدَ "لانجاكر" عام ١٩٤٢ وما زال حيًّا. اشتهر كأحد مؤسِّسى حركة علم اللغة المعرفى ***cognitive linguistics***، وكمؤسِّس لعلم النحو المعرفى ***cognitive grammar***. نال درجة الدكتوراه من جامعة إلينوى عام ١٩٦٦، وله عديد من المؤلفات الجادَّة القَيِّمة فى هذا المجال.

رينيه ديكارت *René Descartes* (١٥٩٦-١٦٥٠):

يُعْـرَف أيضًا بـ "كارتيسيوس" ***Cartesius***، وهو فيلسوف فرنسي-ورياضي وعالم، يُعتبَر من مؤسِّسى الفلسفة الحديثة، ومؤسِّس الرياضيات الحديثة. يُعتبَر أهم وأغزر العلماء نتاجًا فى العصور الحديثة. فكثير من الأفكار والفلسفات الغربية اللاحقة نتاجٌ وتفاعل مع كتاباته التى درّست و تُدرّس من

أيامه إلى أيامنا. لذلك يعتبر "ديكارت" أحد المفكرين الأساسيين، وأحد مفاتيح فهمنا للثورة العلمية والحضارية. أشهر أقواله الخالدة (بالفرنسية: ***Je pense, donc je suis***) وبالعربية: "أنا أفكر إذا أنا موجود" والتى ذكرت فى كتاب "مبادئ الفلسفة" ***"Les Principles de la Philosophie"*** الذى صدر عام ١٦٤٤ باللغة اللاتينية.

ستيفن بينكر *Steven Pinker*:

عالم معرفى وعالم نفس تجريبى أمريكى كندى. وُلِد عام ١٩٥٤ وما زال حيًّا. نال درجة الدكتوراه فى علم النفس التجريبى من جامعة هارفارد عام ١٩٧٩. عمل أستاذاً لعلم النفس بجامعات عدة، آخرها هارفارد. اشتهر "بينكر" بتأييده الكبير لعلم النفس التطورى وللنظرية الحاسوبية للعقل. له مؤلفات عدة فى هذا المجال، أشهرها "غريزة اللغة" أو ***"The Language Instict"*** الذى نُشِرَ عام ١٩٩٤.

سيجموند فرويد *Sigmund Freud* (١٨٥٦-١٩٣٩):

عالِم عصبى من فيينا. وهو مؤسِّس التحليل النفسى. حصل على الدكتوراه فى الطب من جامعة فيينا عام ١٨٨١. ولقد نشأ اهتمامه بما سُمِى فيما بعد بالتحليل النفسى فى أثناء تعاونه مع "بروير" ***Breuer*** عام ١٨٨٤. وكان يستعمل فى التعرُّف على مَرْضَاه طريقة "التنويم"، ولكن التنويم لم يكن ينجح مع كل المَرْضَى، فتركه إلى "التداعى الحُرّ" الذى نبَّهه إليه شريكه "بروير". تُوفِى

"فرويد" عام ١٩٣٩، وخلَّف وراءه عددًا من الكتب الشهيرة منها: "تحليل الأحلام"، و"مدخل إلى التحليل النفسى"، كما ترك بصماته على كل مناحى الفكر والأدب والفلسفة.

فرانز بواس *Franz Boas* (١٨٥٨-١٩٤٢):

أنثروبولوجى أمريكى وأحد روّاد الأنثروبولوجيا الحديثة حتى إنه استحق أن يُطلَق عليه لقب "أبو الأنثروبولوجيا الأمريكية". نال درجة الدكتوراه فى علم الفيزياء. اشتهر "بواس" بتطبيقه للمنهج العلمى ***scientific method*** فى دراسة الثقافات والمجتمعات الإنسانية بعد أن كان الاعتماد الرئيسى فى صوغ النظريات على المعرفة القصصية.

فرديناند دى سوسير *Ferdinand de Saussure* (١٨٥٧-١٩١٣):

لُغويّ سويسريّ، يُعتبَر الأب والمؤسِّس للمدرسة البنيوية فى اللسانيات. يُعَد "دى سوسير" من أشهر علماء اللغة فى العصر الحديث؛ حيث اتجه بتفكيره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، وكانت اللغات تُدْرَس دراسة تاريخية، وكان السبب فى هذا التحوُّل الخطير فى دراسة اللغة هو اكتشاف اللغة السنسكريتية. ويُعْرَف "دى سوسير" بإسهاماته العظيمة فى تطوير عديد من نواحى اللسانيات فى القرن العشرين. وكان أول من اعتبر اللسانيات كفرع من علم أشمل يدرس الإشارات الصوتية، واقترح تسميته باسم ***semiology***، ويُعْرَف حاليًا بالسيميوتيك أو علم العلامات.

فلهلم فون همبولت ***Wilhelm Von Humboldt*** (١٧٦٧-١٨٣٥):

دبلوماسى وفيلسوف ولغوى ألمانى. أسَّس جامعة ***Humboldt*** ببرلين، وله إسهامات مهمَّة فى فلسفة اللغة ونظرية التعليم.

كارل يونج ***Carl Jung*** (١٨٧٥-١٩٦٢):

مُحلِّل نفسى سويسرى، ومُؤسِّس علم النَّفْس التحليلى. درس فى جامعة "بازل"، وحصل على درجة الدكتوراة فى الطب عام ١٩٠٠، وقد درس بعد ذلك على يد "جانه" فى باريس. وفى عام ١٩٠٦ انضم إلى حلقة "فرويد ***Freud***"، ولكنه خالفه فيما يَخُصّ طبيعة اللاشعور، وفى عام ١٩١٣ انفصل عنه، وكوَّن مدرسته الخاصة به فى علم النفس التحليلى. وبما أن "يونج" كان يعتقد بأن دراسته اللاشعور العرقى يمكن أن تزيد فى فهم اللاشعور الفردى، فقد اهتم بدراسة الشعوب البدائية فى العالم، بما فى ذلك أساطيرها ودياناتها وعاداتها وتقاليدها.

لودفيج فان بيتهوفن ***Ludwig Van Beethoven*** (١٧٧٠-١٨٢٧):

مؤلِّف موسيقى ألماني، وُلِدَ عام ١٧٧٠ فى مدينة بون. يُعتبَر من أبرز عباقرة الموسيقى فى جميع العصور، وأبدع أعمالاً موسيقية خالدة. له الفضل الأعظم فى تطوير الموسيقى الكلاسيكية. قدَّم أول عمل موسيقى وعمره ٨ سنوات. تشمل مؤلفاته للأوركسترا تسع سيمفونيات، وخمس مقطوعات موسيقية على البيانو، ومقطوعة على الكمان، كما ألّف العديد من المقطوعات

الموسيقية كمُقدِّمات للأوبرا. بدأ "بيتهوفن" يفقد سمعه فى الثلاثينيات من عمره، إلا أن ذلك لم يؤثر على إنتاجه الذى ازداد فى تلك الفترة وتميَّز بالإبداع. من أجمل أعماله السيمفونية الخامسة والسادسة والتاسعة. وقد تُوفِى فى فيينا عام ١٨٢٧.

لودفيج فيتجنشتاين *Ludwig Wittgenstein* (١٨٨٩-١٩٥١) :

فيلسوف نمساوي، عمل فى المقام الأول فى أسس المنطق، والفلسفة والرياضيات، وفلسفة العقل، وفلسفة اللغة. له أعمال بارزة فى الفلسفة التحليلية. ويُنْظَر إليه عادةً باعتباره من أهم الفلاسفة فى القرن العشرين.

لويس صامويل فيوير *Lewis Samuel Feuer* (١٩١٢-٢٠٠٢):

عالم اجتماع أمريكى، وُلِدَ بمنهاتن عام ١٩١٢. نال درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة هارفارد عام ١٩٣٥. بعد الحرب العالمية الثانية درَّس بجامعتى تورونتو وبيركلى. بدأ حياته ماركسيًّا وانتهى مُحافظًا مُحدَثًا.

ليف فيجوتسكى *Lev Vygotsky* (١٨٩٦-١٩٣٤):

عالم نفس روسى ومؤسِّس علم النفس التاريخى الثقافى. تخرَّج فى جامعة موسكو عام ١٩١٧. وقد انصبت اهتماماته البحثية فى علم النفس التطورى ونمو الطفل والتربية. تُوفى "فيجوتسكى" عن عمر يناهز السابعة والثلاثين مُخلِّفًا ورائه ستة مؤلفات كتبها فى عشر سنوات تقريبًا بدءًا من ***"Psychology of Art"*** فى عام ١٩٢٥ وحتى ***"Thought and Language"*** فى عام

١٩٣٤. وقد غطَّت هذه المؤلفات عديدًا من الموضوعات الهامَّة، منها على سبيل المثـال: تطـوُّر الوظـائف العقليـة العُلْيـا، فلسـفة العلـم، منهجيـة البحـث السيكولوجى، العلاقة بين التعلُّم والتطور الانسانى، تكوين المفـاهيم، العلاقـة المُتبادَلة بين اللغة وتطور الفكر...إلخ.

ليون فستنجر *Leon Festinger* (١٩١٩-١٩٨٩):

عالم نفس اجتماعى أمريكى بارز. اشتهر بتطويره لنظريتى التنـافر المعـرفى ***cognitive dissonance*** والمقارنة الاجتماعية، فضلًا عن اكتشافه للدور الذى يلعبه النَّسَب والقرابة فى تكوين الـروابط الاجتماعيـة. ولـه إسـهامات عـدة فى دراسة الشبكات الاجتماعية ***social networks***.

موريس ميرلوبونتى *Maurice Mearleau-Ponty* (١٩٠٨-١٩٦١):

فيلسوف فرنسي تأثر بفينومينولوجيا "هوسرل" وبالنظرية القشتالتية التـى وجَّهت اهتمامه نحو البحث فى دور المحسـوس والجسـد فى التجربـة الإنسـانية بوجه عام، وفى المعرفة بوجه خاص. من أهـم كتبـه "بنيـة السـلوك" (١٩٤٢) و "فينومينولوجيا الإدراك" (١٩٤٥). و قد بـيَّن فى هـذه الأعـمال بُطـلان مطـامح علم النفس فى تأسيس ذاته كعلم. والنقد هنا ليس مُوجَّهًا فقط إلى علم الـنّفس، بل إلى العلم بشكل عام، بسبب نـزوع هـذا الأخـير نحـو تقـديم فهـم اختـزالى وجـاف للظـواهر. ومهمـة الفلسـفة الفينومينولوجيـة ـ مـن وجهـة نظـر "ميرلوبونتى" ـ تتمثل فى تحقيق الرجـوع إلى عـالم الحيـاة الأصـلى والبـدئى، وفى

"العودة إلى الأشياء ذاتها".

نعوم تشومسكى *Noam Chomsky*:

عالمٍ أمريكى مُتخصِّص بسيكولوجية اللغة. وُلِدَ عام ١٩٢٨ وما زال حيًّا. درس فى جامعة بنسلفانيا، وحصل منها على الدكتوراه، وله نظرياته الخاصة فى نشوء اللغة عند الطفل وتطورها، وله مؤلفات عديدة.

وهو الآن أستاذ جامعيّ مدى الحياة فى اللغويات فى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. هو صاحب نظرية النحو التوليدي، والتى كثيرًا ما تُعتبَر أهم إسهام فى مجال اللغويات النظرية فى القرن العشرين.

وقد أسهم كذلك فى إشعال شرارة الثورة الإدراكية فى علم النفس من خلال مراجعته للسلوك الفعلى لـ "ب.ف. سكينر" ***Skinner***، والذى تحدَّى المُقارَبة السلوكية لدراسة العقل واللغة، والتى كانت سائدة فى الخمسينات. ولقد أثّرت مقاربته الطبيعية لدراسة اللغة كذلك على فلسفة اللغة والعقل.

ويعود إليه كذلك فضل تأسيس ما أصبح يُعرف بـ "تراتب تشومسكي"، وهو تصنيف للغات الرسمية حسب قدرتها التوليدية.

بالإضافة إلى عمله فى اللغويات، فتشومسكى معروف على نطاق واسع كناشط سياسى، وبانتقاده للسياسة الخارجية للولايات المتحدة والحكومات الأخرى. ويصف "تشومسكى" نفسه بأنه اشتراكى تحرريّ، وكمتعاطف مع التضامنية اللاسلطوية (وهو عضو فى نقابة عمال العالم الصناعيين)، وكثيرًا ما

يُعتبَر مُنظِّرًا رئيسيًّا للجناح اليساري فى السياسة الأمريكية. وحسب فهرس مراجع الفنون والإنسانيات، بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٩٢ ذُكِرَ اسم "تشومسكى" كمرجع أكثر من أى شخص آخر حى، وكثامن شخص على الإطلاق.

هنرى برجسون *Henri Bergson* (١٨٥٩-١٩٤١):

فيلسوف فرنسي. حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٧. قسَّم "برجسون" الوقت إلى نوعين: الوقت العلمى الذى يقسم الساعة إلى ستين دقيقة، والدقيقة إلى ستين ثانية، وهو وقت ثابت لا يتغير، والوقت النفسى وهو الوقت الذى يعيشه الإنسان ويستمتع به، وهو بالنسبة لـ "برجسون" الوقت الحقيقى.

هيلين كيلر *Helen Keller* (١٨٨٠-١٩٦٨):

أديبة ومُحاضِرَة وناشطة أمريكية، وهى تُعْتَبَر إحدى رموز الإرادة الإنسانية؛ حيث إنها كانت فاقدة السمع والبصر، واستطاعت أن تتغلب على إعاقتها، وتم تلقيبها بمعجزة الإنسانية.

❁ ❁ ❁

المصادر والمراجع

أولا : باللغة العربية.

١. الكتب:

- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ابن جنى، الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، سلسلة الذخائر، عدد: ١٤٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير، محمد حسب الله، هشام محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- أبو القاسم الأنبارى، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق وتعليق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.
- أحمد شوقى رضوان، عثمان بن صالح الفريح، التحرير العربى، جامعة الملك سعود، الرياض، ط٣، ١٤١١هـ / ١٩٩١م،
- أحمد مختار عمر، اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
- تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٥م.
- جمعة سيد يوسف، سيكولوجيَّة اللُّغة والمرض العقلى، سلسلة عالَم المعرفة، الكويت، عدد: ١٤٥، ١٩٩٠م.
- حلمى المليجى، علم النفس المعاصر، دار النهضة العربية، لبنان، ١٩٧٤م.
- داود عبده، دراسات فى علم اللغة النفسى، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٤م.

- سامى خشبة، مصطلحات فكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- السيوطى، المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى ، وعلى البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية، ١٩٨٥م.
- عيسى الملا، الإنسان والتفكير الإيجابى، مكتبة الملك فهد، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
- فاخر عاقل، الإبداع وتربيته، دار العلم للملايين، لبنان، ١٩٧٩م.
- كريم حسام الدين:
  - المحظورات اللغوية: دراسة دلالية للمستهجن والمحسن من الألفاظ، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.
  - القرابة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠م.
- كمال بشر:
  - دراسات فى علم المعنى: السيمانتيك، طبعة خاصة، القاهرة، ١٩٨٥م.
  - علم اللغة الاجتماعى، دار غريب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
- مالك بدرى، التفكير من المشاهدة إلى الشهود، المعهد العالمى للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط٣.
- محمد سبيلا، الإيديولوجيا: نحو نظرة تكاملية، المركز الثقافى العربى، بيروت، ١٩٩٢م.
- محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع: النمو النفسى الاجتماعى للطفل فى سنوات تكوينه الأولى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد: ٩٩، ١٩٨٦م.

- محمود السعران، علم اللغة: مقدمة إلى القارئ العربى، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٢م.
- نورى جعفر، اللُّغة والفكر، مكتبة التوفى، تونس، ١٩٧١م.
- وفاء البيه، علم النفس اللغوى، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة.

٢. **كتب مترجمة:**

- جوديث جرين، التفكير واللُّغة، ترجمة: عبد الرحمن عبد العزيز العبدان، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م.
- جورج كلاوس، لغة السياسة، ترجمة: ميشيل كيلو، دار الحقيقة، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
- جون ماكفى، الدلالات التشخيصيَّة لاضطرابات الوظائف العصبيَّة العُليا، ترجمة: صفيَّة مجدى وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
- دنيس تشايلد، علم النفس والمعلم، ترجمة: عبد الحليم محمود السيد، وزين العابدين درويش، وحسين الدرينى، مراجعة: عبد العزيز القوصى، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٨٣م.
- روى. سى. هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة: د. داود حلمى أحمد السيد.
- فيجوتسكى (ل. ف.)، التفكير واللُّغة، ترجمة: طلعت منصور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

٣. **مقالات في الصحف والمجلات:**

- أمل عوض الله، لماذا يختلف تفكير الرجل عن المرأة؟ الأهرام، ١٩٩٥/٦/٢م، ملحق الجمعة.
- أنيس منصور، مواقف، الأهرام، ١٩٩٤/١/٢٩م.

- باريس: مَرَض غريب يُصيب سُيّاح اليابان، الأهرام، ١٩٩٢/١٢/٢٤م.
- باقر جاسم محمد، حول اللُّغة وسوء التفاهم، الحوار المُتمدِّن، العدد: ١٥٦٥، /٢٠٠٦/٥م.
- جريدة الرياض، ملحق ثقافة اليوم، ٤ رمضان ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣/٢/٢٥م.
- الجنين يبدأ التعلُّم فى رحم أمه، جريدة الرياض، ١٤١٥/١١/٦هـ/ ١٩٩٥/٤/٦م.
- حسن ظاظا، الكشكول، اللسان والأدب واللهب، جريدة الرياض، مايو.
- حسن ظاظا، الكشكول، سلامًا أيها القطط، جريدة الرياض، ١٩٩٥/٦/١م.
- حمزة بن قبلان المزينى، التحيُّز اللغوى: مظاهره وأسبابه، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، السنة ٤٣، ١٩٩٥م.
- رضا الموسوى، المدخلات الحسيَّة وآثار غياب الإثارة فى التفكير، جريدة الزمان، العدد: ٢٣٨٠، ٢٠٠٦/٤/٢٢م.
- الطيب بو عزة، هل يمكن أن نفكر بدون لغة؟ مجلة العربى، القاهرة، العدد: ٤٢٦، ذو القعدة ١٤١٤ هـ.
- عبد الحكيم السلوم، التفكير وحَلّ المشكلات، النبأ، العدد: ٥٣، شوال ١٤٢١ هـ/ كانون الثانى ٢٠٠١م.
- عبد العزيز محمد الذكير، التفكير بصوت مسموع، جريدة الرياض، ١٤١٦/١/٣ هـ (١٩٩٥/٦/١م).
- عزت السعدنى، وجعل بينكم مودَّة ورحمة، الأهرام، ١٩٩٥/٤/١م.

- لبنى الجادرى، لغتنا قارئة فنجان لأفكارنا، الحوار المتمدن، العدد: ١٨٦٧.
- ما علاقة اللُّغة بالتفكير؟ صحيفة الجزيرة اليومية، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الخميس ٢٢ رجب ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- مبارك محمد بربر، اللُّغة والفكر، صحيفة الرأى العام السودانية، جامعة أم درمان الإسلامية.
- محمد ربيع الغامدى، اللُّغة ومشكلة المعنى، جريدة الرياض، العدد: ١٢٩١٤، ٤ رمضان ١٤٢٤هـ/ ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣م.
- محمد نبهان سويلم، هل تفكر الحيوانات؟ الفيصل، العدد ٢٠٥، رجب ١٤١٤هـ/ ديسمبر، يناير ١٩٩٣/ ١٩٩٤م.
- هبة لوزة، الطفل حديث الولادة يُفكِّر ويحلم ويتفاعل، جريدة الأهرام، ١٩٩٤/١١/١١م.

٤. **مقالات على شبكة الإنترنت:**

- أحمد شفيق الخطيب، اللُّغة والفكر، ٢٠٠٦، **www.arabswatan.org**
- باقر جاسم محمد، حول اللُّغة وسوء التفاهم، الحوار المُتمدِّن، العدد: ١٥٦٥، ٢٠٠٦/٥/، **www.ahewar.org**
- خالد عبيدات، الفكر العربى، **www.achrs.org**
- زهير الخويلدي، الضاد من لغة الهويَّة إلى لغة الفكر، جريدة إيلاف الإلكترونية، **www.elaph.com**
- سامر سقا أميني، صُم عظماء، ***scs-net.org***.
- سعيد عبد الكريم الخباز، اللُّغة والفكر والمجتمع، شبكة راصد الإخبارية، ٢٠٠٧/٣/٢٤ م، **www.rasid.com**

- عبد الله بن تركى البكر، اللُّغة وعلاقتها بالفكر والوجدان: دراسة تحليلية، النادى الأدبى بحائل، www.mnaabr.com
- عبد الله بن عبد الرحمن البريدى، التفكير العلمى والإبداعى... حول التفكير: مُقدِّمات عامَّة، alandlus.4t.com/shazarat.htm.
- عقبة زيدان، الفكر واللُّغة، جريدة الثورة، ٢٠٠٥/٨/٢٢، www.thawra.alwehda.gov. s y
- فاروق السيد عثمان، التفكير بوصفه عمليَّة التغيُّر والتجديد، الموسوعة الإسلاميَّة، www.balagh.com/mosoa/falsafh/falsf.htm.
- لبنى الجادري، لغتنا قارئة فنجان لأفكارنا، الحوار المتمدن، العدد: ١٨٦٧، ٢٠٠٧/٣/٢٧، www.ahewar.org/debat/show.ar
- مبارك محمد بربر، اللُّغة والفكر، صحيفة الرأى العام السودانية، جامعة أم درمان الإسلامية، www.rayaam.net
- محمد الدنيا، دور اللُّغة فى تكوُّن الفكر عند الطفل، العلم والحياة الفرنسيَّة، www.an-nour.com/204/science-01.htm
- محمد حافظ دياب، درس اللُّغة والتقليد الأنثروبولوجى، مجلة نزوى، عدد: ٤٣، www.nizwa.com
- محمد مبارك، حول بعض موضوعات اللُّغة كظاهرة اجتماعية... علاقة اللُّغة بالمجتمع، جريدة المدى، ٢٠٠٦، www.almadapaper.com
- نبيل حاجى نائف، تأثير اللُّغة والإعلام علينا أكبر مِمَّا نتصوَّر، الحوار المُتمدِّن، العدد: ١٧٢٥، ٢٠٠٦/١١/٥ م، www.ahewar.org
- ......، الإنسان والعالَم، www.edunet.tn/ resources/ residsc/ philo.
- ......، صوتنا الداخلى الصامت، ماذا يقول لنا؟ المجلة الثقافية، www.ju.edu.jo

- ....، اللُّغـــــــــــــــــــــــــــــــــة: **www.said-harit.africa-web.org/philosophie/lelangue.htm**
- ....، اللُّغة، موسوعة مقاتل من الصحراء، **www.moqatel.com**
- ....، اللُّغة، موقع فضاء الفلسفة، **www.philosophie.jeeran.com**
- الموسوعة الحُرَّة "ويكيبيديا"، **www.ar.wikipedia.org**
- الموسوعة العربية للكمبيوتر والإنترنت، **www.c4arab.com**

- *Butterworth, George. The Origins of Language and Thought in Early Childhood, www.massey.ac.nz.*
- *Carnegie Mellon University (2008 January). Brain Imaging Shows If You Are Thinking Of Familiar Object. ScienceDaily. Retrieved, www.sciencedaily.com*
- *Cromie, William J. (2004). Which Comes First: Language or Thought? Babies Think First. Gazette Newspaper. 2004, www.news.harvard.edu/gazette/2004/07.22/21-think.htm*
- *Does Thought Depend on Language? www.putlearningfirst.com*
- *Greene, Intissar. Using Language to Influence Thought. www.intissar.com/language.htm*
- *Jenkins, Orville. Worldview in Language: Language and Thought, www.orvillejenkins.com/worldview/worldvthink*
- *Kaye, Larry, The Language of Thought, University of Massachusetts, Boston. P. 5., www.host.uniroma3.it.*
- *Language and Thought Processes.*
- *sciencedaily.com/releases/2008/01/080102222813.htm.*

ثانيًا: المراجع الأجنبية.

- *Abley, Mark (2004). Spoken Here: Travels Among Threatened Languages, London: William Heinemann, first edition.*
- *Adams, Parveen (1972), Language in Thinking: selected readings, Harmondsworth, Penguin.*
- *Anderson, Barry F. (1975). Cognitive psychology: the study of knowing, learning, and thinking. New York: Academic Press.*
- *Anderson, John Robert (1976), Language, Memory, and Thought, Hillsdale, N.J.: L. Erlbaum Associates; New York: distributed by the Halsted Press Division of Wiley.*
- *Astington, J., and Jenkins, J. (1999). A Longitudinal Study of the Relation Between Language and Theory-of- Mind Development. Developmental Psychology.*
- *Bickerton, D. (1995). Language and Human Behavior. Seattle: University of Washington Press.*
- *Bloom, A. H. (1981), The Linguistic Shaping of Thought, Lawrence Erlbaum Associates, Hillsdale, NJ.*
- *Boroditsky, L. (2001), Does Language Shape Thought? : Mandarin and English Speakers' Conception of Time, Cognitive Psychology.*
- *Braddon-Mitchell, David., and Jackson, Frank (1996). Philosophy of Mind and Cognition. Blackwell Publishers.*
- *Bruce, Mannheim and Jane H., Hill (1992), "Language and World View," Annual Review of Anthropology.*
- *Bruner, J. (1986). Actual Minds, Possible Worlds. Cambridge, MA: Harvard University Press.*
- *Bruner, J., Goodnow, J., and Austin, G. (1956), A Study of Thinking, New York: Wiley.*

- *Calvert, Clay."Hate Speech and Its Harms: A Communication Theory Perspective." Journal of Communication 47.1 (1997). Abstract. InfoTrac Expanded Academic ASAP. MCC at Red Mountain Library, Mesa AZ.*
- *Carroll, John Bissell (1964), Language and Thought, Englewood Cliffs, N.J., Prentice-Hall.*
- *Carruthers, Peter (2002), The Cognitive Function of Language, Behavioral and Brain Sciences.*
- *Carruthers, Peter (1996), Language, Thought and Consciousness, Cambridge University Press.*
- *Castañeda, Hector-Neri (1989), Thinking, Language, and Experience, Minneapolis: University of Minnesota Press.*
- *Charles, Landesman (1961) , "Does Language Embody a Philosophical Point of View?" , The Review of Metaphysics.*
- *Chomsky, Noam (1993), Language and Thought, Wakefield, R.I. : Moyer Bell.*
- *Chu, Yu-kuang (1963), The Interplay between Language and Thought in Chinese, Washington, PA: Washington & Jefferson College.*
- *Clark, Andy. (1993), Associative Engines. Cambridge, MA: MIT Press.*
- *Cole, David (1997), "Hearing Yourself Think: natural language, inner speech and thought".*
- *Cooper, R. and B. Spolsky (Eds.). (1991), Influence of Language on Culture & Thought. New York: Mounton de Gruyter.*
- *Cowan, Joseph Lloyd (1970), Studies in Thought and Language, Tucson: University of Arizona Press.*
- *Crane, Tim (1995). The Mechanical Mind. Penguin Books.*
- *Cromer, Richard F. (1991), Language and Thought in Normal and Handicapped Children, Oxford [England]; Cambridge, Mass., USA: B. Blackwell.*

- *Crystal, D. (1987), "Thought and Language in "Cambridge Encyclopedia of Language", Cambridge: Cambridge Univ. Press.*
- *Curtiss, Susan (1977). Genie: A Psycholinguistic Study of a Modern-day "Wild Child". New York: Academic Press.*
- *Dabrowska, Ewa. (2004), Language, Mind and Brain, Edinburgh: Edinburgh University Press.*
- *De Cecco, John P. (1967), The Psychology of Language, Thought, and Instruction, New York, Holt, Rinehart and Winston.*
- *Deese, James (1965), The Structure of Associations in Language and Thought, Baltimore, Johns Hopkins Press.*
- *Dennett, Daniel C. (1996). Kinds of Minds. Weidenfeld & Nicolson.*
- *Dennett, Daniel C. (1991b). "Mother Nature Versus The Walking Encyclopedia" in Philosophy and Connectionist Theory. Edited by Ramsey, W., Stitch, S., and Rumelhart, D. Laurence Erlbaum Associates, Inc., Publishers.*
- *Dennett, Daniel C. (1998), "Reflections on Language and Mind" in Language and Thought: interdisciplinary themes, edited by Peter Carruthers & Jill Boucher, UK: Cambridge University Press.*
- *De Villiers, Jill G., and De Villiers, Peter A. Language For Thought: Coming to Understand False Beliefs. In "Language in Mind: Advances in the Study of Language and Thought". (2003), Edit. By Dedre Gentner and Susan Goldin – Meadow. MIT Press.*
- *Donald (1975), "Thought and Talk", in Samuel Guttenplan, ed., Mind and Language, Oxford University Press. (Reprinted in Davidson 1984a.).*
- *Donald, Merlin (1991). Origins of the Modern Mind. Harvard University Press.*

- *Ellis, John M. (1993), Language, Thought, and Logic, Evanston, Ill.: Northwestern University Press.*
- *Englefield, F. R. H. (1977), Language: its origin and its relation to thought, London: Elek for Pemberton Publishing.*
- *Evans, Jonathan St B.T. (1983), Thinking and reasoning: psychological approaches, London; Boston: Routledge & Kegan Paul.*
- *Felleman, D.J., and Van Essen, D.C. (1991). Distributed Hierarchal Processing in the Primate Cerebral Cortex. Cerebral Cortex.*
- *Festinger, L. (1957), A Theory of Cognitive Dissonance, New York: Harper & Row.*
- *Fodor, Jerry A. (2008), LOT2: The Language of Thought Revisited. Clarendon Press, Oxford.*
- *Fodor, Jerry (1987). Psychosemantics: The Problem of Meaning in the Philosophy of Mind. Bradford/MIT.*
- *Fodor, Jerry A. (1975), The Language of Thought, Harvard University Press.*
- *Foulkes, D. (1978). A Grammar of Dreams. New York: Basic Books, Inc.*
- *Freud, Sigmund (1940), " Some Elementary Lessons" in The Complete Psychological Works of Sigmund Freud, Volume.*
- *Garfield, Jay (1997). "Mentalese Not Spoken Here" in Philosophical Psychology.*
- *Garfield, Jay (1999), "Thought as Language: a Metaphor Too Far", paper presented as part of Erskine lecture series at the Department of Philosophy, University of Canterbury.*
- *Gauker, Christopher (1994), Thinking Out Loud: An Essay on the Relation between Thought and Language, Princeton University Press*
- *Gentner, Dedre & Goldwin-Meadow, Susan (Eds.) (2003). Language in Mind: advances in the study of language and*

thought. Massachusetts. MIT Press (A Bradford Book).

- *Gethin, Amorey (1999), Language and Thought: a rational enquiry into their nature and relationship, Exeter: Intellect.*
- *Gilhooly, K.J. (1982). Thinking: Directed, Undirected and Creative. London; New York: Academic Press.*
- *Gumperz, J. J., and Levinson, S. C. (1996), Rethinking linguistic relativity. Cambridge, UK: Cambridge University Press.*
- *Halpern, D. F. (1996). Thought and knowledge: An Introduction to Critical Thinking. Mahwah: Erlbaum.*
- *Hardin, C. and M. Banaji. (1993), "The Influence of Language on Thought." Social Cognition.*
- *Hardy, William G. (1978), Language, Thought, and Experience: a tapestry of the dimensions of meaning, Baltimore: University Park Press.*
- *Harris, R. (1988), Language, Saussure and Wittgenstein, London: Routledge.*
- *Haugen Einar. Linguistic relativity: myths and methods. In Language and thought: anthropological issues. Edited by McCormack William and Wurm Stephen. The Hague: Mouton 1977.*
- *Hayakawa, S. I. (1963), Language in Thought and Action, New York, Harcourt, Brace.*
- *Heidegger, Martin (1971), Poetry, Language, Thought. Translations and introd. by Albert Hofstadter, New York, Harper & Row.*
- *Hermann J., Cloeren (1988), Language and Thought: German approaches to analytic philosophy in the 18th and 19th centuries. Berlin: Walter de Gruyter .*
- *Hickmann, Maya (1987), Social and Functional Approaches to Language and Thought, Orlando: Academic Press.*

- *Hildum, Donald C. (1967), Language and Thought; an enduring problem in psychology, Princeton, N.J.: Van Nostrand.*
- *Humphrey, G. (1951), Thinking: an introduction to its experimental psychology, New York: Wiley.*
- *Jackendoff, R. (1996). How Language Helps Us Think. Pragmatics and Cognition.*
- *Jaquish, Gail Ann (1979). Divergent thinking and self-esteem across the life-span.*
- *Johnson, D.M. (1972), A Systematic Introduction to the Psychology of Thinking. New York: Harper & Row.*
- *Johnson-Laird, P. N., and Wason, P. C. (1977), Thinking: readings in cognitive science, . Cambridge; New York: Cambridge University Press.*
- *José Luis Bermúdez (2003), Thinking without Words, Oxford University Press US.*
- *Joseph, John E. (1990), "Ideologizing Saussure: Bloomfield's and Chomsky's Readings of the Cours de linguistique general" in Ideologies of Language. Ed. by John E. Joseph and Talbot J. Taylor. (Politics of Language Series.) London and New York: : Routledge.*
- *Judge, Brenda (1985). Thinking about things: a philosophical study of representation. Edinburgh: Scottish Academic Press.*
- *Kaye, Lawrence J. (1995a), The Languages of Thought, Philosophy of Science.*
- *Keller, Helen (1909). The World I Live In. London: Hodder and Stoughton.*
- *Kintsch, Walter (1977). Memory and Cognition. New York: Wiley.*
- *Laitin, David D. (1977), Politics, Language, and Thought: the Somali experience, Chicago: University of Chicago Press.*

- *Lakoff, George (1987). Women, fire, and dangerous things: what categories reveal about the mind. Chicago: University of Chicago Press.*
- *Langacker, Ronald W. (1973). Language and its Structure. San Diego: Harcourt Brace Jovanovich, Publishers. Second edition.*
- *Lawson, Chester A. (1958), Language, Thought, and the Human Mind, East Lansing, Michigan State University Press.*
- *Lecours, Andre.R., and Yves, Joanette (1980). "Linguistic and Other Aspects of Paroxysmal Aphasia" in Brain and Language.*
- *Lee, P. (1997), "Language in Thinking and Learning: Pedagogy and the New Whorfian Framework." Harvard Educational Review.*
- *Lewis, M. M. (1964), Language, Thought, and Personality in Infancy and Childhood, New York, Basic Books.*
- *Lewis, Morris M. (1957), Language, Thought and Personality in Children, [Nottingham]: University of Nottingham.*
- *Loftus, E. F., and J. C. Palmer (1974). "Reconstruction of Automobile Destruction: An Example of the Interaction Between Language and Memory." Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior.*
- *Lucy, John Arthur (1992), Language Diversity and Thought: a reformulation of the linguistic relativity hypothesis, Cambridge; New York: Cambridge University Press.*
- *Lund, Nick (2003), Language and Thought, London; New York: Routledge.*
- *Lurz, Robert W. (2007), In Defense of Wordless, Thoughts About Thoughts, Mind & Language, Volume 22, Number 3, June 2007, Blackwell Publishing.*

- *Lutz, W.(1989). Doublespeak. New York: Harper Perennial.*
- *Lyons, John (1981). Language and Linguistics: An Introduction. London and New York: Cambridge University Press.*
- *Macnamara, John (1977), Language Learning and Thought, New York: Academic Press.*
- *Malson, Lucien (1964). Wolf Children. Translated by Edmund Fawcett, Peter Ayrton and Joan White. London: NLB, 1972.*
- *Marková, Ivan (1982), Paradigms, Thought, and Language, Chichester ; New York : Wiley.*
- *Marmaridou, Sophia, et al. (2005), Reviewing Linguistic Thought. Berlin: Mouton de Gruyter Marschark, Marc ... [et al.], (1997), Relations of Language and Thought: the view from sign language and deaf children, New York: Oxford University Press.*
- *Marschark, Marc... [et al.], (1997), Relations of Language and Thought: the view from sign language and deaf children, New York: Oxford University Press.*
- *Mayer, Richard E. (1983), Thinking, Problem Solving, Cognition. New York: W.H. Freeman.*
- *Mayer, Richard E. (1977), Thinking and Problem Solving: An Introduction to human Cognition and Learning. Glenview. III: Scott Foresman.*
- *Miles, Curtis, and Rauton, Jane (1985). Thinking tools: academic, personal, and career applications. Clearwater, Fla.: H&H Pub Co.*
- *Miller, George A., and Lenneberg, Elizabeth (1978), Psychology and Biology of Language and Thought: essays in honor of Eric Lenneberg, New York: Academic Press.*
- *Millikan, Ruth Garrett (1984), Language, Thought, and*

Other Biological Categories: new foundations for realism, Cambridge, Mass.: MIT Press.

- *Moravcsik, J. M. E. (1990), Thought and Language, London; New York: Routledge.*
- *Napoli, Donna Jo (2003), Language Matters, Oxford University Press.*
- *Niemeier, Susanne and René, Dirven (2000), Evidence for Linguistic Relativity, Edited by Amsterdam: J. Benjamins.*
- *Nolan, Rita (1994), Cognitive Practices: Human Language and Human Knowledge, Blackwell.*
- *O'Hear, Anthony (2002), Logic, Thought, and Language, New York: Cambridge University Press.*
- *Piaget, Jean. (1953). The Origins of Intelligence in the Child, Translated by Margaret Cook. London: Routledge & Kegan Paul.*
- *Piaget, Jean. (1983). "Piaget's Theory" in Handbook of Child Psychology. Edited by Paul H. Mussen. Volume editor: William Kessen.*
- *Piaget, Jean (1959), The Language and Thought of the Child. Pref. by Prof. E. Claparède. Translated by Marjorie and Ruth Gabain, London, Routledge and Kegan Paul.*
- *Phillips, C. (1998), "Language and Thought: The Sapir-Whorf Hypothesis."*
- *Pinker, Stephen (1994), The Language Instinct: How the Mind Creates Language. New York: W. Morrow and Co.*
- *Pinxten, Rik (1976), Universalism Versus Relativism in Language and Thought : proceedings of a colloquium on the Sapir-Whorf hypotheses, The Hague : Mouton.*
- *Pollock, John L. (1982), Language and Thought, Princeton, N.J.: Princeton University Press.*
- *Reiber, Robert W., and Voyat, Gilbert (c1983), Dialogues on the Psychology of Language and Thought: Conversations*

with Noam Chomsky, Charles Osgood, Jean Piaget, Ulric Neisser, and Marcel Kinsbourne, New York: Plenum Press.

- *Robertson, Steven S. (1977), Thought and Language in Infancy: the perception of visual action events.*
- *Ryle, Gilbert (1979). On Thinking. Edited by Konstantin Kolenda; with an introd. by G. J. Warnock. Totowa, N.J.: Rowman and Littlefield.*
- *Sapir, E. (1936). Selected Writings. Vol. 2. Barkeley- Los Angelos.*
- *Schaller, Susan (1991), A Man Without Words, Forward by Oliver Sacks, USA: University of California Press.*
- *Sellars, Wilfrid (1969), "Language as Thought and as Communication", Philosophy and Phenomenological Research.*
- *Shell, Marc (1982), Money, Language, and Thought: literary and philosophical economies from the medieval to the modern era, Berkeley: University of California Press.*
- *Silby, Brent (2000). Revealing the Language of Thought. Department of Philosophy. University of Canterbury. New Zealand.*
- *Simpson, Paul (1993), Language, Ideology and Point of View, Routledge, Tailor & Francis Group.*
- *Skoyles, J. (1999), "The Sapir-Whorf Hypothesis: New Surprising Evidence."*
- *Slagle, Uhlan von (1974), Language, Thought and Perception: a proposed theory of meaning, The Hague: Mouton Davidson.*
- *Slobin, D.I. (1971). Psycholinguistics. London: Scott-Foresman and Comp. Glenview. Illinois.*
- *Smith, Peter, and Jones O.R. (1986). The Philosophy of Mind: An Introduction. Cambridge [Cambridgeshire]; New York: Cambridge University Press.*
- *Spelke, Elizabeth S. "What Makes Us Smart? Core*

Knowledge and Natural Language" in Language in Mind: Advances in the Study of Language and Thought. (2003). Edit. By Dedre Gentner and Susan Goldin-Meadow. MIT Press. Cambridge, Massachusetts: London, England.

- *Steiner, Vera John (1985). Notebooks of the mind: explorations of thinking. Albuquerque: University of New Mexico Press.*
- *Sterelny, Kim (1990). The Representational Theory of Mind. Cambridge, Mass. Basil Blackwell, Inc.*
- *Stevenson, Rosemary J. (1993), Language, Thought, and Representation, Chichester, England; New York: J. Wiley & Sons.*
- *Thirumalai, M.S. (1977), Language Acquisition, Thought, and Disorder, Mysore : Central Institute of Indian Languages.*
- *Thornton, Tim (1998), Wittgenstein on Language and Thought: the philosophy of content, Edinburgh: Edinburgh University Press.*
- *Vinack, W. Edgar (1974). The Psychology of Thinking. New York, McGraw-Hill, Second edition.*
- *Vygotsky, L.S. (1962), Thought and Language; edited and translated by Eugenia Hanfmann and Gertrude Vakar, Cambridge, Mass: M.I.T. Press*
- *Wagman, Morton (1998), Language and Thought in Humans and Computers: theory and research in psychology, artificial intelligence, and neural science, Westport, Conn.: Praeger.*
- *Weiskrantz, L. (1988), Thought Without Language, Oxford [England]: Clarendon Press; New York: Oxford University Press.*
- *Westendorp, Grard (2006), From Language as Speech to Language as Thought: the great leap in evolution, Lewiston, NY: Edwin Mellen Press.*

- *Whorf, Benjamin (1956). Language, Thought, and Reality: Selected Writings of Benjamin Lee Whorf, Ed. J.B. Carroll, Cambridge: MIT Press.*
- *William, Harvey (1996), "Linguistic relativity in French, English, and German philosophy," Philosophy Today.*
- *Wittgenstein, Ludwig (1953). Philosophical Investigations. Edited by G.E.M. Anscombe and R. Rhees.Trans. G.E.M. Anscombe. Oxford: Blackwell. Section.*
- *Wittgenstein, Ludwig (1958). The Blue and Brown Books. Oxford: Blackwell, 2nd edition, 1960.*
- *Zheng M.& Goldin-Meadow S. (2002), Thought before language: how deaf and hearing children express motion events across cultures,*

فهرس المحتويات

تم بحمد الله

The Dialectic of
Language and Thought

By

Dr. ***.Mohamed Mohamed Dawood***

1430 - 2009

هذا الكتاب

متعة عقلية فى البحث عن إجابات علمية شافية لإشكاليات حائرة حول جدليَّة العلاقة بين اللغة والفكر، وذلك من خلال مناقشة القضايا الآتية:

- هل للفكر لغة خاصة غير اللغة التى نتكلم بها؟!
- أيهما أسبق في الوجود : اللغة أم الفكر ؟!
- هل يمكن التفكير بدون لغة ؟!
- هل حدود اللغة هى حدود التفكير ؟!
- هل اللغة الأم هى لغة التفكير الوحيدة ؟!
- كيف تؤثر اللغة فى تشكيل الفكر ؟!